الانتصار على الظلام

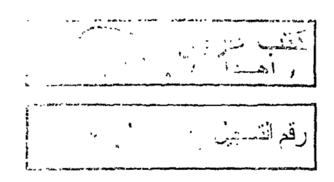
تأليف

نيل أندرسون



VICTORY OVER THE DARKENSS

NEIL T. ANDERSON



الانتصار على الظلام

VICTORY OVER THE DARKNESS

تأليف

د. نيل أندرسون

ترجمة

د. وفيق أيوب بشاي

Orignally Published Under The Title:
"Victory Over The Darkness"
By Neil T. Anderson

Published By Regal Books, A Division Of Gospel Light Publication, Ventura, California 93003, USA.

الكتاب: الانتصار على الظلام

طبعة أولى: مارس ٢٠٠١

المؤلف: نيل أندرسون

ترجمة ونشر: وفيق أيوب بشاي

توزيع: دار النشر الاسقفية القاهرة ت :٥٧٩٢٠١٨ - ٥٧٦٦٧٠٢

رقم الإيداع: ٢٠٠١/٥١٥٢

المحتـــــويات

٦- قوة الإيمان الإيجابي (٩٩)

"إيمانك أنَّك تستطيع النجاح في النمو والنضوج المسيحي لا يُكلفك مجهوداً أكثر مما يُكلفك إيمانك أنَّك لا تستطيع النجاح."

٧- لا تستطيع أن تذهب أبعد مما تؤمن (١١٥)

"ما يدفعك في الحياة الآن هو ما تعتقد أنَّه سيجلب لك النجاح، والتأثير،والإشباع، والسعادة، والمرح، والطمأنينة والسلام."

٨- مقاييس الله للسلوك بالروح (١٣١)

" من اللازم لصحة نموك الروحي أنْ تكون مُعتقداتك عن النجاح، والشعور بالقيمة، وتحقيق الذات، والرضا، والسعادة، والمرح، والشعور بالأمان والسلام مُتأصلة في الكتاب المُقدّس."

٩- الانتصار في معركة الذهن (١٤٥)

"إبليس وجنوده من الأرواح الشريرة مُتداخلين بشكل فعال في محاولة إبعادك عن السلوك بالإيمان، عن طريق خلطٍ تفكيرك بأفكاره وتصوراتِه."

١٠- يجب أن تكون صادقا لكي تكون صالحا (١٦٣)

"إذا فشلت في الاعتراف بهذه المشاعر فستصبح هدفاً سهلاً للشيطان."

١١- شفاء الجراحات العاطفية الآتية من الماضي (١٧٩)

"يجب عليك أنْ تتعلّم كيفية علاج الصراعات القديمة وإلاّ ستتراكم في داخلك القيود العاطفية وستدفعك للانسحاب من الحياة."

١٢- علاج الرفض الموجود في علاقاتك (١٩٣)

"الأفكار والمشاعر الناتجة عن الرفض، التي نُعاني منها جميعاً، يُمكنها أنْ تصبح عائقاً رئيسياً للنمو والنضوج إنْ لم نتعلم كيفية التعامل معها بطريقة إيجابية."

١٣- البشر ينمون أفضل معاً (٢٠٩)

"لديك امتياز ومسئولية عظيمة بأنْ تكون مُعلّماً وتلميذاً لما يعني أنْ تكون في المسيح، والحياة بالروح والحياة بالإيمان."

المُقدمة

أقرضني رجاءك

منذ عدة سنوات في بداية خدمتي الرعوية، قررت أنْ آخذ مسئولية تلمذة أحد الشباب في كنيستي. كانت هذه أول مُحاولة رسمية لي في مجال التلمذة، اتفقنا أنا و«روس» على اللقاء صباح كل ثلاثاء لكي أقوده في دراسة مُبسّطة في الكتاب المُقدّس، كانت عن "المحبة".

بدأنا تملأنا الآمال الكبيرة، فقد كان «روس» يتطلّع بشغف لأنْ يخطو خطوات واسعة كمؤمن على طريق النمو الروحي. أما أنا فقد كنت متلهفاً لمُساعدته على أنْ يُصبح مؤمناً ناجحاً.

مرَّت ستة أشهر ونحن نشق طريقنا بصعوبة في هذه الدراسة عن المحبة، في الواقع لم نُحرز أي تقدم. ولسبب ما لم نستطع الوصول في علاقتنا إلى ما وصلت إليه علاقة بولس وتيموثاوس.

وهكذا لم يكن «روس» ينمو في حياته الروحية بل كان دائم الشعور بالهزيمة. أما أنا فقد كنت أرى نفسي مسئولاً عن هزيمته، لكنّني لم أكن أعرف ماذا أفعل.

أما عن الآمال التي راودتنا بشأن تقدّم «روس» بخطى واسعة نحو النضوج، فقد بدأت تتضاءل تدريجياً مثل بالوناً مثقوباً، حتى توقفنا نهائياً عن اللقاء.

بعد عامين انتقلت للخدمة في منطقة أخرى، وذات يوم جاء «روس» لُقابلتي وبدأ يروي لي حقيقة ما كان يحدث في حياته في فترة تلمذتي له، وكشف لي عن جانب خفي من حياته لم أكن أعلم أبداً بوجوده. لقد كان متورطاً بعمق في الخطية، ولم يكن يرغب في مُشاركتي بصراعاته هذه. وعلى الرغم من أنَّه كثيراً ما كان ينتابني شعور بأنَّه مُقيد لكنّني لم أدرك أبداً حقيقة الموقف.

في ذلك الوقت، كانت خبرتي قليلة مع الأشخاص المقيّدين بالخطية. فقد كنت أعتقد أن مشكلة «روس» الأساسية هي عدم رغبته في استكمال الدراسة. ولكنّني الآن مقتنع أنّ محاولاتي لتلمذته، قد فشلت لأسباب أخرى. فقد كنت أحاول دفعه إلى مرحلة جديدة دون أن أتبيّن أولاً المرحلة التي كان فيها. كنت أحاول أن أجعله يؤمن بما يمكن أن يكون عليه في المستقبل دون أن أتفهّم أو أتقبّل أولاً المرحلة التي هو عليها في الحاضر.

ومن هنا بدأت أدرك أنه لكي تُتلمذ أشخاصاً وتقودهم لحياة النضوج والحرية في المسيح، فهذا يتطلّب أكثر بكثير من مجرد خطوات دراسية منظّمة في الكتاب المقدس. ومنذ ذلك الوقت، بدأت أركّز خدمتي كراع وأيضاً كمدرّس في كلية اللاهوت، على أن تكون مزيجاً من خدمة التلمذة والتعليم والمشورة المسيحية. وبالفعل أصبحت معلماً ومشيراً لعدد كبير جداً من الأشخاص. كما أنّني كنت أعلّم عن التلمذة والمشورة الرعوية في كلية اللاهوت، وفي الكنائس وفي مؤتمرات القادة في جميع أنحاء البلاد. و كان لتفاعلي مع الناس هدف رئيسي وهو أن أكشف لهم عن طرق إبليس الماكرة التي يهاجم بها المؤمنين ويخدع أذهانهم. فهو يعلم جيداً أنّه إذا نجح في منعك من فهم حقيقة "مَنْ أنت في المسيح،" يكون قد نجح في حرمانك من اختبار حياة النضوج والحرية التي هي في الواقع ميراثك كابن لله.

وكم يثير اهتمامي هذا التداخل بين خدمتي التلمذة والمشورة. فخدمة التلمذة المسيحية تتطلّع إلى المستقبل بهدف تحقيق النمو والنضوج الروحي، أما

خدمة المشورة، فهي تنظر إلى الماضي كي تصحّح أخطاءه وتقوّي مناطق الضعف فيه. ولكن على كل من الخدمتين أن يبدأ أولاً من الزمن الحاضر، وعليهما، أن تطرحا بعض الأسئلة وبشكل شخصي جداً،مثل: من أنت؟ ماذا تفعل؟ ما الذي تؤمن به عن نفسك؟

فماضيك هو الذي شكّل نظرتك الإيمانية الحاضرة، وإن لم تتعامل معه وتعالجه، فبالتأكيد سيؤثر على مستقبلك أيضاً.

بالإضافة إلى هذا، فأنا مقتنع تماماً أنّ كلّ من خدمتي التلمذة والمشورة يجب أن تبدأ من حيث يبدأ الكتاب المقدس، أي من معرفة من هو الله، ومعرفة هويتك في المسيح.

إذا عرفنا الله معرفة حقيقية، فهذا سيؤدي إلى تغيير جذري وفوري في سلوكنا. وهذا بالفعل ما كان يحدث في الكتاب المقدّس. ففي كل مرّة انفتحت السماء لتعلن عن مجد الله، كان كل الذين يشهدون هذا يتغيّرون بعمق وفي الحال.

إنّي أؤمن أنّ أكبر عامل يؤثر على اختبارنا للحرية وعلى صحتنا الروحية والنفسية، هو معرفتنا لله معرفة حقيقية وإقامة علاقة صحيحة معه. إنّ الصحة الروحية (الحياة الروحية الصحيحة) مطلب أساسي لا غنى عنه من أجل صحة نفسية جيّدة.

بعد عدة أسابيع من انتهاء إحدى مؤتمراتي، جاء صديق لي ليشاركني عن قصّة سيدة مسيحية كانت تحضر المؤتمر. كانت هذه السيدة تعاني من اكتئاب شديد يلازمها منذ عدة سنوات. و ما كان "يبقيها على قيد الحياة"، هو مساندة بعض الأصدقاء لها، بالإضافة إلى ثلاث جلسات مشورة في الأسبوع، والكثير من الأدوية. وفي أثناء المؤتمر، أدركت هذه السيدة أنها كانت في الواقع تستند على أي شخص وأي شيء ما عدا الله. فهي لم تحاول أبداً أن تطرح قلقها وهمومها على المسيح، بل حاولت أن تفعل كل شيء إلاّ أن تتكل عليه.

وهكذا عادت السيدة ومعها الكتيّب الخاص بالمؤتمر، ومنذ ذلك الوقت، بدأت تركّز على هويتها في المسيح، وأخذت تعلن عن ثقتها في الرب الذي يسدّد كل احتياجها. كما تخلّت نهائياً عن كل ما كان يدعمها ويساندها من قبل (وهذا أمر لا أوصي به)، وقرّرت أن تثق بيسوع وحده ليحررها من الاكتئاب. وبدأت تحيا بالإيمان وعملت على تجديد ذهنها مثلما كان يقترح كتيّب المؤتمر. وبعد شهر، أصبحت شخصية مختلفة تماماً عن ذي قبل.

إنّ معرفة الرب شرط أساسي للتمتّع بالنضوج والحرية.

في الواقع، توجد نقطة أخرى حيث تتلاقى خدمتي المشورة والتلمذة، وهي المسئولية الشخصية. فالأشخاص الذين يبغون التقدّم في النمو الروحي، لا شك أنّهم يستفيدون كثيراً من خلال تلمذة آخرين لهم. كما أنّ هؤلاء الذين يريدون التحرر من تأثير الماضي، يمكنهم تلقّي المساعدة من خلال مشورة الآخرين أيضاً ولكن في النهاية، يبقى كل شخص مسئول مسئولية شخصية عن نموّه وحريته في المسيح.

فلا يمكن لأحد أن يجعلك تنمو، فهذا قرارك ومسئوليتك اليومية. كما أنّه لا يمكن لأحد حل مشاكلك. بل إنّه عمل يجب عليك أن تبدأه وتواصله حتى تنهيه. ومع هذا نشكر الرب لأنّه لن يترك أحداً منّا يسير في طريق النضوج والحرية بمفرده، لأنّ يسوع الساكن فينا يرغب وبشدة أن يسير معنا في الطريق خطوة خطوة.

هذا الكتاب هو الأول من كتابين كتبتهما من خلال ما تعلمته واختبرته في مجال التلمذة والمشورة. وبقدر ما تمثّل هاتين الخدمتين من أهمية من أجل حياة روحية صحيحة، أنا أؤمن أنّ الخدمة التي تهدف إلى نموك ونضوجك في المسيح، هي بالفعل الأكثر أهمية.

فلكي تتحرر كلياً من تأثير الماضي، أنت تحتاج أولاً أن تعرف وتدرك مَنْ *أنت في المسيح*. هذا هو الأساس للنضوج الروحي.

هذا الكتاب يتناول القضايا الأساسية الخاصة بالنمو في المسيح. سوف تدرك مَنْ *أنت في المسيح*، وكيف تعيش بالإيمان. وستكتشف كيف تسلك بالروح وكيف تكون حساساً لقيادته لك. فالحياة التي في ملء الروح، هي التي تحميك من أن تنخدع وتنجرف بعيداً بواسطة الأرواح الشريرة، مثلما حدث مع «روس» تلميذي الشاب.

في هذا الكتاب، ستكتشف طبيعة المعركة التي تواجه ذهنك، وستعرف أهمية أن يتجدّد ذهنك لكي تنمو روحياً. ستكتشف استنارة داخلية تمكّنك من التعامل مع مشاعرك وتحررك مما أصاب مشاعرك في الماضي من صدمات، عن طريق الإيمان والغفران.

أما عن الكتاب الثاني "محطّم القيود *The Bondage Breaker*"[١]، فأنا أركز فيه على الحرية التي لنا في المسيح، وعلى الخلافات الروحية التي تؤثر على المؤمنين هذه الأيام.

للأسف نحن لا نُميّز الفرق بين التحرير والنضوج في الحياة المسيحية، فالنضوج لا يمكن أن يحدث في لحظة، إنّه عمل يحتاج إلى وقت، أما التحرير فيُمكن أن يكون فورياً، بل إنّك لن تستطيع الوصول للنضوج الكامل ما لم تتحرّر أولاً من قيود العالم والجسد والشيطان.

لهذا أقترح أنْ تكمل قراءة ما يتضمّنه هذا الكتاب عن النمو والنضوج أولاً، قبل أن تنتقل إلى قضايا الخلاف الروحي في كتاب "محطّم القيود". كتاب "الانتصار على الظلام" يعرض رسالة العهد الجديد. فالجزء الأول منه يعرض مبادئ أساسية ويُعرّف بعض المصطلحات الهامة التي بدونها لن تستطيع فهم وتطبيق الجزء الثاني من الكتاب الذي يعتبر الجزء العملي.

قد تجد الجزء الأول من الكتاب بعيداً بعض الشيء عن واقع حياتك اليومية، ولذا فقد تفكر في أن تتخطّاه أو تحذفه. ولكن بقدر ما هو هكذا، بقدر ما هو هام وضروري جداً، إذ أنّه يجعلك تدرك وتميّز مكانتك ونصرتك في

(١) يصدر قريباً.

المسيح، والتي تمكّنك بالتالي من اختبار النمو فيه بشكل عملي. فقبل أن تفهم ما يجب عليك فعله، أنت تحتاج أولاً أن تعرف ما يجب عليك الإيمان به.

لقد تحدثت بالفعل مع آلاف الناس مثل تلميذي الأول «روس»، الذين برغم أنّهم مؤمنون، إلاّ أنّهم كما هم لا يتغيّرون. وبالرغم من أنهم قد أودعوا أنفسهم لخدمة الرب يسوع كل أيام حياتهم، إلاّ أنهم غير ناضجين، مخدوعين ومهزومين. حياتهم تخلو من الثمر ومليئة باليأس.

أناس مثل هؤلاء، في الواقع، يذكرونني بقصيدة شعر تقول:

أقرضني رجاءك للحظة
يبدو أنّني قد أضعت رجائي
مشاعر الضياع واليأس تلازمني
والألم والحيرة هم رفقائي
لا أعرف إلى أين أذهب
فالنظر إلى المستقبل لا يجعلني أرى أي أمل
بل أرى أياماً صعبة مليئة بالحزن والألم.

أقرضني رجاءك للحظة
يبدو أنني قد أضعت رجائي
أمسك بيدي وضمّني
اسمع لتأوهاتي فشفائي يبدو بعيداً
وطريق الشفاء يبدو طويلاً وموحشاً.

أقرضني رجاءك للحظة
يبدو أنّني قد أضعت رجائي

قف بجانبي فأنا أحتاج لوجودك، وقلبك وحبك
تعرّف على ألمي، ستجده حقيقي ودائم
وستجدني أغرق في أحزاني وصراعاتي.

أقرضني رجاءك للحظة
فحتماً سيأتي يوم الشفاء
وسأشارك الآخرين بما تجدّد في داخلي من حب ورجاء.(i)

هل تعكس هذه الكلمات حالتك؟ هل تراها تردّد التماسك أنت أيضاً كمؤمن؟ هل تشعر أحياناً أنَّك محاصر من العالم والجسد والشيطان إلى درجة تجعلك تتساءل إذا ما كانت مسيحيتك وإيمانك يعنيان أي شيء؟ هل تشعر أحياناً بخوف من أنّك لن تصل أبداً إلى ما دعاك الله إليه؟ هل تتوق إلى أن تتقدّم في نموك الروحي وتختبر عملياً الحرية الكاملة التي وعدت بها كلمة الله؟

في الصفحات التالية، أريد أن أشاركك بما لديّ من رجاء. فنضوجك سيتحقّق مع الوقت، وكنتيجة للضغوط والتجارب والمحن، ***ولمعرفة كلمة الله،*** ولفهم حقيقة ***مَنْ أنت في المسيح، وحضور الروح القُدس في حياتك بقوة.*** من المحتمل أنّك قد اختبرت بالفعل أول أربعة عناصر وبشدّة، فهذا حال معظم المؤمنين. دعني إذن أعطيك جرعة زائدة من آخر ثلاثة عناصر. اخلط الكل معاً جيداً، وستجد نفسك في بداية الطريق للنمو.

(i) Adapted from the poem "*Lend Me Your Hope,*" author unknown.

١

مَنْ أنت؟

أستمتع جداً بتوجيه هذا السؤال: "مَنْ أنت؟" إنَّه يبدو سؤالاً سهلاً ويتطلّب إجابة بسيطة، لكنَّه في الحقيقة ليس كذلك. مثلاً، إذا سألتني "مَنْ أنت؟" قد أجيبك:«نيل أندرسون».

– "لا. هذا اسمك. مَنْ أنت؟"

– "أنا أستاذ في الجامعة."

– "لا. هذا عَمَلك."

– "أنا أمريكي."

– "هذه جنسيتك."

– "أنا معمداني."

– "هذه طائفتك."

ربما أجيب أيضاً بأنَّ طولي ١٧٥ سم وأنَّ وزني أكثر من ٦٧ كيلوجرام ـ في الواقع أكثر كثيراً من ٦٧! لكنَّ مظهري الخارجي ليس "أنا". إذا قطعتَ يدي ورجلي، هل سأظل أنا نفس الشخص؟ إذا أعدتَ زراعة قلبي، أو كليتاي أو كبدي، هل سأظل أنا نفس الشخص؟ نعم بكل تأكيد! لكنْ إذا مضيت في

تقطيعي فستصل "إليَّ" في النهاية لأنّي هنا في الداخل في مكان ما. لكنْ "أنا" أكثر جداً مما تراه في الخارج.

ربما نردد مع الرسول بولس أنَّنا "لا نعرف أحداً حسب الجسد" (٢كورنثوس ٥:١٦). لكنَّنا نميل بشكل أساسي إلى تحديد هُويّتنا وهُويّة الآخرين مُعتمدين على مظهرنا الخارجي (طويل، قصير، ممتلئ، رفيع) أو على عملنا (سباك، نجار، ممرضة، مهندس، بائع). كذلك عندما يُطلَب منا نحن المسيحيين أنْ نُحدّد هُويّتنا الإيمانية، غالباً ما نتكلم عن موقفنا العقائدي (بروتستانتي، إنجيلي، كالفيني، كارزماتي)، أو عن طوائفنا (معمداني، مَشيخي، إصلاح، مُستقل) أو وظائفنا في الكنيسة (مُدَرّس في مدارس الأحد، عضو في فريق الترنيم، شماس).

لكن هل عملك هو الذي يُحدّد هُويّتك، أم ما تقوم به يعتمد على "مَنْ أنت"؟ هذا سؤال مهم، خاصة في علاقته بالنضوج المسيحي. أنا أؤيّد الرأي الأخير. أنا أؤمن من كل قلبي أنَّ رجاءك كمسيحي في النمو والشعور بمعنى الحياة والرضا، مبني على فهمك "لَمَنْ أنت"ـــ خاصة هُويّتك في المسيح كابن الله. معرفتك "مَنْ أنت" هي العامل الأساسي لتكوينك الإيماني وتحديد نمط سلوكك كمسيحي.

مُعادلات خاطئة في البحث عن الهُويّة

منذ عدة سنوات قطعت فتاة في الـ١٧ من عمرها، مسافة طويلة بسيارتها لتتحدث إليَّ. لم أقابل فتاة تتمتع بكل هذا القدْر من مُقوّمات النجاح. لقد كانت كفتاة غُلاف، كانت جميلة وأنيقة جداً، وقد أكملت بتفوق ١٢ سنة من التعليم في ١١ سنة. وكعازفة موسيقى موهوبة، حصلت على منحة دراسية في إحدى الجامعات المسيحية. كما كانت تقود سيارة جديدة أهداها لها والداها بمناسبة تخرجها. كنت مُتعجباً من إمكانية حصول شخص واحد على كل هذا.

تكلّمَت معي لمدة نصف ساعة، أدركتُ خلالها أنَّ ما رأيته في الخارج كان غير متوافق مع ما بدأت أراه في داخلها. قلت لها في النهاية: «ماري»، هل كثيراً ما تقضين الليل باكية حتى تنامين من الإجهاد، بسبب شعورك بعدم الكفاءة والتمني لو كنت شخصاً آخر؟"

بدأت تبكي قائلة: "كيف عرفت؟"

أجبتها: "بأمانة، يا «ماري»، لقد تعلمت أنَّ الأشخاص الذي يبدو أنَّهم يملكون زمام الحياة وأنَّ لهم قدرة عالية على الأداء، هم غالباً في داخلهم أبعد ما يكنوا عن الشعور بالرضا وتحقيق الذات."

إنَّ ما نُظهره في الخارج كثيراً ما يكون واجهة خادعة صَمّمناها لإخفاء مَنْ نحن في الحقيقة ولتغطية جروحنا الخفية التي نشعر بها بشأن هُويّتنا. بطريقة ما، نحن نعتقد أنَّه إذا بدونا أكثر جاذبية أو قمنا بأداء جيد أو تمتعنا بمنزلة رفيعة، سنحصل في داخلنا على الشعور بالرضا وتحقيق الذات. لكنْ هذا ليس صحيح. المظهر الخارجي والإنجازات والتفوق لا تعكس بالضرورة ـ أو تمنح ـ السلام والنضوج الداخلي.

«موريس واجنر» في كتابه "الشعور بأنَّك شخص مُهم *The Sensation of Being Smoebody*" يشرح في معادلات بسيطة كذب هذا الاعتقاد الذي نميل إلى قبوله. إذ يقول: نُخطئ عندما نظن أنَّ المظهر الجيد زائد التقدير الذي يجلبه يساوي شخصاً سوياً. أو نشعر أنَّ الأداء البطولي زائد الإنجازات تساوي شخصاً سوياً. أو أنَّ المنزلة الرفيعة والتفوق الذي نُحققه يساوي شخصاً كاملاً. لكنَّ الأمر ليس كذلك. هذه المُعادلات ليست صحيحة بقدر عدم صحة ٢+٢= ٦

يقول «واجنر»:

> لنُحاول بكل قدرتنا مستخدمين المظاهر، أو الإنجازات أو المنزلة الاجتماعية، للوصول إلى تحقيق الذات والشعور بأنَّنا أشخاص مهمين، لكنَّنا لن نحقق أبداً الشعور

بالاكتفاء أو الرضا. إنَّ الوصول إلى أي قمة من تحقيق الذات سوف ينهار سريعا تحت ضغط الرفض العدائي من الآخرين أو الفحص الذاتي للدوافع أو تحت الشعور بالذنب أو الخوف أو القلق. نحن لا نستطيع فعل أي شيء يؤهلنا للحصول على الشعور الناشئ عن كوننا محبوبين مجاناً وبشكل مُطلق وغير مشروط.(i)

لو أمكن لهذه المعادلات أنْ تنجح مع أي شخص، لكانت نجحت مع الملك سليمان. لقد كان ملكاً على إسرائيل في أيام مجيدة من التاريخ. كان يملك القوة، والمركز، والثروة، والممتلكات والنساء. لو كانت الحياة ذات المعنى والهدف نتيجة للمظهر والحصول على التقدير والإنجازات والمنزلة أو التفوق، لكان سليمان هو أكثر الرجال إحساساً بالرضا وتحقيق الذات.

لكنَّ الله أعطى الملك قدراً إضافياً من الحكمة لكي يُفسّر إنجازاته. فماذا كان تعليقه على جميعها؟ "باطل الأباطيل! ... باطل الأباطيل الكل باطل! ويستمر سِفر "الجامعة" في وصف عدم جدوى ملاحقة معنى للحياة علي مستوى المظهر الخارجي. خذ بنصيحة الملك الحكيم: كل ما يُمكن أنْ تجنيه من الممتلكات والمركز الاجتماعي لا يُمكن أنْ يُساوي إنساناً كاملاً يشعر بالاكتفاء ومعناً للحياة. الملايين من البشر يتسلقون هذه السلالم طلباً للنجاح، لكنَّهم يكتشفون عند وصولهم للقمة أنَّهم يستندون على الجدار الخطأ!

كذلك نحن نُصدق الجانب السلبي من مُعادلة: "النجاح يساوي المعنى"، باعتقادنا أنَّ الشخص الذي لا يملك شيئاً ليس لديه أي فرصة للسعادة. مثلاً، منذ عدة سنوات قدّمت هذا السيناريو لطالب في المرحلة الثانوية: "لنفترض وجود فتاة في مدرستك، بدينة وخشنة الشعر وغير جميلة وتتعثر في مشيها وتُتأتيء في كلامها، وتُصارع لتُحقق النهايات الصُغرى في الامتحانات. هل يُمكنها أنْ تجد السعادة في الحياة؟"

فكر للحظة ثم أجاب: "غالباً لا".

في هذا الملكوت الأرضي حيث يعيش الناس مُعتمدين بالكامل على المظهر الخارجي، يكون هذا الطالب مُحقاً. حيث السعادة تُساوي المظهر الحسن، أو العلاقات مع أشخاص مهمين، أو الوظيفة المُغرية أو حساباً ضخماً في البنك. وأنَّ الحياة الخالية من هذه "الخيرات" تعادل اليأس.

المُعادلة الوحيدة للهُوِيّة المعمول بها في ملكوت الله هي "أنت" زائد "المسيح" يساوي الكمال ومعنى الوجود.

لكنَّ الحياة في ملكوت الله لا مكان فيها لمعادلتي "النجاح يساوي السعادة" و"الفشل يساوي اليأس" فكل شخص له نفس الفرصة بالتساوي في حياة لها هدف ومعنى. لماذا؟ لانَّ النجاح والمعنى في الحياة ليسا نتيجة لما تمتلك أو ما لا تمتلك، ما تعمل أو ما لا تعمل. مُسبقاً أنت شخص كامل وحياتك لها معنى أبدي بسبب هُوِيّتك كابن لله. المُعادلة الوحيدة للهُوِيّة المعمول بها في ملكوت الله هي "أنت" زائد "المسيح" يساوي الكمال والمعنى.

ربما تسأل: "إذا كانت هُوِيّتنا في المسيح هي المفتاح للكمال، لماذا يعاني الكثير من المؤمنين من عدم تقدير الذات، وعدم النمو والنضوج الروحيين؟" لأنَّنا خُدعنا من العدو. لقد شوّه المخادع الأعظم هُوِيّتنا الحقيقية في المسيح.

لقد فهمت هذه الخدعة منذ عدة سنوات عندما كنت أقوم بالمشورة لفتاة مسيحية كانت ضحية لضغوط شيطانية. سألتها: "مَنْ أنتِ؟" أجابت: "أنا شريرة".

– "أنتِ لستِ شريرة. كيف يُمكن لابنة لله أنْ تكون شريرة؟ هل هكذا ترين نفسك؟" فأومأت برأسها: نعم.

ربما فعلت بعض الأمور السيئة، لكنَّها لم تكن هي نفسها شريرة. لقد

كانت تعتمد في تحديد هُوِيّتها على مُعادلة خاطئة. لقد تركت شكاية إبليس على سلوكها تُحدّد فهمها لهُوِيّتها بدلاً من أنْ تدع هُوِيّتها ـ كبنت لله في المسيح ـ تُحدّد سلوكها.

للأسف الكثير من المسيحيين ساقطين في نفس الحفرة. نفشل، فنرى أنفسنا كفاشلين، الأمر الذي يقودنا إلى المزيد من الفشل. نخطئ، فنرى أنفسنا كخطاة، الأمر الذي لا يقودنا إلاّ إلى المزيد من الخَطيَّة. صرنا مُبتلعين من معادلة إبليس العقيمة. لقد خَدَعنا بالاعتقاد أنَّ ما نفعله يُحدد هُوِيّتنا. هذا الاعتقاد الكاذب يقودنا إلى الانحدار في اليأس والهزيمة.

ميراثنا الإيجابي من آدم قبل السقوط

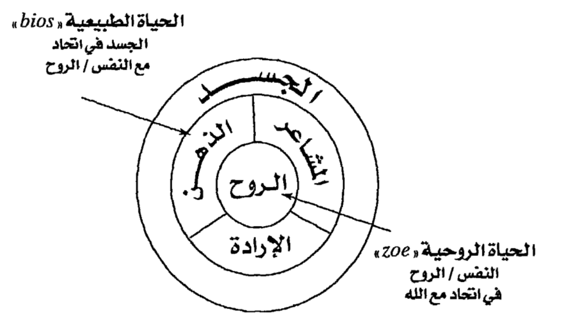
لكي تعرف "مَنْ أنت" بالحقيقة، تحتاج لفهم الهُوِيّة التي ورثتها عن آدم. إنّني كمهندس سابق أحب أنْ أوضح بالرسم ما أتكلم عنه، لذلك وضعت رسماً توضيحياً بسيطاً لأساعدك على تصور الحالة الأصلية لهُوِيّتنا الإنسانية (أنظر الرسم رقم ١ – أ).

إنَّ سفر التكوين ٢:٧ يقول: "وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حيّة." كانت هذه بدايتنا جميعاً. خلق الله آدم، أول البشر أبونا الأول، وعلى شبهه ولدنا جميعاً.

لسنوات كثيرة اختلف اللاهوتيين فيما إذا كان أفراد الجنس البشري مُكونين من جزءين أم ثلاث. فالقائلين "بالتركيب الثلاثي" يرون أنَّنا مكونين من الجسد، والنفس (التي تحتوي الذهن، والمشاعر والإرادة) والروح. والقائلون "بالتركيب الثنائي" يعتقدون بأنَّ الإنسان ببساطة مادي ولا مادي، له جسد ونفس أو روح.

لا أعتقد أنَّه من المهم أنْ تؤمن "بالتركيب الثنائي" أو "بالتركيب الثلاثي" إذ يكفي القول بأنَّ كياننا الخارجي، الجسد الطبيعي يتصل بهذا العالم من

الإنسان قبل السقوط
تكوين ١، ٢



يحيا لهدف: تكوين ١: ٢٨	كان للإنسان هدف إلهى.
آمن ومطمئن: تكوين ١: ٢٩	كل احتياجات الإنسان كانت مسدده.
مُنتم: تكوين: ٢: ١٨	كان لدي الإنسان إحساس بالانتماء.

« bios » = النفس في اتحاد مع الجسد.
« *zoe* » = النفس في اتحاد مع الله.

الرســـم ١-أ

خلال الحواس الخمسة. وكياننا الداخلي مخلوق على صورة الله (تكوين ١: ٢٦، ٢٧). في الكيان الداخلي يوجد الذهن الذي يُمكّننا من التفكير، والمشاعر التي تُمكّننا من الإحساس، والإرادة التي تمكننا من الاختيار. البعض يُسمون هذا الجزء الثلاثي الأبعاد بالنفس. والروح إما مُتحدة بالنفس في الكيان الداخلي (كما يقترح القائلون بالتركيب الثنائي) أو مُنفصلة عنها (كما يرى القائلون بالتركيب الثلاثي).

بغض النظر عن عدد الأجزاء التي يتكون منها آدم، ففي بدء الخليقة عندما نفخ الله في أنفه نسمة الحياة، كل جزء منه تَفَجّر بالحياة. كان آدم مملوءاً بالحياة، جسدياً وروحياً.

حيّ جسدياً

يُقدم العهد الجديد كلمة *bios* كوصف جيد للحياة الطبيعية التي ورثناها من آدم. كلمة *bios* تصف الاتحاد بين الجسد الطبيعي والكيان غير المادي أي الذهن، والمشاعر والإرادة. أنْ تكون حيّ جسدياً هو أنْ تكون في اتحاد مع جسدك. أنْ تموت جسدياً هو أنْ تنفصل عن جسدك الزمني، وتنتهي ال *bios*. يقول بولس أنْ نغيب عن الجسد هو أنْ نكون حاضرين عند الرب (٢كورنثوس٥: ٨). بالنظر إلى هذه الآية نجد أنَّ الهُويّة المسيحية شيء أعمق من الخصائص الجسدية والمواهب الطبيعية، لأنَّ الجسد يُترك جانباً بالموت عندما يذهب الكيان الحقيقي ليكون مع الرب.

بالرغم من أنَّ هُويّتك الأساسية أعمق من كونها جسدية طبيعية، ففي هذه الحياة لا يُمكن أنْ تحيا بدون الجسد الطبيعي. فلكي تكون ال *bios* ممكنة فإنَّ كيانك غير المادي يحتاج إلى كيانك المادي، والعكس صحيح.

مثلاً، المخ يُمثل الكمبيوتر والعقل غير المادي (الذهن) يُمثل مُبَرمج الكمبيوتر. لا يُمكن أنْ يعمل الكمبيوتر بدون مُبَرمج، كذلك المُبَرمج لا يُمكنه صنع برامج بدون كمبيوتر. أنت تحتاج إلى المخ المادي لكي تتحكم في حركتك

وردود أفعالك، وتحتاج إلى ذهنك غير المادي لكي تفكر وتُقيّم الأمور. الواحد لا يعمل بدون الآخر. إنَّ أرقى عينة من المخ البشري تعجز عن إنجاز أي شيء إذا كانت موجودة في جثة بدون العقل. كما يُمكن أنْ يكون لك أفضل قدرة على التفكير في العالم، لكن إذا كنت مُصاباً بتلف في المخ بسبب مرض «الزهيمرز *Alzheimers*»[1] فلن يُمكنك إنجاز عمالك بشكل جيد.

لكي أستمر في الوجود في العالم الطبيعي، فأنا أحتاج إلى جسدي الطبيعي. لهذا على الأهتمام بجسدي بقدر ما أستطيع، عن طريق التمارين الرياضية، والطعام المناسب، الخ. لكنْ واقع الأمر أنَّ جسدي قابل للفساد والتحلل، فلست كما كنت عليه قبل عشرين سنة مضت، وليس لدي توقعات كبيرة بالنسبة للعشرين سنة القادمة. في ٢كورنثوس ٢:٥-٤ يصف بولس جسد المؤمن بالخيمة، مكان السكن المؤقت للنفس. مُستخدماً وصفه، يجب عليَّ الاعتراف بأنَّ أوتاد خيمتي بدأت تنقلع، وتهبط أعمدتي وتبلى شُققي! في هذا العمر، أنا سعيد لامتلاكي ما هو أكثر من سترتي الأرضية التي أجول بها.

حيّ روحياً

لقد ورثنا أيضاً من آدم القدرة على الحياة الروحية. كتب بولس مُشيراً لحياة المؤمن الروحية، التي لا تشيخ ولا تتحلل مثل القشرة الخارجية: "لذلك لا نفشل بل وإنْ كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً (٢كورنثوس ١٦:٤). أنْ تكون حيّ روحياً ـ الحالة التي وصفها العهد الجديد بكلمة *zoe* ـ يعني أنَّ روحك أو نفسك في اتحاد مع الله. هذه هي الحالة التي خُلق عليها آدم ـ حيّ جسدياً وحيّ روحياً، في اتحاد كامل مع الله.

أما بالنسبة للمسيحي، أنْ يكون حيَ روحياً يعني أنْ يكون متحداً بالله، بأنْ يكون "في المسيح". بهذه الطريقة استخدم العهد الجديد كلمة *zoe*. في الحقيقة، أنْ نكون "في المسيح" هو موضوع العهد الجديد. لقد خُلقنا مثل آدم،

(١) فقدان تدريجي للقدرة العقلية بسبب تحلل خلايا المخ. (المترجم).

لنكون في اتحاد مع الله. لكنْ كما سنرى لاحقاً في هذا الفصل أنَّ آدم أخطأ وانقطع اتحاده واتحادنا مع الله. إنَّ خطة الله الأبدية هي استعادة البشرية لنفسه، واسترداد اتحاده مع آدم والشركة التي كان يستمتع بها معه في بدء الخليقة. إنَّ صُلب هُويّتنا هو استرداد الاتحاد مع الله في المسيح.

يحيا لهدف

في بدء الخليقة، كان للإنسان شأن عظيم إذ كان له سلطان على جميع مخلوقات الله الأخرى: "وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض. فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم" (تكوين ١:٢٦،٢٧).

خلق الله آدم وخصّه بهدف إلهي من وجوده وهو التسلط على كل الخليقة. هل كان الشيطان في المشهد عند بدء الخليقة؟ نعم. هل كان إبليس رئيساً لهذا العالم في ذلك الحين؟ لا مطلقاً. إذن مَنْ الذي كان له السلطان في الجنة؟ لقد كان آدم هو المُتسلط، إلى أنْ أغتصب الشيطان سلطانه بالخداع. منذ ذلك الحين أصبح إبليس هو رئيس هذا العالم.

هل تعلم أنَّ سلطان آدم الذي مارسه قبل السقوط قد تم استرداده لك أنت كمسيحي؟ هذا جزء من ميراثك في المسيح. لم يعد للشيطان أي سلطان عليك الآن، بالرغم من هذا فسيُحاول خداعك، بدفعك للاعتقاد بأنَّه مازال يملك هذا السلطان. أنت الذي لك سلطان عليه، بسبب مكانتك في المسيح. فهذا جزء من هُويّتك.

آمن ومطمئن

كان آدم يتمتع بالإحساس بالأمان والطمأنينة. فقد كانت كل احتياجاته مُسدّدة. سِفر التكوين ١:٢٩،٣٠ يُخبرنا: "وقال الله إنّي قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزراً

على وجه كل الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزراً لكم يكون طعاماً. ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دبّابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب اخضر طعاماً." لم يكن يُعوز آدم شيء في الجنة، كان عنده الطعام الوفير له ولجميع الحيوانات التي يرعاها. كما كان يُمكنه الأكل من شجرة الحياة ويحيا إلى الأبد في محضر الله. لم يكن ينقصه شيء.

الأمان والطمأنينة هما وجه آخر لميراثنا في المسيح، فقد وهبنا الله كل غنى ملكوته وأعطانا وعده بتسديد كل احتياجاتنا (فيلبي ٤:١٩).

مُنتمٍ

اختبر آدم وحواء شعوراً بالانتماء في تلك الجنة الكاملة. من الواضح أنَّ آدم تمتّع بعلاقة شخصية حميمة مع الله قبل ظهور حواء في المشهد. ثم أدخل الله آدم إلى بُعد آخر من الانتماء: "وقال الرب الإله ليس جيداً أنْ يكون آدم وحده. فاصنع له معينا نظيره" (تكوين ٢:١٨). الله أعطى حواء لآدم ـ وآدم لحواء ـ لكي يُغني اختباره للانتماء.

أنا أؤمن أنَّ الإحساس الحقيقي بالانتماء اليوم لا يأتي فقط من خلال إدراكنا أنَّنا ننتمي لله، لكنْ أيضاً من خلال انتماءنا بعضنا لبعض. بخلقه حواء، وضع الله أسس المجتمع الإنساني. ليس جيداً أنْ نكون وحدنا. فالعزلة تقود إلى الشعور بالوحدة. علاج الله الوقائي من الشعور بالوحدة هو العلاقات الحميمة أي العلاقات الهادفة، التي نتشارك فيها بانفتاح بعضنا مع بعض. في المسيح يُمكّننا أنْ نجد الانتماء المُشبع من خلال العلاقة الحميمة مع الله والمؤمنين الآخرين.

ميراثنا السلبي من السقوط

بكل أسف لقد فسد الترتيب المثالي لجنة عدن. الإصحاح ٣ من سفر التكوين يُخبرنا القصة المُحزنة عن فقدان آدم وحواء لعلاقتهما الحميمة مع الله بسبب

الخطية. كان لسقوط الإنسان تأثير مأساوي فوري وواسع النطاق مُفسداً لجميع النسل البشري.

الموت الروحي

ما الذي حدث لآدم وحواء روحياً بسبب السقوط؟ لقد ماتا روحياً. لقد انقطع اتحادهما مع الله وانفصلا عنه. لقد قال الله مُحذراً: "وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. لأنَّك يوم تأكل منها موتاً تموت" (تكوين ٢:١٧). لكنَّهما أكلا وماتا. هل ماتا جسدياً؟ لا، فقد عاشا مئات السنين، لكنَّ الموت بدأ يعمل في جسديهما منذ تلك اللحظة.

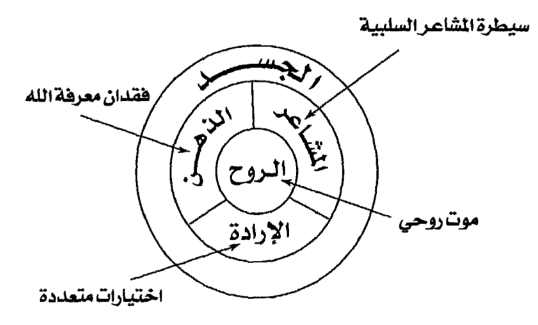
لكنَّهما ماتا روحياً في الحال؛ لقد دُمِّرت "الـ*zoe* ، وطُرِحا من محضر الله وطُردا من الجنة ومُنعا من الدخول بكاروبيم له لهيب سيف متقلب (تكوين٣:٢٣،٢٤).

تماماً كما ورثنا من أبوينا الأولين الحياة الجسدية، كذلك ورثنا منهما الموت الروحي (رومية ٥:١٢؛ أفسس ٢:١؛ ١كورنثوس ١٥:٢١،٢٢). لذا فكل إنسان يولد حيّ جسدياً لكن ميت روحياً، أي مُنفصل عن الله.

فقدان معرفة الله

كيف أثَّر السقوط على ذهن آدم؟ لقد فقد آدم وحواء القدرة على رؤية الحقيقة. نقرأ في "تكوين٣:٧،٨" أنَّهما أرادا الاختباء من الله. كيف يُمكنك الاختباء من الله؟ بعد السقوط لم يعد لآدم وحواء القدرة على التفكير الصحيح. رؤيتهما المُشوهة للحقيقة تعكس ما وصفه بولس "بالذهن البطال" عند الذين لا يعرفون الله: "... كما يسلك سائر الأمم أيضاً ببطل ذهنهم. إذ هم مظلمو الفكر ومتجنبون عن حياة الله لسبب الجهل الذي فيهم بسبب غلاظة قلوبهم" (أفسس٤:١٧،١٨).

الإنسان بعد السقوط
تكوين ٣: ٨ - ٤: ٩



١- مرفوض: لذلك يحتاج للانتماء.
٢- الذنب والعار: لذلك يحتاج للشعور بقيمة الذات.
٣- ضعف وعجز: لذلك يحتاج للقوة وضبط النفس.

ملحوظة: كل السلوكيات الخاطئة هي محاولات فاشلة لإشباع الاحتياجات الأساسية. جوهر الخطية هو محاولة الإنسان الحياة مستقلاً عن الله الذي قال أنه سيسدد كل احتياجاتنا مادمنا نعيش حياتنا المسيحية.

الرسم ١-ب

في المسيح يُمكننا أنْ نعرف الله بشكل شخصي.
علاقتنا مع الله من خلال المسيح هي حجر الزاوية في هُويّتنا.

الأمر الجوهري، هو أنَّه عندما أخطأ آدم وحواء فقدا المعرفة الحقيقية لله. ففي تصميم الله الرئيسي للكيان البشري، تأتي العلاقات الحميمة كأساس للمعرفة. فلكي تعرف شخصاً ما يتحتّم عليك أنْ تكون في علاقة شخصية حميمة معه، يُمكنك رُؤية ذلك في تكوين ٤:١ "وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين. وقالت اقتنيت رجلاً من عند الرب." لكنَّنا كبشر لا نُساوي بين معرفتنا لشخص ما والعلاقة الشخصية الحميمة معه.

قبل السقوط كان آدم وحواء يعرفان الله عن قرب من خلال علاقة شخصية حميمة كالتي نراها في الزواج. كانا يعرفان الله لأنَّهما كانا مع الله. عندما سقطا وطرحا من حضرة الله، فقد آدم وحواء علاقتهما مع الله وكذلك معرفتهما به، المعرفة التي كانت جزءً جوهرياً من هذه العلاقة. وهكذا ورثنا عن آدم وحواء ذهناً مُظلماً. قبل أنْ نُولد من جديد، كنا نعرف أشياءً عن الله، لكنَّنا لم نكن نعرف الله لأنَّنا لم نكن في علاقة معه.

تأتي حتمية أنْ نكون في علاقة مع الله لكي نعرفه، في صُلب إعلان إنجيل يوحنا: "الكلمة «لوجوس» في اليونانية صار جسداً" (يوحنا ١٤:١). كان لهذه الجملة مغزاها العميق في عالم مُتأثر إلى حد بعيد بالفلسفة اليونانية القديمة. ترجع كلمة "لوجوس" إلى قرون قبل المسيح، وكانت تعني أعلى مستوى من المعرفة الفلسفية. بالنسبة لليونانيين القول أنَّ "اللوجوس" صار جسداً كان يساوي القول أنَّ المعرفة العُظمى صارت شخصاً يُمكنك التواصل معه كذلك في العبرية كلمة «دَبار *dabar*» والتي تُترجم "كلمة" تحمل معنى حكمة الله العليا.

إنَّ إنجيل يوحنا يأتي بهاتين الثقافتين وهذين المفهومين العريضين ليجمعهما في المسيح "الكلمة". أعلن الله من خلال يوحنا، أنَّ المعرفة الحقيقية

والتي لا يُمكن اكتشافها إلاّ من خلال علاقة حميمة معه، أصبح بإمكان الناس الآن الحصول عليها من خلال الله الظاهر في الجسد يسوع المسيح. في المسيح يُمكننا أنْ نعرف الله شخصياً. علاقتنا مع الله من خلال المسيح هي حجر الزاوية في هُويّتنا.

سيطرة المشاعر السلبية

كيف أثّر السقوط على المشاعر الإنسانية؟ لقد أصبحنا خائفين وقلقين. أحد أول المشاعر التي اختبرتها البشرية الساقطة كان الخوف (تكوين٣:١٠). اليوم، الخوف هو الشعور المُتحكم في علاقاتنا وتصرفاتنا. منذ سنتين تقريباً وعظ في كنيستنا مسؤول بإحدى الطوائف قائلاً: "كلّما تحدثت مع الرعاة في طائفتنا وجدت أنّ الدافع الأساسي في حياتهم هو الخوف من الفشل." الخوف هو نتيجة السقوط. لا يُمكن للإيمان أنْ يقود حياتك إذا كان الخوف هو الذي يقودها.

شعور آخر أتى نتيجة للخطية هو العار والذنب. كان آدم وحواء عريانين قبل أن يعصيا الله لكنَّهما لم يشعرا بالخجل (تكوين ٢:٢٥). لقد خلقهما الله ووضع فيهما غريزة الجنس. كانت أعضاءهما الجنسية مُقدسة. لكنْ عندما سقطا شعرا بالعار لكونهما عريانين وكان لابد لهما أن يتغطيا (تكوين ٣:٧). واليوم نرى الكثير من الناس يغطون كيانهم الداخلي خوفاً من أنْ يراهم الآخرون على حقيقتهم.

كذلك بعدالسقوط أصبح البشر مُكتئبين وغاضبين. قدم قايين قرباناً لله، لكنَّ الله لسبب ما لم يُسر بقربانه. يُخبرنا الكتاب القُدس: "ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر. فاغتاظ قايين جداً وسقط وجهه. فقال الرب لقايين لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك. إنْ أحسنت أفلا رفع. وإنْ لم تُحسن فعند الباب خَطيَّة رابضة واليك اشتياقها وأنت تسود عليها" (تكوين ٤:٥-٧).

لماذا اكتئب وغضب قايين؟ لأنّه لم يفعل ما هو صواب كأنّي أسمع الله

يقول له: " فقط، لو فعلت ما هو صواب لما شعرت بهذا الألم والاكتئاب."

أنا أعتقد أنَّ الله وضع هنا قاعدة يتردد صداها عبر الكتاب المُقدّس وهي أنَّ المشاعر الطيبة لا تقود للسلوك الصحيح، لكنَّ السلوك الصحيح هو الذي يقود للمشاعر الطيبة. هناك الكثير من الأمور التي لا تشعر بالرغبة في فعلها لكنَّك تفعلها. فأنا مثلاً لا أشعر أبداً بالرغبة للذهاب إلى المستشفي من أجل الخدمة، ولحظة دخولي إليها تقضي رائحة المكان وحدها على أي شعور إيجابي بالرغبة في الوجود هناك. لكني دائماً أترك المكان وأنا أشعر بالسعادة لأنّي ذهبت إلى هناك. المشاعر الطيبة تتبع دائماً السلوك الصحيح.

اختيارات مُتعددة

خَطِيَّة آدم وحواء أثرت أيضاً على دائرة الإرادة. هل لاحظت أنَّ في الجنة لم يكن أمامهما إلاّ اختيار خطأ واحد فقط؟ لم يكن باستطاعتهما إلاّ عمل اختيار واحد فقط خطأ. كل ما كانا يُريدان أنْ يفعلا كان صالحاً، إلا الأكل من شجرة معرفة الخير والشر (تكوين ٢:١٦،١٧). كان باستطاعتهما اتخاذ ملايين الاختيارات الصالحة في مُقابل اختيار واحد فقط خطأ ـ واحد فقط!

لكنْ في النهاية، اتخذا هذا الاختيار الواحد الخطأ. ونتيجة لذلك نواجه، جميعنا اليوم الملايين من الاختيارات الصالحة والشريرة. بإمكانك اختيار أنْ تُصلي أو لا تُصلي، أن تقرأ الكتاب المُقدّس أو لا تقرأ، أن تذهب للكنيسة أو لا تذهب. بإمكانك أنْ تسلك حسب الجسد أو حسب الروح. كل يوم أنت وأنا نواجه عدداً لا نهائياً من هذه الاختيارات، لكنّنا نتخذ بعض الاختيارات السيئة.

الامتيازات أصبحت احتياجات

للخَطِيَّة تأثير آخر بعيد المدى وهو تَحوّل الامتيازات التي تمتّع بها الإنسان قبل السقوط إلى احتياجات مُلِحّة بعد السقوط. أرى هذا التحوّل في ثلاث دوائر للاحتياجات، كل واحد منها يمتد بعمق في حياتنا.

١- ***القبول استبدل بالرفض، لهذا نحتاج دائماً للشعور بالانتماء.*** حتى قبل السقوط كان آدم يحتاج للانتماء. كان احتياجه للانتماء لله يُسَدَّد عن طريق العشرة الحميمة معه في الجنة. كل الأمور في الجنة كانت جيدة، إلاّ شيئاً واحداً كان "ليس جيد" وهو أنَّ آدم كان وحده (تكوين ٢:١٨). وقد ملأ الله هذا الاحتياج بخلقه حواء.

منذ أنْ فَصلَت الخَطيَّة آدم وحواء عن الله وأدخلت الصراع إلى العلاقات الإنسانية، ونحن نُعاني احتياجاً عميقاً للانتماء. حتى بعد أنْ نأتي للمسيح ويُسدّد احتياجنا للعلاقة الحميمة مع الله، يبقى لدينا احتياج للانتماء لبشر آخرين. إنْ لم تسمح كنيسة ما بالعلاقات المسيحية الصحيحة بين أعضائها فسيبحثون عنها في مكان آخر. اكتشف الباحثون في مجال نمو الكنيسة أنَّه بإمكان الكنيسة أنْ تأتي بالناس للمسيح، لكنَّهم إنْ لم يجدوا فيها أيضاً صديقاً، فستفقدهم بعد شهور قليلة. فالاتحاد الروحي لجماعة المؤمنين ـ المُسمّى في العهدالجديد بالشركة «كينونيا *koinonia*» ـ ليس من الكماليات المُستحسن توفرها في الكنيسة، لكنَّه أمراً يتحتّم على الكنيسة أنْ توفّره. لن نفهم قوة الضغط النفسي الذي يتعرض لها البشر في الزمن الحاضر من رفقاء جيلهم إلاّ إذا فهمنا الاحتياج الطبيعي الموجود داخل كل منا للانتماء وكذلك الخوف من الرفض.

٢- ***البراءة استبدلت بالذنب والخزي، لهذا نحتاج لاستعادة الشعور بقيمة الذات.*** يتفق الكثير من الأطباء النفسيين على أنَّ البشر اليوم يعانون بوجه عام من انعدام الشعور بقيمة الذات. الطب النفسي غير المسيحي يُحاول مُعالجة الأمر بتضخيم وتعظيم الذات الإنسانية والتشجيع على تحسين السلوك والعادات. أنا أتفق معهم في التشخيص؛ فالشعور بانعدام قيمة الذات هو من المشكلات البشرية منذ السقوط. لكنّي أختلف معهم في العلاج، فتعظيم الذات

وتضخيمها لن يقود الإنسان للشعور الصحيح بقيمة نفسه. هل حاولت مرة أنْ تقول لفتاة جميلة تعاني من صغر النفس: "لا يجب أنْ تشعرِي بذلك فأنتِ جميلة"؟ لن ينجح ذلك. فالشعور بقيمة الذات لا يرتكز على القدرات أو المواهب أو الذكاء أو الجمال. الشعور بقيمة الذات يرتكز على الهُوِيّة. شعورك بقيمتك يأتي من إدراكك لهُوِيّتك ومكانتك كابن لله. سوف نتحدث عن "هُوِيّتنا في المسيح" وكيف تؤثر على الشعور بقيمة الذات في الفصول القادمة.

٣- ***السلطان استبدل بالضعف والعجز، لهذا نحتاج للسيطرة وضبط النفس.*** ربما لاحظت محاولات البشر للسيطرة على أنفسهم وعلى الآخرين بطرق متعددة. الذين يتمتعون بالقوة الجسدية يضربون الآخرين، والبعض يتسلطون على مَنْ حولهم بالتذمر أو التهديد، وآخرون يقودون سيارات عملاقة ذات إطارات ضخمة وكأنَّهم يمتلكون العالم.

كلّ هذه الحِيَل لفرض السيطرة والقوة ما هي إلاّ مُحاولات لإثبات أنَّك سيد مَصيرك. قد يحلو لك الظن أنَّك تملك زمام الحياة وتتسلط على مَصيرك، لكنْ في الحقيقة أنت لا تستطيع ذلك، فلن تكون أبداً سيد مَصيرك. لأنَّ النفس البشرية لم تُخلق للعمل كسيد، فهي إما تخدم الله الإله الحقيقي أو إبليس إله هذا الدهر، الواحد أو الآخر.

كل السلوكيات الخاطئة هي مُحاولات فاشلة لتسديد هذه الاحتياجات الأساسية. السؤال الجوهري في هذا الموضوع هو هل ستُحاول تسديد هذه الاحتياجات بالخضوع للعالم، والجسد والشيطان أم ستتجه لله ليملأ كل احتياجاتك "بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع " (فيلبي ٤: ١٩)؟ هذا موضوع هُوِيّة ونضوج. كلّما أدركت هُوِيّتك في المسيح كلّما ازددت نضجاً، وكلّما ازددت نضجاً سَهُل عليك اختيار الإجابة الصحيحة بالنسبة للسؤال السابق.

لقد أشرنا في هذا الفصل إلى أنَّ هُوِيَّة المؤمن الحقيقية غير مؤسَّسة على ما يفعله أو ما يمتلكه، ولكنْ على مَنْ هو في المسيح. وألقينا نظرة على الميراث الإيجابي الذي ورثناه من آدم وحواء، لكن اكتشفنا أنَّ هُوِيّتنا الروحية وكل ما يترتب عليها قد فقدناه في السقوط.

هل هناك طريق للخروج من هذه الورطة؟ نعم بكل تأكيد. آدم الأول الساقط، تبعه آدم الأخير المُنتصر يسوع المسيح. لقد استرد لنا الهُوِيّة التي فقدناها عندما طردنا من الجنة. انتصار المسيح وما حققه لنا هو موضوع الفصل التالي.

(i) Maurice Wagner, *The Sensation Of Being Somebody* (Grand Rapids, MI:Zondervan Publicating House, 1975),p. 163

٢

مُختلفاً إلى الأبد

تصوّر معي شاب لديه مفهوماً خاطئاً عن الرجولة، لنُسميه «بيف». «بيف» مَحَطّ أنظار الجميع في مدرسته، وهو يرى نفسه كتلة من الغدد اللّعابية وبراعم التذوق والدوافع الجنسية. كيف يقضي «بيف» وقته وهو يرى نفسه بهذه الصورة؟ إنَّه يأكل كل شيء أو أي شيء يقع عليه بصره دون النظر إلى قيمته الغذائية. ويُطارد كل ما يتحرك في فستان، لكنْ هناك بريقاً خاصاً في عينيه نحو قائدة المُشجعين الجميلة «سوزي».

يوماً ما كان «بيف» يطارد الجميلة «سوزي» في كل المدرسة، ولاحظه مُدرب فريق العَدْو وقال في نفسه: "هذا الشاب يمكنه العَدْو جيداً!" بادره قائلاً: "لماذا تنضم إلى فريق العَدْو؟" "لا، أنا مشغول جداً" أجابه "بيف" وهو ينظر بطرف عينه إلى «سوزي».

لكنَّ المُدرب لم يقبل "لا" كرد منه، واستطاع أخيراً إقناعه بالعَدْو. بدأ "بيف" بالتدريب مع فريق التتابع واكتشف حسن مستواه، فغيّر عاداته في الأكل والنوم وبدأت قدراته تتحسن فحقّق الفوز في بعض السباقات وأصبح معروفاً.

في النهاية دُعي «بيف» إلى سباق كبير في دوري الولاية. فحضرللملعب مبكراً "للتسخين". لكن قبل بدء المباراة بدقائق توقع مَنْ حضر؟ إنَّها الجميلة «سوزي». لقد كانت تبدو أكثر جمالاً وجاذبية، اقتربت بجسدها قليلاً نحو «بيف» وفي يدها فطيرة تفاح عليها الكثير من الآيس كريم وقالت برقّة ":اشتقت

إليك كثيراً يا «بيف». إذا أتيت معي الآن، فستحصل على كل هذا وعليّ أيضاً."

- "مُستحيل، يا سوزي." أجاب «بيف».

- "ولم لا؟" تساءلت متجهمة.

- "لأنّي عَداء."

ما الذي اختلف في «بيف»؟ ماذا حدث لدوافعه وغدده؟ فهو مازال نفس الشاب الذي كان يأكل ثلاث سندوتشات من "الهامبرجر" وكيسين من البطاطس المقلية والكثير من المياه الغازية ولا يهتز له رمش. كذلك هو نفس الشاب الذي كان يتحرّق شوقاً ليقترب إلى الجميلة «سوزي». لكن رؤيته لنفسه اختلفت. لم يعد يرى نفسه ككتلة من الشهوات الجسدية بل كعداء مُحترف. كان هدفه المُشاركة في البطولة. ، وما عرضته عليه «سوزي» كان مُتعارضاً مع هذا الهدف ومع رؤيته لذاته.[i]

دعونا نذهب بهذا المثال خطوة أخرى للأمام. لنقل أنَّ العَدَّاء هو «إريك ليدل» الذي كان موضوع فيلم "مركبات نارية *Chariots of Fire*" لقد كان مكرساً للمسيح وقد مثّل بلده اسكتلندا في الأولمبيات.(١)

عندما اكتشف «إريك ليدل» أنَّ موعد السباق سيكون يوم الأحد، قرّر الانسحاب من السباق بالرّغم من أنَّ فوزه كان مؤكداً، لقد فعل ذلك لأنّه كان يُكّرس يوم الأحد للرب بعدم العَدْو. لماذا لم يعَدْو «إريك ليدل»؟ لأنَّه كان ابناً لله أولاً. هُوِيّته الروحية، ورؤيته لنفسه وهدفه في الحياة تحكّمت في ما فعله.

كثير من المسيحيين لا يتمتعون بالنضوج والحرية التي هي ميراثهم في المسيح بسبب تمسكهم برؤية خاطئة لأنفسهم. فهم لا يرون أنفسهم على حقيقتها في المسيح. لأنَّهم لا يُدركون التغيير الجذري الذي حدث لهم لحظة إيمانهم بالمسيح. ولا يرون أنفسهم كما يراهم الله، ويُعانون إلى درجة كبيرة من صغر النفس أو لديهم صورة سلبية عن أنفسهم. فهم لا يُدركون هُوِّيتهم

---

(١) *Eric Liddell* ابن لمرسل اسكتلندي إلى الصين، وبطل العدو الحاصل على الميدالية الذهبية في سباق ال٤٠٠ متر، والبرنزية لـ ٢٠٠ متر، في أولمبيات باريس ١٩٢٤. عاد للصين سنة ١٩٢٥ لمساعدة أبوه في الخدمة توفي في أحد معسكرات الأسر اليابانية إثناء الحرب العالمية الثانية على أثر ورم في المخ. (المترجم).

الحقيقية في المسيح، ويُقارنون ذاتهم بآدم الساقط.

التغيير الجذري الذي يُجريه آدم الأخير

كثير من المسيحيين يُحّددون هُويّتهم بمُقارنة أنفسهم مع آدم الأول، الذي نقرأ قصة سقوطه في سِفر التكوين من إصحاح ١ إلى ٤، نحن جزء من عائلة آدم وحواء، وقد أقمنا زماناً طويلاً خارج جنة عدن؛ ونعلم أنّنا أفسدنا الجنة وفقدناها إلى الأبد. كما أنّنا لا نستطيع الامتناع عن تكرار سقوط آدم في كل يوم من أيام حياتنا.

لقد ورثت بالتأكيد حياة جسدية من آدم، لكنْ إن كنت قد قبلت المسيح فهذا يُنهي التشابه بينك وبين آدم. الآن أنت تُشابه آدم الأخير، يسوع المسيح. لم تعد معزولاً خارج حضور الله مثل آدم. أنت جالس مع المسيح في السماويات (أفسس ٢:٦). الاختلاف بين آدم الأول وآدم الأخير يصنع فرقاً أبدياً وجذرياً في تاريخ حياتك. يجب عليك التأكد من أنّك تُشابه آدم الأخير المُنتصر.

اعتماد لا نهائي على الله

أول ما نلاحظه عن المسيح، آدم الأخير، هو اعتماده الكامل على الله الآب. اعتمد آدم الأول على الله إلى حين، ثم استقّل عنه نهائياً، عندما اختار تصديق كذب الحية عن شجرة معرفة الخير والشر. لكنّ يسوع كان مُعتمِداً كلياً على الآب. فقد قال: "أنا لا اقدر أنْ افعل من نفسي شيئا" (يوحنا ٥:٣٠)؛ "أنا حيّ بالآب" (يوحنا ٦:٥٧)؛ "خرجت من قبل الله وأتيت. لأنّي لم آت من نفسي بل ذاك أرسلني" (يوحنا٨:٤٢)، "الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكنّ الآب الحال فيَّ هو يعمل الأعمال (يوحنا١٤:١٠).

حتى في جوعه بعد صيام٤٠ يوماً، عندما جاء إبليس ليُجّربه بتحويل الحجارة إلى خبز، أجاب: "مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة

تخرج من فم الله" (مت٤:٤) وعندما أوشكت خدمته الأرضية على الانتهاء، نرى في صلاة يسوع الشفاعية أنَّ اعتماده على الآب ظل ثابتاً كما هو: "والآن علموا أنَّ كل ما أعطيتني هو من عندك" (يوحنا ١٧:٧). أعطى يسوع المثال عن كيفية الاعتماد على الله ١٠٠٪.

حياة روحية لا تنقطع

فرق ثاني جوهري بين آدم الأول وآدم الأخير يتعلق بالحياة الروحية. خُلق آدم حي جسدياً وروحياً، لكنْ عندما أخطأ مات روحياً. ومن ذلك الوقت يولد جميع البشر أموات روحياً باستثناء شخص واحد هو: يسوع المسيح. مثل آدم الأول، ولد يسوع حيّ روحياً وجسدياً هذه إحدى الأسباب التي تجعلني لا اشعر بمشكلة في الإيمان بميلاده العذراوي. كان يجب أنْ يُحبَل به بروح الله ويولد حيّ روحياً، ليحل مكان آدم الأول الساقط.

لم يُبق يسوع حياته الروحية (الZoe) سراً، بل أعلن جهاراً: "أنا هو خبز الحياة" (يوحنا ٦:٤٨)؛ "أنا هو القيامة والحياة" (يوحنا١١:٢٥)؛ "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يوحنا ١٤:١٦). الرسول يوحنا أدرك الرسالة وأعلن عن المسيح: "فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس" (يوحنا ١:٤).

لكن على خلاف آدم الأول، لم يخسر يسوع حياته الروحية في أية لحظة بالوقوع في الخَطِيَّة بل حفظ حياته الروحية حتى الصليب، هناك مات حاملاً خطايا العالم، مُستودعاً روحه في يد الآب بعد انتهاء حياته الجسدية (لوقا ٤٦:٢٣). وهو الآن بجسد القيامة المُمجد، يحيا إلى الأبد مع الآب.

ما هو الفرق الذي يصنعه فينا اختلاف المسيح عن آدم؟

الفرق بين آدم الأول و آدم الأخير يعني بالنسبة لنا الفرق بين الموت والحياة. ١كورنثوس ٢٢:١٥ تُلخّص في أفضل صورة هذا الفرق المُحيي: "لأنَّه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع." قبل أنْ نُركّز على الفرق

بين الموت والحياة، أريد أنْ ألفت انتباهك إلى الجملة التي تؤهلنا للحياة إنَّها "*في المسيح*".

كل ما سنتكلم عنه في الفصول القادمة مؤسس على حقيقة أنَّ المؤمنين هم "*في المسيح*". الوجود في المسيح، وكل ما يعنيه ذلك بالنسبة للنضوج المسيحي والحرية هو الموضوع المحوري في العهد الجديد. مثلا: في الإصحاحات الست من رسالة أفسس وحدها هناك ٤٠ مرجعاً يُشير لكونك في المسيح أو المسيح فيك. كل مرجع يتكلم عن أنَّ المسيح فيك تقابله عشرة مراجع تتكلم عن أنَّك في المسيح. العنصر الأساسي في هُويَّتنا هو أننا في المسيح.

الحياة الجديدة تتطلب ميلاداً جديداً

لكنّنا لم نولد في المسيح. لقد ولدنا في الخَطِيَّة بسبب سقوط آدم الأول. كيف ينقلنا الله من آدم الأول لنصبح في المسيح؟ لقد أوضح يسوع في حديثه مع نيقوديموس أنَّه يجب أنْ نولد ثانية (يوحنا ٣:٣). الميلاد الطبيعي يُعطينا فقط الحياة الجسدية، لكنَّ الحياة الروحية، أو الحياة الأبدية التي وعد بها المسيح الذين يُقبلون إليه، لا يُمكننا الحصول عليها إلاّ من خلال الميلاد الروحي (يوحنا ٣٦:٣).

ماذا يعني أنْ تكونَ حيّ روحيا في المسيح؟ في لحظة ميلادك الروحي الجديد اتّحدت نفسك بالله، كما كان آدم مُتّحداً بالله قبل السقوط. لقد أصبحت روحياً حيّ وكُتب اسمك في سفر حياة الخروف (رؤيا ٢١:٢٧). لكنْ على خلاف آدم، اتحادك بالله كامل وأبدي لأنَّه مُعطى لك بواسطة المسيح، آدم الأخير. ستبقى حيّ روحياً طالما المسيح حيّ روحياً، ـ وهذا قطعاً إلى الأبد.

كما ترى ـ على عكس ما يعتقد الكثير من المسيحيين ـ فإنَّ الحياة الأبدية ليست شيئاً سوف تحصل عليه بعد الموت. أنت الآن حيّ في المسيح بسبب اتّحادك بالله في الميلاد الثاني الروحي، ولا يُمكنك أنْ تكون روحياً أكثر حياة مما أنت عليه الآن بعد الميلاد الجديد، الشيء الوحيد الذي سيتغيّر عندما

تموت جسدياً هو أنَّك ستستبدل جسدك الأرضي القديم بآخر جديد. لكنْ حياتك الروحية في المسيح التي بدأت عندما آمنت به بشكل شخصي، ستستمر كما هي.

الخلاص ليس أمراً ستحصل عليه في المستقبل، لكنَّه تغيير يحدُث فيك في الزمن الحاضر، في لحظة الميلاد الروحي الجديد وليس في لحظة الموت الجسدي. في اللحظة التي قلت فيها نعم للمسيح، انتهت ذاتك القديمة وولد كيانك الجديد والذي سيبقى حيّاً إلى الأبد. فالحياة الأبدية ليست أمراً تحصل عليه عندما تموت. الآن أنت تمتلك الحياة الأبدية لأنَّك في المسيح.

الحياة الجديدة تأتي بالهُوية الجديدة

ليس ما حصلت عليه من امتيازات هو جوهر كيانك كمسيحي، لكنْ أنْ تُصبح أنت نفسك شخصاً مُميّزاً. فالمسيحي ليس مُجرد شخص قد حصل على الغفران، وعلى السماء، وعلى الروح القُدس وعلى الطبيعة الجديدة. فهُويّة المسيحي العميقة، هي أنّه قديس، مولود روحياً كابن لله، عمل إلهي رائع، ابن للنور، مواطن سماوي. الميلاد الجديد يجعلك شخصاً جديداً لم يكن موجوداً من قبل. ليس محور حياتك هو ما تحصل عليه كمسيحي، لكنْ "مَنْ أنت". ليست أفعالك كمسيحي هي التي تحدّد "مَنْ أنت"؛ لكن "مَنْ أنت" هو الذي يُحدّد أفعالك. (٢كورنثوس ١٧:٥؛ أفسس ١٠:٢؛ ١بطرس ٩:٢،١٠؛ ١يوحنا ٣:١،٢).

> *لا أحد يستطيع السلوك بشكل ثابت ومُتناغم،*
> *لا يتناغم مع الطريقة التي يُدرك بها نفسه.*

لا يُمكنك أنْ تحيا الحياة المسيحية بنجاح، إنْ لم تفهم هُويّتك في المسيح. لا أحد يستطيع السلوك بشكل ثابت ومُتناغم، لا يتناغم مع الطريقة

التي يدرك بها نفسه. لو اعتقدت أنَّك عربيد لا نفع منك، في الغالب ستحيا كعربيد لا فائدة منه. لكنْ إن رأيت نفسك كابن لله حيٍّ روحياً في المسيح، فستختبر حياة النصرة والحرية مثله هو. أهم حقيقتين يُمكنك الحصول عليهما هما معرفة مَنْ هو الله ومعرفة مَنْ أنت.

هل تعي أنَّ هناك شخصاً يعمل ضدك بنشاط مُستميتاً ليمنعك من أنْ ترى نفسك حيِّ روحياً وكامل في المسيح؟ إنَّه الشيطان بالتأكيد. هو لا يستطيع فعل شيء يُدمِّر به مكانتك وهُويتك في المسيح، لكنْ إذا استطاع أنْ يخدعك بأكاذيبه ـ أنَّك غير مقبول عند الله ولا فائدة منك كمسيحي ـ فسيجعلك تعيش كأنَّ لا مكانة ولا هُويَّة لك في المسيح. سلاح إبليس الرئيسي الموجَّه ضد نموك ونضوجك في المسيح، هو خداعه لك فيما يتعلق بهُويَّتك.

الحياة الجديدة ينتج عنها لقب جديد

هل لاحظت أنَّ واحدة من أكثر الكلمات استخداماً للإشارة إلى المسيحيين في العهد الجديد هي كلمة "قدّيسين"؟ القدّيس هو شخص "مُقدّس"، لكن مع هذا يكثر بولس وباقي كاتِبِي الرسائل من استخدام هذه الكلمةً لوصف المسيحيين العاديين مثلي ومثلك. مثلاً: نقرأ تحية بولس في ١كورنثوس ١:٢ "إلى كنيسة الله التي في كورنثوس المقدّسين في المسيح يسوع المدعوين قدّيسين مع جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح في كل مكان...."

لاحظ أنَّ بولس لا يقول أنَّنا قدّيسون بسبب قيامنا بأعمال شاقة أو مميّزة هو يقول بوضوح أنَّنا قدّيسون بسبب "الدعوة". يؤمن البعض أنَّ القدّيسين هم الأشخاص الذين استحقوا هذا اللقب الرفيع بسبب حياتهم الرائعة أو تحقيقهم مستوى عال من النضوج. لكنَّ الأمر ليس كذلك إطلاقاً. الكتاب المُقدّس يقول: أنت قدّيس لأنَّ الله دعاك قدّيساً. لقد "تقدّست في المسيح" ـ صرت قدّيساً باشتراكك في حياة القُدّوس الحقيقي الوحيد، يسوع المسيح.

الكثير من المسيحيين يرون أنفسهم كخطاة مُخلّصين بالنعمة. لكن هل

أنت حقاً خاطئ؟ هل هذه هي حقيقتك كما يُعلنها الكتاب المُقدّس؟ كلا، مطلقاً. الله لا يدعوك خاطئاً، بل يدعوك قدّيسا. إذا اعتقدت أنَّك خاطئ، خَمّن كيف ستسلك: ستسلك كخاطئ؛ ستفعل الخَطيَّة. فلماذا لا تُحَدّد هُويّتك بناء على مَنْ أنت في الحقيقة: أي كقدّيس يُخطئ أحياناً. تذكّر أنَّ سلوكك لا يُحدّد "مَنْ أنت"؛ لكنْ "مَنْ أنت" يُحدّد سلوكك.

ما هو حق عن المسيح هو حق عنك

بما إنَّك قدّيس في المسيح بسبب دعوة الله فأنت شريك المسيح في ميراثه. ما هو حق عن المسيح هو حق عنك، لأنَّك في المسيح، هذا جزء من هُويّتك.

القائمة التالية تُعدد بصيغة المُتكلّم المفرد "مَنْ أنت" في المسيح. إنَّها تُظهر بعض السّمات الكتابية التي تعكس هُويّتك بعد الميلاد الجديد، والتي لا يُمكن أنْ تكون مُستحقاً للحصول عليها من ذاتك، كما لا تستطيع شرائها. فهي ببساطة صفات ضمنتها لك كلمة الله لأنَّك قد ولدت في شعب الله المُقدّس بالإيمان بالمسيح.

مَنْ أنا؟

† أنا ملح الأرض (متى ١٣:٥).

† أنا نور العالم (متى ١٤:٥).

† أنا ابن لله (يوحنا ١ ١٢:١).

† أنا غصن في الكرمة الحقيقية، تسري فيَّ حياة المسيح (يوحنا ١:١٥، ٥).

† أنا حبيب المسيح (يوحنا ١٥:١٥).

† أنا اختارني المسيح وأقامني لكي أحمل ثماره (يوحنا ١٥: ١٦).

† أنا عبد للبر (رومية ١٨:٦).

† أنا عبد لله (رومية ٢٢:٦).

† أنا وارث مع المسيح، أشاركه ميراثه (رومية ٨:١٧).

† أنا هيكل ـ مكان سُكنَى ـ الله، روحه وحياته يسكنان فيَّ (١كورنثوس ٣ :١٦؛ ٦:١٩).

† أنا مُلتصق بالرب وروح واحد معه (١كورنثوس ٦:١٧).

† أنا عضو في جسد المسيح (١كورنثوس ١٢:٢٧؛ أفسس ٥:٣٠).

† أنا خلقة جديدة (٢كورنثوس ٥:١٧).

† أنا مُصالح مع الله وخادم للمُصالحة (٢كورنثوس ٥:١٨؛١٩).

† أنا ابن لله وواحد مع جميع الذين هم في المسيح (غلاطية ٣:٢٦؛٢٨).

† أنا وارث لله لأنّي ابن لله (غلاطية ٤:٦؛٧).

† أنا قدّيس (أفسس ١:١؛ ١كورنثوس ١:٢؛ فيلبي ١:١؛ كولوسي ١:٢).

† أنا عمل الله ـ صنعة يديه ـ مولود من جديد في المسيح لأصنع أعماله (أفسس ٢:١٠).

† أنا من رعية الله مع باقي أهل بيته (أفسس ٢:١٩).

† أنا أسير المسيح (أفسس ٣:١؛ ٤:١).

† أنا بار وقدّيس (أفسس ٤:٢٤).

† أنا مواطن سماوي، جالس الآن في السماويات (فيلبي ٣:٢٠؛ أفسس ٢:٦).

† أنا مُستتر مع المسيح في الله (كولوسي ٣:٣).

† أنا تعبير عن حياة المسيح لأنَّه هو حياتي (كولوسي٣:٤).

† أنا مُختار من الله، قدّيس ومحبوب جداً (كولوسي ٣:١٢؛ تسالونيكي ١:٤)

† أنا ابن للنور لا للظلام (١تسالونيكي ٥:٥).

† أنا قدّيس وشريك في الدعوة السماوية (عبرانين ٣:١).

† أنا شريك المسيح، أشترك في حياته (عبرانيين٣:١٤).

† أنا من حجارة الله الحية، المبنية في المسيح بيتاً روحياً (١بطرس ٢:٥).

† أنا من جنس مُختار وكهنوت ملوكي، من أمة مقدسة، شعب مخصص لله (١بطرس ٢:٩؛١٠).

† أنا غريب ونزيل في هذا العالم (١بطرس ٢:١١).
† أنا خصم لإبليس (١بطرس ٥:٨).
† أنا ابن الله وسأكون مثل المسيح عندما يعود ثانية (١يوحنا ٣:١،٢).
† أنا مولود من الله، لا يقدر الشرير - الشيطان - أن يمسني (١يوحنا ٥:١٨).
† أنا لستُ "أنا هو" القدير (خروج٣:١٤؛ يوحنا ٨:٢٤،٢٨،٥٨)، لكن بنعمة الله أنا ما أنا (١كورنثوس ١٥:١٠).

لأنَّك في المسيح، كل واحدة من هذه الصفات هي حقيقية عنك، ولا يوجد شيء يُمكنك عمله لجعلها أكثر حقيقة. لكنْ يُمكنك فقط أنْ تجعل هذه الصفات أكثر تأثيراً وإثماراً في حياتك عندما تختار أنْ تؤمن بما قاله الله عنك. واحدة من أكثر الطرق التي تُساعدك على النمو في المسيح، هي أنْ تُذكر نفسك دائماً بمَنْ أنت فيه. في المؤتمرات التي أعقدها نفعل ذلك بأن نقرأ معاً بصوت مرتفع قائمة "مَنْ أنا؟". أقترح أنْ تُعيد تلاوتها على نفسك الآن بصوت مسموع. اقرأ القائمة مرة أو مرتين يومياً لمدة أسبوع أو أسبوعين. أقرأها عندما تشعر أنَّ إبليس يُحاول خداعك بالاعتقاد أنَّك فاشل ولا تساوي شيئاً. كلّما أعلنت مؤكداً مَنْ أنت في المسيح كلّما عكس سلوكك هُويّتك الحقيقية.

لقد كنا مُعاندين ومُتمردين وعاجزين وبائسين،
وليس فينا أي شيء يجعلنا مقبولين عند الله.
لكنَّ محبة الله ارتفعت فوق بشاعتنا.

قاد رجل سيارته مئات الكيلومترات ليحضر إحدى مؤتمراتي، وفي طريق عودته قرر استعمال "مَنْ أنا؟" كمادة للصلاة الشخصية. أثناء القيادة استخدم كل صفة في القائمة كصلاة، طالباً من الله أنْ يجعلها حقيقة مضيئة

في داخله. استغرقت صلاته "مَنْ أنا؟" كل الطريق إلى منزله، مدة خمسة ساعات تقريباً! وعندما سئل عن تأثير هذا الاختبار على حياته، أجاب مُبتسما ببساطة: "لقد تغيّرت حياتي."

أحد تلاميذي الذي كان يُصارع مع هُوِيّته في المسيح، أرسل لي التعليق التالي بعد دراسته لمادة القائمة السابقة في الفصل الدراسي:

عزيزي الدكتور «أندرسون»:

عندما أُعيد النظر على المواد الدراسية في الفصل الدراسي السابق، أجد أنّي قد تحررت واستنرت في اتجاهات متعددة. أعتقد أنَّ أهم مادة بالنسبة لي هي التي دارت حول "من أنا في المسيح". لقد عرفت أنَّه يوجد معنى لحياتي، وأنّي مقبول ومُطمئن. بتأملي في هذه المادة وجدت أنَّه باستطاعتي التغلب على مشكلات عديدة عانيت منها لسنوات طويلة مثل الخوف من الفشل، وصغر النفس وشعوري العام بعدم الكفاءة.

في الصف بدأت دراسة "مَنْ أنا" مُصلياً، ووجدتني أرجع للقائمة مرات عديدة، خاصة عندما كنت أشعر أنّي أُهَاجَمُ بالخوف وعدم الكفاءة. لقد شاركت أيضاً بهذه المادة في مدرسة بإحدى الكنائس، والكثير من تلاميذي اختبروا أيضاً حرية جديدة في حياتهم. لا أستطيع أنْ أعَبر عن مدى أهمية مساعدة الناس على معرفة مَنْ هم حقيقة في المسيح. في المستقبل سأجعل هذا التعليم جزء رئيسي من خدمتي في التعليم والمشورة.



الرجاء المُبهج في كونك ابناً لله

كأبناء لآدم الأول الساقط، كنا مُعاندين ومُتمردين وعاجزين وبائسين، وليس فينا أي شيء يجعلنا مقبولين عند الله. لكن محبة الله ارتفعت فوق بشاعتنا. لقد أوجد الله لنا من خلال المسيح طريقاً لنصبح جزءاً من عائلته. كابن لله بالتبني أصبحت لك هُويّة جديدة واسماً جديداً، ولم تعد يتيم روحياً؛ بل ابن (أو بنت) لله. كابن في عائلة الله، أصبح لك طبيعته وغناه، تماماً مثل ابنه البكر يسوع.

إنْ كنت بدأت تعتقد أنَّك شخصٌ مُميز لأنَّك مسيحي، فقد بدأت تُفكّر بشكل صحيح ـ أنت مُميز! بالتأكيد تَمَيُّزك ليس نتيجة لأي شيء فعلته، لكنَّه بالكامل عطية الله. كل ما فعلته كان ردة فعل لدعوة الله لك لتصبح ابناً له. كابن لله، كنتيجة لاتحادك به في المسيح، أصبح لك الحق في التمتع بعلاقة مُتميزة مع أبيك الجديد.

إنَّه أمر حيوي أنْ تَعرف مَنْ أنت في المسيح. يوجد عدد غير محدود من المسيحيين الذين يعانون من سلوكيات يومية خاطئة بسبب رؤيتهم الخاطئة عن ذاتهم. فهم يرون أنفسهم كخطاة يطمحون لدخول السماء بنعمة الله، لكنَّهم لا يستطيعون الارتفاع فوق ميولهم الشريرة. لماذا لا يقدروا أنْ يعيشوا الحياة المسيحية المنتصرة؟ لأنَّهم لا يُدركون هُويّتهم في المسيح.

استمع إلى كلمات (١يوحنا ٣:١-٣) المتلئة بالرجاء: "انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله... أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنَّه إذا أظهر نكون مثله لأنَّنا سنراه كما هو. وكل من عنده هذا الرجاء به يطهر نفسه كما هو طاهر."

ما هو رجاء المؤمن؟ هل إنَّه يوماً ما سيتغيّر ليكون على صورة المسيح؟ هذا جزء منه، لكنّه رجاء مُستقبلي فقط. وغداً؟ هو أنك الآن ابناً لله! ومَنْ يثق في أنَّه ابناً لله "يُطهّر نفسه" أي يبدأ بالعيش وفقاً لما يُدركه. دعني أكرر: لا أحد

يستطيع أنْ يعيش بشكل ثابت ومتناغم ،لا يتناغم مع الطريقة التي يُدرك بها نفسه. يجب أنْ ترى نفسك كابن لله لكي تعيش كابن لله. الرجاء المُبارك للمؤمن قبل الاختطاف هو "المسيح فيكم رجاء المجد" (كولوسي ١:٢٧).

(i) David C. Needham, *Birthright! Christian, Do You Know Who You Are?* (Portland. OR: Multnomah Press.1981), adapted from an illustration on p.73.

٣

يجب أنْ تُدرك حقيقة نفسك

كانت «كلير» تدّرس في مدرسة لتدريب الخُدّام تابعة لإحدى الكنائس التي كنت أشارك فيها منذ عدة سنوات. بالنسبة للمظهر الخارجي لم يكن «كلير» ما يُميّزها، فقد كانت قصيرة، وبدينة ومظهرها ليس جيداً. كما كان والدها سكيراً هجر عائلته، والدتها تعمل كخادمة لتسدّيد احتياجاتهما الرئيسية. وأخوها الأكبر مدمن على المُخدرات.

عندما رأيتها للمرة الأولى تأكدت أنَّها ستُعاني العُزلة إلى أقصى حد، كما اعتقدت أنَّها لنْ تتمكن من أنْ تُصبح مقبولة في هذا المجتمع المدرسي الذي يجتذبه الجمال الجسدي والنجاح المادي. لكنّي دُهشت حين علمت أنَّ الجميع مُعجبون بها ويحبون أنْ يكونوا بصحبتها، الجميع كانوا أصدقاءها. وآخر الأمر تزوجت بأفضل شاب من العاملين في إدارة المدرسة.

. ما هو سرها؟ ببساطة لقد آمنت «كلير» بهُويّتها الحقيقية: أنَّها ابنة لله. لقد قَبِلَت نفسها كما تكلم الله عنها في المسيح، وبثقة كرّست نفسها لهدف الله الأعلى لحياتها، وهو أنْ تصبح مُشابهة لصورته وأنْ تُحب الناس مثلما يُحبهم. لم تكن تُمّثل تهديداً لأي شخص، على العكس كانت إيجابية ومهتمة بالآخرين

مما جعل الجميع يحبونها.

«ديريك»، رجل في بداية الثلاثينات، كان يدرس منذ عدة سنوات بفرع الإرساليات في كلية اللاهوت «*Talbot School of Theology*». لم أكن أعرفه حتى حضر إحدى المؤتمرات حيث كنت أعظ عن أهمية إدراكنا لهُويّتنا الروحية في المسيح. الأسبوع التالي جاء ليُخبرني بقصته.

كان أبوه يُطالبه بالكمال في كل شيء يفعله. كان «ديريك» ذكي وموهوب، لكنْ بالرغم من اجتهاده وتفوقه، لم يكن يستطيع إرضاء والده. كان الرجل يدفع ابنه دائماً نحو أداء أفضل.

في صراعه لتحقيق توقعات والده استحق «ديريك» دخول الأكاديمية البحرية الأمريكية وقُبل في كلية الطيران، مُحققاً ما هو مُجرد حلم بالنسبة للكثير من الشباب، وهو الانتماء إلى الصفوة من طياري البحرية الأمريكية.

قال لي «ديريك»: "بعد ما أنهيت التزامي مع البحرية، قررت أنْ أُرضي الله، لكنّي رأيت الله كظل سماوي لأبي الأرضي يُطالبني هو أيضاً بالكمال. فقررت إنَّ أفضل طريقة أُحقق بها توقعاته مني هي أنْ أصبح مُرسلاً. والتحقت بفرع الإرساليات لنفس السبب الذي ذهبت من أجله إلى الأكاديمية البحرية، وهو أنْ أرضي "أب" يقسو عليّ بكثرة مَطَالبه.

"ثم حضرت إلى مؤتمرك السبت الماضي. لم أسمع قط من قبل إنّي مقبول بالكامل من الله، أبي السماوي، لمُجرّد إنّي في المسيح. لقد عملت دائماً بكل قدرتي لكي أرضيه بأعمالي، تماماً كما كنت أصارع لأكتسب رضا أبي الأرضي. لم أكن أُدرك أنّي قد اكتسبت رضاه مُسبَقاً بسبب مَنْ أنا في المسيح. الآن أعرف أنّي لست محتاجاً أنْ أكون مرسلاً لكي ارضي الله، لذلك سأغيّر تخصصي إلى اللاهوت العملي."

دَرَسَ «ديريك» سنتان للحصول على شهادة في اللاهوت العملي، ثم سنحت له الفرصة للخدمة كمُرسل لمدة قصيرة في أسبانيا. ولما عاد من رحلته،

أخبرني وهو مُتحمّس جداً عن اختباره في إسبانيا وأنهى قائلاً: "سوف أغيّر تخصصي ثانيةً."

أجبته مبتسماً: "ستغيّره للإرساليات، أليس كذلك؟"

"نعم، لكنّي لن أكون مُرسلاً لأنَّه مفروض عليَّ. أعرف أنَّ الله قبلني بالكامل كابن له. لكنّي الآن أُريد أنْ أكون مُرسلاً لأنّي أُحبه وأُريد أنْ أخدمه."

اللاهوت قبل الممارسة

إنَّ اختباريْ «كلير» و«ديريك» يوضحان أهمية أنْ نؤسس حياتنا المسيحية على ما نؤمن به وليس على سلوكياتنا. نحتاج إلى فهم لاهوتي عميق قبل أنْ نُحقق نجاحاً في الحياة المسيحية. نحتاج أنْ نفهم مَنْ نحن في ضوء "مَنْ هو الله وماذا فعل من أجلنا." إنَّ السلوك المسيحي المُثمر يأتي نتيجة لإيمان مسيحي صلب، وليس العكس.

مشكلتنا أنَّنا نُحاول بناء نمونا ونضوجنا الروحيين على الأجزاء العملية من الكتاب المُقدّس ونصرف القليل من الوقت في استيعاب الأجزاء التعليمية اللاهوتية. مثلاً: قد تَعلم أنَّ رَسائل بولس تميل لأنْ تكون مُقسّمة إلى جزأين رئيسيين، الأول يُسمى بالجزء التعليمي مثل "رومية الإصحاحات ١ إلى ٨"، و"أفسس الإصحاحات ١ إلى ٣" و"كولوسي ١-٢ الإصحاحات ١ و٢" ... الخ. هذه الأجزاء تُظهر احتياجنا لمعرفة مَنْ هو الله، ومَنْ نحن، وما هي الخَطيَّة والخلاص. أما الجزء الثاني من كل رسالة هو الجزء العملي مثل "رومية ١٢إلى١٥" و"أفسس الإصحاحات ٤إلي ٦" و"كولوسي الإصحاحات ٢ إلى ٤" ... الخ. هذه الأجزاء تصف ما يجب أنْ نفعله لنعيش إيماننا في الحياة اليومية.

في سعينا المُتحمّس لعلاج مشاكلنا اليومية ـ مثل: الشك، أو التجربة، أو الهجمات الشيطانية، أو الخلافات في العائلات أو الصداقات أو الكنائس الموشكة على الانهيار ـ نقفز مُسرعين للوصايا العملية في كلمة الله كحل جاهز

وعلاج سريع، فنحن نُريد قاعدة أو خطوات يُمكننا تطبيقها ـ مثل الضمادات الطبية السريعة ـ لنجعل الأمور تسير بشكل أفضل. كأنَّ ليس لدينا الوقت لدراسة المفاهيم اللاهوتية في الكتاب المقدس بشكل أعمق؛ ففي انشغالنا بالمُشكلة نُريد حلاً عملياً ونُريده الآن.

ربما لاحظت أنَّ علاج مُشكلات الحياة اليومية بطريقة الضمادات السريعة لا ينجح ولو بالقدر القليل. لماذا؟ لأنَّ الجهل بالحقائق التعليمية المُتعلّقة بمكانتك في المسيح، يحرمك من أي فرصة للنجاح في المجال العملي. كيف يُمكنك "الثبات ضد مكايد العدو" (أفسس ٦:١١) إنْ لم تكن قد استوعبت أنَّك مُنتصر في المسيح وأنَّك قد أُقمت معه، وأُجلست معه في السماويات (أفسس ٢:٦)؟ كيف يُمكنك أنْ تفرح في الرجاء وتصبر في الضيق (روميه ١٢:١٢) دون أنْ يكون لديك يقين معرفة أنَّك قد تبرّرت بالإيمان وأصبح لك سلاماً مع الله بربنا يسوع المسيح (رومية٥:١)؟ عندما تكون أساسيات إيمانك عن الله وعن نفسك مهزوزة، فإنَّ سلوكك اليومي سيكون مهزوزاً أيضاً. لكنْ عندما تكون أساسيات إيمانك ثابتة وعلاقتك مع الله مؤسسة على الحق الكتابي، يُصبح لديك القدرة على مُمارسة الجانب العملي من الحياة المسيحية.

اصلح علاقتك بالله أولاً

منذ عدة سنوات طلب إليَّ أحد الرُعاة تقديم المشورة لزوجين في كنيسته ـ قائد فريق الترنيم وزوجته. لم أرى في حياتي عائلة مُمزّقة بهذا القدر. لقد وصلا إلى الباب وهما يصرخان أحدهما في الآخر. كانت علاقتهما مليئة بالمرارة والإساءات. كان يبدو أنَّهما قررا الانفصال. "على ما يبدو أنَّ الشيطان لديه فرصة كبيرة للربح هذه المرة" قلت هامساً للرب. "إنْ كانت هناك أي طريقة لإنقاذ هذا الزواج، فأنت الوحيد الذي يعرفها."

استمعت لعدة دقائق لاتهاماتهما المُرّة بعضهما لبعض، ثم قاطعتهما قائلاً: "بهذه الطريقة انسيا زواجكما، لا نقدر أنْ ننقذه ـ ليس الآن، ليس بهذه

الطريقة. أتوسل إليكما اصلحا بشكل منفرد موقفكما تجاه الله باستعادة علاقتكما الفردية معه." جملتي هذه استوقفتهما.

التفتُ إلى الزوجة قائلاً: "هل يُمكنك الذهاب لقضاء بعض الوقت بمفردك؟"

فكرت قليلاً ثم أجابت: "أختي تملك بيتاً في الجبل، أعتقد أنَّها ستسمح لي باستخدامه."

"حسناً. هذه بعض "الكاسيتات" أُريدك أنْ تسمعيها. أختلي بنفسك عدة أيام، وأُريدك أنْ تعودي وقد تشبعتِ بها. اكتشفي مَنْ أنتِ في المسيح وكرّسي ذاتك لإخضاع حياتك المُنهارة له."

من المدهش أنَّها استجابت. ثم طلبت من الزوج أنْ يقوم بنفس الشيء وأعطيته مجموعة مُماثلة من "الكاسيتات". وافق هو أيضاً. عند مغادرتهما مكتبي كان أملي ضعيفاً في إمكانية رؤيتهما معاً ثانية.

بعد عدة شهور، كنت جالساً في أحد المطاعم ورأيت نفس الرجل يدخل ومعه أولاده الثلاثة. فكرت في نفسي: "آه،لا. لقد انفصلا للأبد." تعمّدت أنْ أبقى بعيداً عن نظره لأنّي شعرت بالأسف من أجله ولم أكن أُريد مُواجهته. لكنْ بعد دقائق دخلَت زوجته وجلست إلى نفس الطاولة. كان يبدو عليهما السعادة كأي أسرة مسيحية. في الحقيقة تَحَيّرت.

فجأة نظرا في اتجاهي وعرفاني وجاءا ليُكلماني، وحيياني بفرح: "أهلاً «نيل»، تسعدنا رؤيتك.".

"نعم، جيد أنْ أراكما أيضاً." في الواقع أردت القول: "جيد أنْ أراكما معاً." بعد تفكير قلت لهما: "كيف حالكما؟" لم أكن لأتعجب لو قالا لي إنَّهما قد طُلِقا ويتقابلان في المطعم من أجل الأولاد.

أجابت الزوجة: "نحن في أحسن حال، يا «نيل». لقد فعلت ما قلته لي. ذهبت إلى الجبل وحدي لمدة أسبوعين. استمعت فيهما إلى "كاسيتاتك"

وأصلحت علاقتي بالله."

سيحاول الشيطان إقناعك أنَّك بلا قيمة وغير مقبول، وأنَّك مريض بالخَطِيَّة ولا تُساوي شيئاً في نظر الله.

"أنا أيضاً فعلت نفس الشيء، وصرنا قادرَيْن على حل مشاكل زواجنا" أضاف الزوج. فرحنا معاً بما فعله الله لهما أولاً كأفراد وثانياً كعائلة.

هذان الزوجان اكتشفا أنَّ إصلاح علاقتهما ببعضهما البعض تبدأ بإصلاح علاقتهما مع الله. وأنَّ إصلاح العلاقة مع الله يبدأ دائماً بترسيخ حقيقة أنَّ الله أبوك وأنَّك مَقبولٌ منه كابن إلى الأبد. هذه هي الحقيقة الأساسية في هُوِيَّتك الروحية. أنت ابن لله، لقد خُلقت على صورته، وقد حسبك باراً بسبب إيمانك بالمسيح. إنَّ السلوك بحسب هذا الإيمان، يملأ حياتك المسيحية اليومية بالنمو والثمر. لكنْ إذا حوَّلت عينيك عن هُوِيَّتك كابن لله، وحاولت اكتساب قبول الله لك ـ الذي قد سبق وأغدقه هو عليك ـ عن طريق الأعمال، فستُعاني الفشل والهزيمة. نحن لا نخدم الله لنحصل على رضاه لكنْ نخدمه لأنَّنا مَرضيِّين عنده. نحن لا نُطيعه لكي يُحبنا، نحن محبوبون لذلك نُطيعه.

هذا معنى الحياة بالإيمان (رومية ١:١٦،١٧). جوهر الحياة المسيحية المنتصرة هو أنْ تؤمن بالحقائق التي سبق الله وأخبر بها عنك في كلمته. هل لديك اختيار آخر؟ بكل تأكيد! سيُحاول الشيطان إقناعك أنَّك بلا قيمة، وغير مقبول، وأنَّك مريضاً بالخَطِيَّة ولا تُساوي شيئاً في نظر الله. هل هذا أنت حقاً؟ لا، أنت لست كذلك! أنت قدِّيس، فقد أعلن الله أنَّك بار. تصديق كذب إبليس سيحبسك في حياة الهزيمة غير المُثمرة. لكنْ تصديق الحق الإلهي عن هُوِيَّتك سيُحررك.

تأثير نعمة الله

القائمة التالية تُكمل قائمة "مَنْ أنا؟" في الفصل الثاني، عباراتها تضيف أوصافاً جديدة إلى هُويّتك في المسيح. أعد قراءة هذه القائمة بصوت مرتفع حتى تصبح جزء من كيانك. صلِّ مستخدماً هذه القائمة سائلاً الله أنْ يُرَسّخ هذه الحقائق في قلبك.

بما أني في المسيح، بنعمة الله...

† أنا مُبرَّر ـ غُفرت خطاياي بالكامل وأصبحت باراً (رومية ٥:١).

† قد مُت مع المسيح، مُت لقوة وسلطان الخَطيَّة على حياتي (رومية ٦:١-٦).

† أنا حرّ للأبد من الدينونة (رومية ٨:١).

† أصبح لي مكاناً في المسيح بعمل الله (١كورنثوس ١:٣).

† قبلت روح الله في حياتي لأعرف الأشياء الموهوبة لي مجاناً من الله (١كورنثوس ٢:١٢).

† لي فكر المسيح (١كورنثوس ٢:١٦).

† قد اشتُريت بثمن؛ أنا لست ملك نفسي؛ أنا ملك لله(١كورنثوس ٦:١٩،٢٠).

† قد ثُبّت، ومُسحت وخُتمت من الله في المسيح، وأُعطيت الروح القُدس كعربون يضمن ميراثي (٢كورنثوس ١:٢١؛ أفسس ١:١٣،١٤).

† بما أنّني مُت فأنا لا أحيا لنفسي بل للمسيح (٢كورنثوس ٥:١٤،١٥).

† أصبحت باراً (٢كورنثوس ٥:٢١).

† قد صُلبت مع المسيح، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ. فالحياة التي أحياها الآن هي حياة المسيح (غلاطية ٢:٢٠).

† قد بوركت بكل بركة روحية (أفسس ١:٣).

† قد اختارني الله في المسيح قبل تأسيس العالم لأكون قدّيساً وبلا لوم أمامه (أفسس ١:٤).

† لقد عيّنني الله للتبني ـ لأكون ابناً له (أفسس ١:٥).

† أنا مفدي وغُفرت خطاياي بغنى نعمة الله.

† قد أُحييت مع المسيح (أفسس ٢:٥).

† قد أُقمت وأُجلست مع المسيح في السماويات (أفسس ٢:٦).

† قد صار لي قدوم لدى الآب في الروح القدس (أفسس ٢:١٨).

† قد صار لي أنْ أقترب إلى الله بجرأة وحرية وثقة (أفسس ٣:١٢).

† قد أُنقذت من تسلط إبليس على حياتي ونُقلت إلى ملكوت المسيح (كولوسي ١:١٣).

† قد افتُديت وغُفِرت كل خطاياي. الدين الذي كان عليَّ قد أُلغي (كولوسي ١:١٤).

† المسيح فيَّ (كولوسي ١:٢٧).

† أنا مُتأصل في المسيح والآن أُبنا فيه (كولوس ٢:٧).

† أنا مختون روحياً، طبيعتي العتيقة غير المُتجددة قد نُزعت عني (كولوسي ٢:١١).

† قد صرت كاملاً في المسيح (كولوسي ٢:١٠).

† قد دُفنت وأُقمت وأُحييت مع المسيح (كولوسي ٢:١٢،١٣).

† قد مُت مع المسيح وأُقمت معه، وحياتي مستترة الآن مع المسيح في الله. الآن المسيح هو حياتي (كولوسي ٣:١-٤).

† قد أُعطيت روح القوة والمحبة والذهن المستقيم (٢تيموثاوس ١:٧).

† قد خَلُصت ودُعيت دعوة مُقدّسة بمقتضى عمل الله (٢تيموثاوس ١:٩؛ تيطس ٣:٥).

† قد قُدست وصرت واحداً مع المُقَدِّس، لذلك لا يستحي أنْ يدعوني أخاً (عبرانيين ٢:١١).

† صار لي التقدم بثقة إلى عرش الله لأجد رحمة ونعمة في وقت الحاجة (عبرانيين ٤:١٦).

† قد وَهَبَ لي الله المواعيد العظمى والثمينة لكي أصير بها شريك الطبيعة الإلهية (٢بطرس ١:٤).

في إحدى المؤتمرات حيث كنت أعظ عن التخلص من الصراعات الروحية، تحدث إليَّ أحد الرعاة، تعليقاته أكدت لي اقتناعي بأنَّ فهمنا لهُويّتنا الروحية هو المفتاح الرئيسي للتخلص من صراعاتنا اليومية.

لقد قال لي: " هذا الأسبوع حضرت سيدة من كنيستنا طالبة المشورة. هي تُعاني من زوجها السكير، وقد وصلت إلى النهاية شاعرة بمرارة الهزيمة. لقد أتت لتُخبرني أنَّها ستكف عن محاولة إصلاح زواجهما. فأعطيتها القائمة التي شاركتها معنا، التي تُعلن مَنْ نحن في المسيح. وقلت لها: إقرائي هذه بصوت عالٍ. قرأت تقريباً نصف القائمة ثم بدأت تبكي قائلة: لم أكن أعرف كل هذه الحقائق عن نفسي. لقد بدأت أشعر بالأمل بالرغم من كل هذا."

أليس هذا رائعاً؟ إدراكك لهُويّتك يصنع فرقاً كبيراً في نجاحك في التعامل مع التحديات والصراعات التي تواجهك. إيمانك بالحق الإلهي المُعلن عن هُويّتك هو أمر حيوي لنموك ونضوجك في الحياة المسيحية.

هناك فرق بين علاقة القرابة وعلاقة الصداقة

مع كل هذا التأكيد على قبول الله لنا في المسيح، ربما تتساءل: "ماذا يحدُث لهذه العلاقة المثالية مع الله عندما نخطئ؟ هل فشلنا يؤثر على قبول الله لنا؟" سأجيب مستخدماً توضيحاً بسيطاً.

لقد ولدت جسدياً، في بيت أبي «مارفين أندرسن». كابن له لم آخذ اسمه فقط ، لكنْ دماء «مارفين أندرسن» تجري أيضاً في عروقي. «مارفين أندرسن» و«نيل أندرسن» بينهما قرابة دم.

هل يوجد ما يمكنني عمله لأغيِّر قرابة الدم بيني وبين أبي؟ ماذا لو هربت من المنزل وغيرت اسمي؟ هل سأظل ابناً لـ«مارفين أندرسن»؟ ماذا لو طردني هو من المنزل؟ ماذا لو تبرأ مني؟ هل سأظل ابنه؟

نعم بكل تأكيد! نحن قريبان بالدم ولا يوجد شيء يمكنه تغيير هذه

العلاقة.

لكنْ هل يمكنني تُعطيل الانسجام في علاقتنا كأب وابنه؟ نعم؛ بالفعل عندما وصلت لعمر الخامسة كنت قد اكتشفت كل الطرق تقريباً! إنَّ علاقتي مع أبي لم تكن في خطر يوماً ما، لكنَّ الانسجام في علاقتنا توقف مرات عديدة بسبب سلوكياتي.

كان الخضوع هو المفتاح الرئيسي للانسجام مع أبي. علاقة القرابة ستبقى ثابتة مدى الحياة لأنّي قد ولدت في عائلة أبي كابن له. لكنْ موضوع الانسجام طُرِح بشكل مُتكرر نتيجة لحسن أو سوء سلوكي. لقد اكتشفت في عمر مبكرة جداً أنَّه إذا خضعت لأبي سأعيش في انسجام معه، وإنْ لم أخضع له فسنكون غير مُتوافقين. لكنْ بغض النظر عن اتفاقنا أو اختلافنا يبقى هو أبي دائماً.

في العالم الروحي، عندما ولدت ثانية أصبحت عضواً في عائلة الله، وأصبح الله أبي وتمتّعت بعلاقة قرابة أبدية معه من خلال دم المسيح الثمين (١بطرس ١:١٨،١٩). كابن لله، هل يوجد ما يمكنني فعله لتغيير علاقة قرابتي معه؟ أعرف أنّي أُثير هنا بعض الحساسية اللاهوتية، فموضوع ضمان الخلاص الأبدي لازال موضع جدل بين مسيحيي اليوم. لكنّي مُرتبط بأبي السماوي من خلال الميلاد الروحي ولا يمكن لأي شيء أنْ يُغيّر قرابة الدم هذه. يسأل بولس في رومية ٨:٣٥: "مَنْ سيفصلنا عن محبة المسيح؟" ثم يجيب بأنَّه لا يوجد أي شيء "يقدر أنْ يفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا" (رومية ٨:٣٩). لقد أكّد يسوع: "خرافي تسمع صوتي... وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي" (يوحنا ١٠:٢٧،٢٨). أنا مولود ثانية كابن لله، في اتحاد روحي معه، بسبب نعمته التي حصلت عليها بواسطة الإيمان بالمسيح. علاقة قرابتي بالله ستبقى ثابتة إلى الأبد لأنّي قد ولدت في عائلة الله كابن له. لكنْ هل يمكنني تعطيل الانسجام في علاقتي مع الله؟ بكل

تأكيد، التوافق مع الله مبني على نفس أساس توافقي مع أبي الأرضي «مارفين أندرسن» الذي هو الخضوع. عندما أخضع لله سأحيا في انسجام معه، وعندما لا أخضع له سأفقد الانسجام في علاقتي معه وستصبح حياتي بائسة. أنا أحب أبي السماوي وأُريد أنْ أكون في انسجام معه، لذلك أجتهد أنْ اخضع له. لكنْ حتى عندما نكون غير متوافقين بسبب عدم طاعتي، فإنَّ علاقة القرابة معه لا تكون في خطر لأنَّنا مُرتبطان بدم يسوع المسيح.

لهذا لا يجب أنْ تُرَكِّز مجهودك وأنت تسعى نحو النمو والنضج الروحيين على تنمية علاقة قرابتك بالله، فلا يوجد ما يُمكنك فعله لتقويتها غير الاستمرار في الإيمان بأنَّها حقيقة أي أنَّ موضوع بنوتك لله ثابت ولا يحتاج لمزيد من المُناقشة أو الاجتهاد. أنت لا تستطيع أنْ تصير ابناً لله أكثر مما أنت عليه الآن بسبب ميلادك الروحي في عائلة الله. الشيء الوحيد الذي يُمكنك عمله هو أنْ تُحَسّن الانسجام في علاقتك مع الله من خلال اجتهادك في الخضوع له.

صدّق كلمة الله عن الآخرين أيضاً

حضر أحد الرعاة ليسألني: "ماذا أفعل لأترك كنيستي؟"

– سألته: "لماذا تُريد أنْ تتركها؟ ما هي المشكلة مع كنيستك؟"

– "كنيستي مجموعة من الفاشلين."

– "فاشلين؟ هل هم حقيقة فاشلين أم يرون أنفسهم فاشلين لأنَّك تراهم كذلك؟"

لقد وافق معي أنَّه الأمر الأخير، لأنَّه لا يوجد فاشلين في ملكوت الله. كيف يمكن لابن لله أنْ يُدعَى فاشل؟ من المُهم أنْ تؤمن بهُويّتك الحقيقية كابن لله، ومن المهم أيضاً أنْ ترى حقيقة المؤمنين الآخرين وتُعاملهم على أساسها ـ كأبناء لله. أنا أؤمن أنَّ ما يُحدّد كيفية تعاملنا مع الآخرين إلى حد بعيد هو رؤيتنا لهم. لو نظرنا للآخرين على أنَّهم فاشلون فسنُصدق إنَّهم فاشلون. وإذا صدقنا أنَّهم فاشلين فسنُعاملهم كفاشلين وسيعكسون رؤيتنا لهم ويتصرفون

كفاشلين. لكنْ إنْ نظرنا لأخوتنا في المسيح كمفديين، وقدّيسين وأبرار، فسنُعاملهم كقدّيسين وسنُساعدهم ليسلكوا كقدّيسين.

كيف نُعبّر عن رؤيتنا للآخرين؟ أولاً بما نقوله لهم. أظهرت الدراسات أنَّ الطفل يسمع في البيت العادي عبارة واحدة إيجابية في مقابل ١٠ عبارات سلبية. الوسط المدرسي أفضل قليلاً فالتلميذ يسمع سبع عبارات سلبية في مقابل كل عبارة واحدة إيجابية. لذلك ليس غريباً أنْ ينمو الكثير من الأطفال وهم يشعرون أنَّهم فاشلين. كل يوم ينقل الأباء والمعلمون هذه الرؤية عن طريق ما يقولونه لأولادهم.

أظهرت هذه الدراسات أيضاً، الاحتياج إلى أربع عبارات إيجابية لمحو تأثير عبارة واحدة سلبية. ربما تكون قد تأكّدت من هذا في كل مرة تلبس فيها ثياباً جديدة، يقول لك عدد من أصدقاءك: "تبدو أنيقاً." لكنَّ تعليقاً واحداً مثل: "هذه الثياب لا تناسبك" سيعود بك لمحل الثياب لاستعادة نقودك. ما نقوله عن الآخرين يؤثر فيهم بدرجة كبيرة، وما نقوله عنهم يتأثر بدرجة كبيرة برؤيتنا لهم.

يُعلن العهد الجديد بوضوح أنَّنا قدّيسون يُخطئون. أي ابن الله يقول أنَّه لا يُخطئ يُدعى كذّاباً (١يوحنا ١: ٨). لكنَّنا مدعوون لا لنُركّز أنظارنا على خطايا الآخرين، بل أنْ نرى طبيعة المسيح في بعضنا البعض، وأنْ نثق في بعضنا البعض كقدّيسين، وأنْ نبني بعضنا بعضاً. في الحقيقة أعتقد أنَّه بإمكاننا حل من نصف إلى ثلاثة أرباع مشاكلنا الأسرية و الكنسية لو أمكننا حفظ آية واحدة فقط من العهد الجديد وسلكنا بها دون أنْ نتعداها أبداً هذه الآية هي أفسس ٤: ٢٩ لا تخرج كلمة رديّة من أفواهكم بل كل ما كان صالحاً للبنيان حسب الحاجة كي يعطي نعمة للسامعين."

إنْ... بنينا فقط الآخرين كما تأمرنا أفسس ٤: ٢٩، فسنكون من طاقم الله لبناء الكنيسة بدلاً عن أنْ نكون من طاقم إبليس المُدمر.

أليس رائعاً أنْ يكون لك ولي القدرة على إعطاء الآخرين نعمة من خلال استخدامنا الجيد للكلمات؟ إنْ لم نقل أي كلمة لإحباط الآخرين، وبنينا فقط الآخرين كما تأمرنا أفسس ٢٩:٤، فسنكون من طاقم الله لبناء الكنيسة بدلاً من أنْ نكون من طاقم إبليس المُدمِّر.

صدّق ما تُدركه

واحدة من أعمق التغيّرات التي رأيتها حدثت في حياة «جيني» التي كانت تُعانِ من أزمة في هُويّتها الروحية. لقد قابلت «جيني» منذ سنوات في مؤتمر كنت أعقده في إحدى الكنائس. كان قادة الكنيسة قد أعدّوا لي بعض المقابلات بين المحاضرات مع أعضاء المؤتمر وكانت هي من بينهم. لم يُخبروني أنَّ «جيني» حضرت تلك المقابلة مباشرة بعد زيارة أحد الأطباء، كما لم تكن «جيني» تعلم بالمقابلة وقد جاءت رغماً عنها. كان هذا أسوأ "سيناريو" لجلسة مشورة.

كانت «جيني» مسيحية في الثالثة و العشرون، جميلة المنظر ولها شخصية جذابة، من عائلة صالحة مؤمنة، لكنَّها كانت مُمزّقة من الداخل ولم تختبر سوى الحياة الكئيبة، كانت قد طُردت من المدرسة وعلى وشك أنْ تُطرد من العمل أيضاً. لقد كانت تُعاني من اضطرابات في الأكل لعدة سنوات لم ينجح الأطباء في علاجها.

أمضيت مع «جيني» في الجلسة الأولى ساعتين تقريباً. كانت قد أعلنت قبولها للمسيح، لذلك شجعتها على الإيمان بالحق الكتابي الخاص "بمَنْ هي في المسيح". لم أكن أعرف إنْ كانت تُتابعني أم لا، لكنّي أكملت مُشاركتي لها بالأخبار السارة عن هُويّتها الروحية. أخيراً قالت لي: "هل أنت دائماً بهذه الإيجابية؟"

أجبتها: "يا «جيني»، إنَّه ليس موضوع إيجابية، بل إيمان بالحق؛ بسبب اتحادك بالله هذه هي حقيقتك في المسيح." لقد تَرَكَ اجتماعنا بصيصاً من الأمل.

عندما عدت لمنزلي جاءتني فكرة، أعتقد أنَّها كانت من الروح القُدس، كنت أحضِّر لخلوة روحية مكثَّفة لمدة شهر لعدد من طلابنا في كلية اللاهوت. كان من المُتوقع أنْ تكون اختباراً مُرتفع المستوى في العلاقات المسيحية، وفجأة عرفت أنَّ «جيني» تحتاج أنْ تكون في هذه الخلوة حتى وإنْ لم تكن طالبة في كلية اللاهوت. اتصلت بها ودعوتها، والمُعجزة أنَّها وافقت على الحضور. كما أعطاها مديرها إجازة لمدة شهر.

بعد فترة قصيرة من وصولنا إلى مكان المؤتمر جلست مع «جيني» على انفراد، وقلت لها: "يا «جيني» أنا لم أدعوكِ إلى هنا لأُغيِّر سلوكياتك، فهي ليست المشكلة."

– "لطالما قالوا لي أنَّ سلوكي هو المشكلة، كل شخص أعرفه يحاول أنْ يُغيِّر سلوكي." أجابتني ببعض الدهشة.

– "ليس سلوككِ هو ما يُقلقني، لكنِّي مُهتم بما تؤمنين. أنا أريد تغيير ما تؤمنين به عن مَنْ هو الله ومَنْ أنتِ في المسيح. أنتِ لستِ فاشلة. أنتِ لستِ إنسانة مريضة تمثِّل عبئاً على أبويها وكنيستها. أنت ابنة لله، لستِ أقل أو أفضل من أي شخص في هذه الخلوة. أُريدكِ أنْ تُصدِّقي هذا لأنَّها الحقيقة."

لأول مرة في حياة «جيني» يُؤكِّد لها أحد قيمتها كشخص أمام الله. وابتدأت تثق في هذه الحقيقة. في خلال ال٣٠ يوم التاليين، وهي تدرس وتصلي وتتفاعل مع مجموعة الطلبة المُشجعة لها، حدث تغيِّر مُعجزي مُدهش في شخصية «جيني».

عندما عادت «جيني» إلى منزلها هتف أبوها: "لم أرَ «جيني» بهذه السعادة والرضا من قبل. إنَّها شخص آخر." لقد أصبحت أيضاً موظفة أخرى. بعد أسبوعين استدعاها مديرها وأراها تقريراً عن أدائها كان قد أعده في غيابها. كان تقريراً سيئاً جداً وينتهي بضرورة فصلها من العمل، "لكنكِ تغيرتِ

يا «جيني» وسوف أُزيد أجرك دولارين عن كل ساعة.".

ما الذي تغيّر في«جيني»؟ لقد تغيّرت رؤيتها لله ولنفسها. لقد أصبحت ابنه لله بواسطة الإيمان وحده، و عندما بدأت تسلك بالإيمان، وترى نفسها على حقيقتها في المسيح. بدء سلوكها يتغيّر ويتوافق مع حقيقة هُوِيّتها الروحية. هل سيستمر سلوك «جيني» في التحسن؟ نعم، طالما هي مُستمرة في الإيمان بالله وتحيا في انسجام معه بإطاعة وصاياه. هل سترجع لعاداتها القديمة لو توقفت عن طاعة الله؟ بكل أسف نعم.

أنت بار ومقبول من الله، بغض النظر عمّا تعلمته أو آمنت به عن نفسك، هُوِيّتك في المسيح هي حقيقة كتابية راسخة. أعد قراءة القائمتين الموجودتين في الفصلين السابقين، واللتين تعلنا هُوِيّتك في المسيح. انظر إلى نفسك من خلالهما، آمن بهما واسلك فيهما. عندما تسلك بالإيمان فإنً سلوكك سيتغيّر ليتوافق مع ما تؤمن به.

٤

شيء قديم وشيء جديد

لقد عرفنا أنَّ هُوِيَّة المسيحي الروحية مؤسسة على الحق الكتابي: أنَّنا قدّيسون يُخطئون أحياناً ولسنا خطاة يصارعون ليصيروا قدّيسين. لقد ولدنا ثانية بنعمة الله بالإيمان بالمسيح، وأصبحنا أحياء روحياً نتمتع باتحاد روحي مع الله مثلما كان آدم وحواء قبل السقوط. لقد أعلن الله أنَّنا أبرار مقبولون بالكامل منه لأنَّنا في المسيح. فهم حقيقة هُوِيّتنا في المسيح، والسلوك بها هو أساس نجاحنا في الوصول إلى النمو والنضوج المسيحي.

كما عرفنا أنَّه بالرغم مما وفرّه لنا الله في المسيح، فنحن مازلنا غير كاملين في سلوكنا. فنحن قدّيسون يُخطئون. مكانتنا في المسيح ثابتة ومُستقرة. لكنَّ سلوكنا اليومي يشوبه الفشل والتمرد؛ هذه الأمور تُحبطنا وتُعطّل انسجام علاقتنا مع الله. إنَّها المعضلة الكبرى، فنحن نئن مع الرسول بولس: "لأنّي لست أفعل الصالح الذي أُريده بل الشر الذي لست أُريده فإيّاه أفعل... ويحي أنا الإنسان الشقي.مَنْ يُنقذني من جسد هذا الموت؟" (رومية ٧:١٩، ٢٤).

في مُحاولتنا لدراسة أسباب التمرد الذي كثيراً ما يُشوش إحساسنا بأنَّنا قدّيسون، كثيراً ما نواجه تعبيرات تدعو للتشاؤم مثل: الطبيعة العتيقة،

والإنسان العتيق (الذات العتيقة)، والجسد والخَطيَّة. ماذا تعني هذه التعبيرات؟ هل كلّ واحد منها يُمثّل معنى مُنفصل أم هي مترادفات لنفس الشيء؟ هل بالرغم من أنَّنا قدّيسون مازلنا ضحايا غير واعية للإنسان العتيق (الذات العتيقة) والجسد الخاطئ؟

أعترف بصعوبة هذه الدائرة اللاهوتية. على مدى قرون طويلة اجتهد دارسي الكتاب المُقدّس في الإجابة على هذه الأسئلة، وأنا لا أدّعي امتلاك الإجابة النهائية. لكنْ في هذا الفصل أود شرح بعض هذه المصطلحات التي غالباً ما تُربك الكثير من المسيحيين الذين يُحاولون التعامل مع الجانب الخاطئ من "قَدَاسَتهم". أعتقد أنَّ فهم أوضح لهذه المصطلحات سيُساعدك على فهم هُويّتك وتعبيد الطريق أمامك لخطوات أوسع نحو النمو المسيحي.

هل أنا "الحبل" في مباراة لشد الحبل بين طبيعتَين؟

ربما تكون قد سمعت تشبيه الكلبين، يقول البعض الناس أنَّنا نملك في داخلنا طبيعتَين تتنافسان على التحكم في حياتنا. ويَدّعون أنَّ طبيعة الخَطيَّة القديمة التي ورثناها من آدم الخاطئ تُشبه كلباً أسوداً كبيراً، و الطبيعة الجديدة التي ورثناها بسبب عمل المسيح الكفاري تُشبه كلباً أبيضاً كبيراً. هذان الكلبان عدّوان لدودان يُحاول كلّ منهما تدمير الآخر. عندما تنشغل بالأفكار أو السلوكيات العالمية، فأنت تُغذي الكلب الأسود. لكنَّك عندما تُركّز فكرك ونشاطك على الأمور الروحية، فأنت تُغذي الكلب الأبيض. الكلب الذي تُغذيه أكثر هو الذي سيقوى ويتغلب على الآخر.

هذا التشبيه الدرامي قد ينجح كأداة سهلة لتشجيع المسيحيين على سلوكيات القداسة، لكنْ هل هو صحيح كتابياً؟ إنْ كان الله قد "أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته" (كولوسي ١:١٣)، هل يُمكننا أنْ نوجد في المملكتين في نفس الوقت؟ عندما يُعلن الله أنَّنا " لسنا في الجسد بل في الروح" (رومية ٨:٩)، هل يُمكن أنْ نكون في الجسد وفي الروح في نفس

الوقت؟ عندما يقول الله: "لأنكم كنتم قبلاً ظلمة وأما الآن فنور في الرب" (أفس٥:٨)، هل يُمكننا أنْ نكون ظلمة ونور في نفس الوقت؟ عندما يعلن الله: "إنْ كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة.الأشياء العتيقة قد مضت.هو ذا الكل قد صار جديداً (٢كورنثوس ٥:١٧)، هل يمكن أنْ نكون خليطاً من الخليقة الجديد والقديمة؟

إذا آمنت أنَّك خليط من النور والظلمة، قدّيس وخاطئ، ستحيا حياة عاديّة لا تختلف كثيراً عن غير المسيحيين. قد تعترف بميلك للخَطِيَّة وتجتهد لتكون أفضل، لكنَّك ستحيا مُنهزماً لأنَّك لا ترى نفسك أكثر من خاطئ مُخلّص بالنعمة ينتظر الاختطاف. الشيطان يعلم أنَّه لا يستطيع تغيير هُويّتك الحقيقية، لكنْ لو استطاع دفعك للاعتقاد أنَّك لا تختلف عن الإنسان العادي فستسلك كإنسان عادي.

لماذا ينطبق تشبيه الكلبين السابق على كثير من المسيحيين؟ لأنَّهم يجهلون حقيقة هُويّتهم في المسيح. إنَّ أعظم إنجازات الله على الأرض هو عمله الكفاري الذي يُحوِّل الخطاة إلى قدّيسين. التغيير الداخلي هو التبرير، ويحدث لحظة الخلاص مرة واحدة وإلى الأبد. التغيير الخارجي في سلوك المؤمن اليومي هو التقدّيس، يبدأ لحظة الخلاص ويستمر مدى الحياة. لكنَّ عمل التقدّيس التدريجي لا يكون فعّالاً إلاَّ عند إدراك التغيير الجذري الذي حدث في التبرير، والذي لا يُمكن الحصول عليه إلاَّ بالإيمان فقط.

قد تتساءل:"لكنّي قرأت في مكان ما أنَّ بولس يصف نفسه بأول الخطاة؟" نعم هذا صحيح، لكنَّه كان يُشير إلى طبيعته قبل إيمانه بالمسيح، وميلاده الجديد (١تيموثاوس ١:١٢-١٦). وهو أيضاً يقول عبارة مُماثلة يُقلل فيها من قدر نفسه في ١كورنثوس١٥:٩، لكنَّه يُكمل قائلاً في الآية ١٠: "ولكنْ بنعمة الله أنا ما أنا ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة بل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم. ولكنْ لا أنا بل نعمة الله التي معي." كان بولس يعرف أنَّ هُويّته قبل

إيمانه بالمسيح مُنفصلة تماماً عن هُويّته بعد أنْ أصبح في المسيح.

طبيعة الأمر

ماذا يقول الكتاب المُقدّس بالتحديد عن طبيعتنا؟ استُخدمت كلمة "طبيعة" باللغة اليونانية بالطريقة الآتية مرتين فقط في العهد الجديد. مرة في أفسس ٢: ١-٣ لتصف الطبيعة التي تَشَاركنا فيها جميعاً قبل أنْ نأتي إلى المسيح: "وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا التي سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية. الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم في شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار وكنا *بالطبيعة* أبناء الغضب كالباقين أيضاً."

ما هي طبيعتك قبل أنْ تولد ثانية روحياً؟ أنت وكل مسيحي آخر "كنا *بالطبيعة* أبناء الغضب"، أموات في الذنوب والخطايا، وخاضعين لسلطان إبليس. كنا نعيش فقط لنُتمم شهواتنا ورغباتنا الشريرة. هذه حالة كلّ وأي شخص غير مؤمن.

المرة الثانية التي تُستخدم فيها كلمة "طبيعة" بهذه الطريقة ترد في ٢بطرس ١: ٣، ٤ لتصف طبيعتنا بعد أنْ آمنّا بالمسيح: "كما أنَّ قدرته الإلهية قد وهبت لنا كلّ ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة، اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكي تصيروا بها شركاء *الطبيعة* الإلهية هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة.

عندما أصبحت مُتحداً روحياً مع الله من خلال الميلاد الجديد، فأنت لم تُضف طبيعة جديدة إلهية لطبيعتك القديمة الخاطئة، بل استبدلت الطبيعة القديمة بالطبيعة الجديدة. إنَّ الخلاص ليس مُجرد غفران الله لخطاياك وإصداره تصريحاً لك بدخول السماء بعد موتك. لكنَّ الخلاص هو التجديد، وتغيير الله لك من ظُلمة إلى نور، ومن خاطئ إلى قدّيس. أنت جديد بشكل لم تكنه من قبل. لو لم يُغيّر الله هُويّتك في لحظة الخلاص، كنت ستحيا حتى آخر

لحظة من حياتك بهُويّتك القديمة. كيف يُمكنك توقع النمو والنضوج إنْ لم تكن واثقاً من أنَّك شخص جديد وأنَّك ابن لله؟ أنْ تصبح شريكاً في طبيعة الله هو أمر حيوي بالنسبة للهُويّة والنضوج المسيحيين.

في بدء إيمانك المسيحي كنت مثل قطعة فحم أي لم تكن جذاباً، كنت ضعيفاً وهَشاً وتلُوث كلّ مَنْ يتعامل معك. لكنْ مع الوقت وتحت الضغط يتحول الفحم إلى الصلابة والجمال، يتحول إلى ألماس. بالرغم من أنَّ قطعة الفحم ليست قطعة ألماس، إلاّ أنَّها تتكون من المادة القادرة على التحول إلى ألماس وهي ١٠٠٪ فحم. إنّ كانت خليطاً من الخزف والفحم لا يمكنها أن تحول إلى ألماس. *"Anthony Hoekema"* يُعلّق : «أنت خليقة جديدة الآن! اعلم أنَّك لست جديداً بالكامل، لكنَّك بالحقيقة جديداً. يجب علينا نحن المؤمنين رؤية أنفسنا بهذه الصورة: إنَّنا لسنا بعد فاسدين وعاجزين كعبيد الخَطيَّة، لكنَّنا مخلوقين من جديد في المسيح يسوع."[i]

إما الواحد أو الآخر

أفسس ٥:٨ تصف تغيير الطبيعة الجذري الذي حدث لنا عند الخلاص: "لأنَّكم كنتم قبلاً ظلمة وأما الآن فنور في الرب. اسلكوا كأولاد نور." الآية لا تقول كنتم في الظلمة، بل كنتم ظلمة. كخاطئ، كانت الظلمة طبيعتك، كانت تكوينك الرئيسي. وهي لا تقول أيضاً أنتم الآن في النور، لكنَّها تقول أنتم الآن نور. لقد غيّر الله طبيعتك من ظلمة إلى نور. موضوع هذه الآية ليس تهذيب طبيعتك القديمة، لكن حصولك على طبيعة جديدة بالكامل. والمطلوب هو أنْ تتعلم السلوك في تناغم مع طبيعتك الجديدة. كيف ستفعل هذا؟ بأنْ تتعلم السلوك بالإيمان والسلوك بالروح، الذين هما موضوع الفصول القادمة.

لماذا تحتاج لطبيعة المسيح في داخلك؟ لكي تكون مشابهاً للمسيح، ليس فقط أنْ تسلك مثله. الله لم يعطنا القوة لكي نُقلّده، لكنَّه جعلنا مُشاركين في طبيعته لكي نستطيع أنْ نكون مثله. أنت لا تصبح مسيحياً بالسلوك كمسيحي.

علاقتنا مع الله ليست قائمة على حسن أدائنا، فالله لم يقل: "هذه هي مقاييسي، والآن عليكم تحقيق هذا المستوى." هو يعلم أنَّك لا تستطيع أنْ تحل مشكلة الكيان العتيق الخاطئ، عن طريق تهذيب سلوكياتك. لابد له أنْ يُغيِّر طبيعتك، ويُعطيك كياناً جديداً بالكامل «حياة المسيح فيك» الذي هو النعمة التي تحتاجها لتحيا على مستوى مقاييس الله.

كان هذا هدف يسوع من موعظته على الجبل: "فإنِّي أقول لكم إنَّكم إنْ لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين"(متى ٥:٢٠). كان الكتبة والفريسيون أكثر الناس تديُّناً وتدقيقاً في زمانهم وقد ذهبوا في سلوكهم المُدَقّق إلى أبعد حدّ. لكنَّ قلوبهم من الداخل كانت مثل القبور يفوح منها الموت. هدف يسوع هو خلق الناس من جديد، من الداخل إلى الخارج، بأنْ يجعل في داخلهم طبيعة جديدة وأن يخلق فيهم ذات جديدة. فقط بعد أنْ يُغيِّر هُويّتك ويجعلك شريكاً في طبيعته، يستطيع أنْ يُغيِّر سلوكك.

البعض يُساوون بين تعبير "الطبيعة القديمة" و"الجسد". في الترجمة الإنجليزية *New International Version (NIV)* تُترجم أحياناً كلمة جسد اليونانية «*sarx*» "الطبيعة العتيقة" مع وضع ترجمتها الحرفية "جسد" في الهامش. أفهم لماذا فعل المترجمون هذا، لأنَّ "الجسد" يصف كيف تعودّت أنْ أسلك كإنسان طبيعي. وبما أنَّ "الجسد" يبقى بعد اختبار الخلاص، فهذا يُعطي انطباعاً يبدو منطقياً أنَّ "الطبيعة القديمة" تبقى أيضاً بعد الخلاص.

لكنني لم أعد إنساناً طبيعياً، ففي المسيح أنا إنسان روحي. هذه هي طبيعتي الجديدة. عندما أختار السلوك بحسب الطرق القديمة التي تعودت عليها قبل تجديدي، فهذا يُشكل تخطي لطبيعتي الجديدة. عندما أفعل هذا، أشعر بضميري يُبكّتني لأنَّ سلوكي لم يكن مُتوافقاً مع كياني الحقيقي الجديد. في الحقيقة، عندما يُقدم شخص على أمر وهو عالِم أنَّه خَطِيَّة ولا يشعر بالذنب، فإنّي أشك في كونه ابناً لله. بالنسبة للمسيحي الشعور بالتبكيت هو دليل على

وجود الخليقة الجديدة.

إذا أردت أنْ تُشير للجسد على إنَّه الطبيعة القديمة، فلن أُجادلك على المصطلحات، لكنَّ الحقيقة الكتابية تؤكد أنَّ التأثير المُتبقي من كياني القديم في آدم ليس جزءً من هُوِيَّتي الجديدة في المسيح.

هل "الإنسان العتيق" حيّ، أم في طريقه للموت، أم هو قد مات فعلياً؟

بشكل عام كلّ غير المؤمنين هم شركاء في الطبيعة القديمة الموسومة بالخَطيَّة. بشكل شخصي قبل أنْ تأتي للمسيح كنت واحداً من منهم، كنت خاطئاً لأنَّ طبيعتك كانت فعل الخَطيَّة. لكنَّك كشخص كنت مُتميزاً عن باقي الذين لهم الطبيعة القديمة، هذا التميَّز كان في "ذاتك العتيقة". تُشير لها ترجمة*The King James Version* "بالإنسان العتيق". والرسالة الأولى إلى كورنثوس ٢:١٤ ترجمة *New American Standard Bible* تسميها "الإنسان الطبيعي" الذي لا يقدر أنْ يقبل أو يعرف أمور الروح القُدس.

أرقد في سلام

ماذا حدث لك عندما حصلت على الخلاص؟ لقد مُت ـ ليس جسدياً بالطبع، لكنَّ ذاتك القديمة التي كانت تستمد قوتها من الطبيعة القديمة التي ورثتها من آدم هي التي ماتت (رومية٦:٢-٦؛ كولوسي ٣:٢). ما هي طريقة الإعدام؟ هي الصلب مع المسيح. رومية ٦:٦ تقول: "عالمين هذا أنَّ إنساننا العتيق قد صلب معه ليُبطل جسد الخَطِيَّة كي لا نعود نستعبد أيضاً للخَطِيَّة." يعلن بولس في غلاطية ٢:٢٠ "مع المسيح صُلبت..." وفي غلاطية ٦:١٤، ينفي بولس أي حق له في الافتخار،"إلاّ بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم." في الخلاص أصبحت في المسيح، الذي مات على الصليب من أجل

خطاياك. ولأنَّك في المسيح، فإنَّ ذاتك القديمة قد ماتت معه على الصليب.

الخَطيَّة وإبليس لازالا موجودين، ولازالا قويين وجذابين.
لكن بفضل صَلب الذات العتيقة، كُسرت عنك قوة الخَطيَّة

لماذا يجب أنْ تموت الذات القديمة؟ رومية ٦:٦ تُخبرنا أنَّ الذات العتيقة كانت مُستقلة عن الله وغير طائعة له، لذلك كان يجب أنْ تموت "ليُبطل جسد الخَطيَّة كي لا نعود نستعبد أيضاً للخَطيَّة." الموت هو "نهاية لعلاقة" وليس "نهاية للوجود". الخَطيَّة لم تمت؛ فهي مازالت قوية وجذابة. لكنْ عندما ماتت ذاتك العتيقة (أو إنسانك العتيق) مع المسيح على الصليب، انتهت علاقتك مع الخَطيَّة إلى الأبد. أنت لم تعد في "الجسد" بل "في المسيح" (رومية ١:٨). ذاتك العتيقة (الإنسان الخاطئ) وطبيعتك العتيقة (المملوءة بالخَطيَّة، التي لم يكن بوسعك تجنبها ـ أي الخَطيَّة ـ لأنَّك كنت مُنفصلاً عن الله) قد انتهيا إلى الأبد لأنَّك لم تعد منفصلاً عن الله.

هل هذا يعني أنَّك الآن بلا خَطيَّة؟ كلا، مطلقاً. موت ذاتك العتيقة أنهى رسمياً علاقتك بالخَطيَّة، لكنَّه لم يُنه وجود الخَطيَّة. مازالت الخَطيَّة وإبليس موجودين، ولهما قوتهما وجاذبيتهما. لكنْ بفضل موت الذات العتيقة بالصلب مع المسيح، كُسرت عنك قوة الخَطيَّة (رومية ٦:٧،١٢،١٤). لست مُجبراً أنْ تخدم الخَطيَّة، أو أنْ تخضع للخَطيَّة أو أنْ تستجيب للخَطيَّة.

أنت تفعل الخَطيَّة عندما تختار بإرادتك أنْ تتصرف مُستقلاً عن الله كما كانت تفعل الذات العتيقة دائماً، فتسلك مُتجاوزاً طبيعتك الجديدة وهُويَّتك الجديدة. أفعال مثل هذه يجب التوبة عنها وتركها. سنُناقش بتوسع في نهاية هذا الفصل تأثير الخَطيَّة على حياة المؤمن.

الموت مرَة واحدة وإلى الأبد

منذ عدة سنوات زارني أحد الراعاة وهو في اضطراب شديد، قائلاً: "لقد صارعت طوال ٢٠ عاماً لأحيا الحياة المسيحية المُنتصرة. أعرف ما هي مشكلتي. كولوسي ٣:٣ تقول: لأنَّكم قد متم وحياتكم مُستترة مع المسيح في الله.___ لقد صارعت كلّ هذه السنين لأنّي لم أمت كما تقول هذه الآية. كيف أموت، يا«نيل»؟"

– "ليس الموت هو مشكلتك، إقرأ الآية بإمعان مرة أخرى."

– "لأنَّكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله. «نيل» أنا أعرف ما تقوله الآية. مشكلتي إنّي لم أمت."

– "إقرأها مرة أخرى، بإمعان أكثر."

– "لأنَّكم قد متم..." فجأة أضاء في ذهنه نور. "آه، إنَّه فعل ماضي، أليس كذلك؟"

– "بكل تأكيد، ليس أنْ تموت هي مشكلتك، لأنَّك قد مت فعلاً. لقد مت لحظة خلاصك. لا عجب إنْ كنت تُصارع كمسيحي، لقد كنت تُحاول فعل شيء قد حدث بالفعل، وهذا مستحيل. الموت الذي يتكلم عنه بولس في كولوسي ٣:٢ ليس أمراً يطلب الله منك فعله؛ لكنه أمر يطلب منك معرفته، أقبله وآمن به، فأنت لا تستطيع أنْ تتغيّر إلى حالة أنت عليها فعلياً."

شكراً لعمل فداء المسيح العجيب في حياتك، ذاتك القديمة (إنسانك العتيق) قد استُبدلت بذات جديدة (إنسان جديد) تحكمها طبيعة جديدة لم تكن موجودة فيك من قبل (١كورنثوس ١٧:٥). لقد دُمّرت ذاتك العتيقة بموت المسيح وذاتك الجديدة خرجت للحياة بقيامة المسيح (١ كورنثوس ١٥:٢٠-٢٢). الحياة الجديدة التي تُميّز ذاتك الجديدة ليست سوى حياة يسوع المسيح فيك (غلاطية ٢٠:٢؛ كولوسي ٤:٣).

أَيْنَ موضع الجسد في هذه الصورة؟

عندما كنت في البحرية كنا نُسمي رُبّان سفينتنا "الرجل العجوز *The Old Man*"[1] هذا الرجل كان صارماً وقاسياً، ولا أحد يُحبه. لقد اعتاد أنْ يسكر مع كبار الضباط ويتهكّم ويُضايق صغار الضباط ويحوّل حياة الباقين منا إلى بؤس. لم يكن مثالاً جيداً لضباط البحرية. لهذا فرحنا جميعاً، عندما نُقل "الرجل العجوز" إلى سفينة أخرى. كان يوماً مشهوداً لسفينتنا.

ثم جاءنا رُبّان جديد "رجل عجوز" جديد. "الرجل العجوز" القديم لم يعد له أي سُلطة علينا؛ لقد خرج بالكامل من حياتنا. لكنّي تدرّبت تحت سُلطة هذا "الرجل العجوز". فكيف تظنون كانت علاقتي مع "الرجل العجوز" الجديد؟ في بداية الأمر كان رد فعلي تجاهه تماماً كما كان تجاه الرُبّان القديم. كنت أسير على أطراف أصابعي عندما يكون موجوداً، مُتوقعاً أنْ يفترسني. هذه هي الطريقة التي عشت بها لمدة عامين في وجود رُبّاني الأول.

لكنْ كلّما تعرفت أكثر على الرُبّان الجديد كلّما اكتشفت أنَّه ليس طاغية قاسي مثل "رجلي العجوز" السابق. لم يكن يُضايق طاقمه؛ كان رجلاً طيباً يهتم بنا جداً. لكنّي قد تبرمجت لمدة عامين على التصرف بطريقة معينة عند رؤية الرُبّان. بالرغم من أنّي لم أعد بحاجة للتصرف هكذا، لكنّي استغرقت عدة شهور لكي أتكيّف مع الرُبّان الجديد.

رد فعلك تجاه رُبّانك القديم

أنت أيضاً خدمت تحت سُلطة رُبّان أناني قاسي أي ذاتك العتيقة الخاطئة مع طبيعتها الخاطئة. والقائد الأعلى لهذا الأسطول هو إبليس، أمير الظلام. لكنْ بنعمة الله "أُنقذت من سلطان لظلمة ونُقلت إلى ملكوت ابن محبته" (كولوسي ١٣:١). أنت الآن تحت سُلطة رُبّان جديد أي ذاتك الجديدة المملوءة بالطبيعة

---

(١) يلعب الكاتب على الكلمات حيث أن *The Old Man* يمكن أن تفهم «الرجل العجوز» أو «الإنسان العتيق» يمكنك وأنت تقرأ إستبدال «الرجل العجوز» بـ «الرنسان العتيق». (المترجم)

الإلهية التي ليسوع المسيح، قائدك الأعلى الجديد. لأنّك ابن الله وقدّيس، لم تعد تحت سُلطة إنسانك العتيق. لقد مات ودفن، لقد ذهب إلى الأبد.

إذاً لماذا تتصرف كأنّ رُبّانك القديم مازال هو المسيطر على تصرفاتك؟ لأنّك عندما كنت تخدم تحت سلطته، ذاتك العتيقة دَرّبت وكَيّفت أفعالك، وردود أفعالك، وعواطفك، وطريقة تفكيرك، وذكرياتك وعاداتك واختزنتها في مكان ما في ذهنك اسمه "الجسد". الجسد هو هذا المَيْل داخل كلّ إنسان للتصرف مُستقلاً عن الله، ولتركيز كلّ اهتماماته حول نفسه. أي شخص غير مُخَلَّص يسلك بالكامل في الجسد (رومية ٨:٧،٨)، يعبد ويخدم المخلُوق دون الخالق (رومية ١:٢٥). مثل هؤلاء الأشخاص "يعيشون لأنفسهم" (٢كورنثوس ٥:١٥)، حتى وإنْ بدت أفعالهم مدفوعة بالكرم والاهتمام بالآخرين.

عندما ولدت ثانية، ماتت ذاتك العتيقة وخرجت ذاتك الجديدة للحياة، وأصبحت شريكاً للمسيح في طبيعته الإلهية. لكنْ "الجسد" الذي فيك مازال موجوداً. فأنت تدخل إلى حياتك المسيحية الجديدة، ولك طريقة حياة وذهن قد تم تشكيلهما بالكامل بعيداً عن الله ومحورهما هو ذاتك. لأنّك ولدت حيّ جسدياً لكنْ ميتاً روحياً، لم تكن تعرف الله ولا طرقه، لذلك تعلّمت أنْ تحيا مُستقلاً عنه. هذا الاستقلال هو الذي جعل الجسد مُعادياً لله.

السنوات التي قضيتها في انفصال عن الله، بَرمَجت ذهنك بالكامل بطريقة تفكير، وذكريات، وردود أفعال وعادات غريبة عن الله. لذلك وإنْ كان رُبّانك القديم قد ذهب، لكنّ "جسدك" باقٍ في عداوة مع الله، والذي يظهر كمَيْل في داخلك قد سبق برمجته نحو الخَطِيَّة، التي هي الحياة المُستقلة عن الله.

رد فعلك تجاه رُبّانك الجديد

كمؤمن، يجب أنْ تُميِّز بدقة علاقتك مع الجسد. يوجد تمييز في العهد الجديد بين أنْ ***"تكون في الجسد"*** وبين أنْ ***"تسلك حسب الجسد أو بالجسد"***. كمسيحي أنت لم تعد في الجسد. فعبارة "في الجسد" تصف الأشخاص الذين مازالوا أمواتاً

روحياً (رومية ٨:٨)، ويعيشون مُستقلين عن الله. كلّ ما يفعلون إنْ كان خيراً أو شراً، هو في الجسد.

أنت لست في الجسد؛ أنت في المسيح. أنت لم تعد مُستقلاً عن الله؛ لقد أعلنت خضوعك له بإيمانك بالمسيح. ***لكنْ بالرغم من أنَّك لست في الجسد، فقد تختار السلوك حسب الجسد (رومية ٨:١٢، ١٣).*** قد تستمر في السلوك مُستقلاً عن الله بالاستجابة لطريقة التفكير القديمة، والأنماط السلوكية والعادات التي غرسها فيك العالم الذي كنت تعيش فيه. يوبّخ بولس مسيحيّي كورنثوس غير الناضجين ويصفهم بأنَّهم "جسديين" لأنَّهم يسلكون بالغيرة، والخصام، والشقاق والخطأ في تحديد هُويّتهم (١كورنثوس ٣:١-٣). لقد ذكر في غلاطية ٥:١٩-٢٠ قائمة بمظاهر الحياة في الجسد. غير المؤمنون لا يستطيعون إلاّ أنْ يعيشوا حسب الجسد لأنَّهم بالكامل في الجسد. لكنَّ رُبّانك القديم قد ذهب. أنت لم تعد في الجسد ولم تعد محتاجاً أنْ تعيش بحسب شهواته.

التخلص من الذات العتيقة كان مسئولية وعمل الله، لكنْ تعطيل الجسد وأعماله عن العمل هو مسئوليتنا نحن (رومية ٨:١٢). لقد غيّر الله طبيعتك، لكنَّها مسئوليتك أنْ تُغيّر سلوكك بأنْ "بالروح تُميت أعمال الجسد" (رومية ٨:١٣). كيف يُمكنك هذا؟ هناك عاملان رئيسيان في تحقيق الانتصار على الجسد.

أولاً، يجب أنْ تتعلم تكييف سلوكك بحسب رُبّانك الجديد أي ذاتك الجديدة المملوءة بطبيعة المسيح. يعدنا بولس : "اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد" (غلاطية ٥:١٦). تَعَلُّم السلوك بالروح هو موضوع الفصل الخامس.

ثانياً، أنماط التفكير القديمة واستجابتك لجسدك المُتدرّب في الخَطيَّة يجب أنْ "تتغيّر بتجديد ذهنك" (رومية ١٢:٢). عملية تجديد الذهن هي موضوع الفصول من ٦ إلى ٩ .

ما هو دور الخَطِيَّة في صراعي نحو السلوك المُقدّس؟

الخَطِيَّة هي الحالة التي ولد فيها كلّ نسل آدم الساقط (رومية ٥:١٢). الخَطِيَّة هي الحياة المُستقلة عن الله. نتيجة لخداع إبليس أصبح هناك إيمان بأنّ الحياة ذات المعنى والهدف يُمكن أنْ تتحقق بعيداً عن العلاقة الشخصية مع الله، وبدون الخضوع لخالق الحياة (تثنية ٣٠:١٩،٢٠؛ ١يوحنا ٥:١٢). في غير المؤمن، الخَطِيَّة متغلغلة في طبيعته العتيقة، وتسود ذاته العتيقة وتُنتج في سلوكه أعمال الجسد. إبليس في قلب كلّ خَطِيَّة (١يوحنا ٣:٨). هو يخدع البشر بكذبه ويُشير عليهم بالتمرد على الله.

عندما قبلت المسيح، لم تكسر قوة الخَطِيَّة في ذاتها، لكنْ بموتك مع المسيح وقيامتك معه وبرك الذي فيه كسرت قوة الخَطِيَّة في التسلط عليك (رومية ٦:٧؛ ٨:١٠). أنت لم تعد مُجبراً على فعل الخَطِيَّة لأنَّك ميت للخَطِيَّة وحيّ لله في المسيح (رومية ٦:١١). لازالت الخَطِيَّة قوية ومُغرية لجسدك لكي يستمر في السلوك مُستقلاً عن الله. لكنَّك لست مُستعبداً لها كما كنت قبل قبولك للمسيح. إنَّها مسئُوليتك أنْ "لا تَملُكنّ الخَطِيَّة في جسدك المائت لكي تطيعها في شهواته" (رومية ٦:١٢).

أفعل ما لا أريد أنْ أفعله

ربما الوصف الأكثر قوة لحدّة الصراع مع الخَطِيَّة الدائر في حياة المؤمن هو الموجود في رومية ٧:١٥-٢٥ في الآيتين ١٥ و١٦، يصف بولس المشكلة:"لأنّي لست اعرف ما أنا أفعله إذ لست أفعل ما أريده بل ما ابغضه فإياه أفعل. فإنْ كنت أفعل ما لست أريده فإنّي أصادق الناموس أنَّه حسن".

لاحظ أنَّه ليس هناك إلاّ فاعل واحد في هاتين الآيتين فضمير الفاعل "أنا" يتكرر ثمان مرات. لاحظ أيضاً أنّ هذا الشخص له قلب صالح، يتفق مع ناموس الله. لكنْ هذا المسيحي الطيب القلب عنده مشكلة سلوكية. فهو يعرف ما

يجب عليه فعله، لكنَّه لسببٍ ما لا يقدر على فعله. هو يتفق مع الله، لكنَّه ينتهي بفعل الأشياء الخاطئة التي يكرهها.

الآيات من ١٧ إلى ٢١ تكشف سبب هذه المشكلة السلوكية: "فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخَطيَّة الساكنة فيَّ. فإنِّي أعلم أنَّه ليس ساكن فيَّ أي في جسدي شيء صالح.لانَّ الإرادة حاضرة عندي وأما أنْ أفعل الحُسنى فلست أجد. لأنِّي لست أفعل الصالح الذي أريده بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل. فإنْ كنت ما لست أريده إياه أفعل فلست بعد أفعلهأنا بل الخَطيَّة الساكنة فيَّ. إذا أجد الناموس لي حينما أريد أنْ أفعل الحُسنى أنَّ الشر حاضر عندي."

كم فاعل موجود في هذه الآيات؟ اثنان، الخَطيَّة وأنا. لكنَّ الواضح أنَّ الخَطيَّة ليست "أنا"؛ هي فقط ساكنة فيَّ. الخَطيَّة تمنعني من فعل ما أُريده، لكنِّي المسئول إذا سمحت للخَطيَّة أنْ تسودني.

هل تقول هذه الآيات أنِّي لست صالحاً، أو أنني شرير أو خاطئ؟ قطعاً، لا. هذه الآيات تقول أنَّه يوجد شيء غير صالح يسكن فيَّ، أي الخَطيَّة، لكنَّها ليست أنا. لدي شظية في إصبعي، أستطيع القول أنَّه يوجد شيء غير صالح فيَّ. أنا لستُ الشظية، لكنَّ الشظية الموجودة في إصبعي ليست جيدة. أنا لست الخَطيَّة ولست خاطئ. أنا قدّيس لدي خَطيَّة تجعلني أفعل ما لا أُريد فعله.

في ميدان المعركة

الآيات من ٢٢ إلى ٢٣ تُحدد ميدان المعركة بيني وبين الخَطيَّة: "ولكنِّي أرى ناموساً آخر في أعضائي يُحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخَطيَّة الكائن في أعضائي. ويحي أنا الإنسان الشقي. مَنْ يُنقذني من جسد هذا الموت."

أَيْنَ تكمن رغبتي في فعل الصلاح؟ يستخدم بولس عبارة "الإنسان الباطن"، للإشارة إلى ذاتي الجديدة حيث روحي وروح الله مُتّحدان. هذا هو

الجزء الأبدي مني. أَيْنَ تركز الخَطيَّة هجومها لتمنعني من فعل ما أُريد؟ إنها تُركّز على جسدي، أي استقلالي المُكتسب، الذي يستمر في تشجيع تمردي على الله (يعقوب ١:٤) هذا هو الجزء الزمني مني. إذاً أَيْنَ يشن هذان العدوان حربهما (غلاطية ١٧:٥) ميدان المعركة هو ذهني. لذلك من المهم جداً أنْ نتعلم كيف نُجدد أذهاننا (رومية ٢:١٢) وأنْ نستأسر كلّ فكر إلى طاعة المسيح (٢كورنثوس ٥:١٠).

ذاتك القديمة قد ماتت، لكنَّ الجسد والخَطيَّة
مُستمرين في الحياة،
ويحاربان يومياً ذاتك الجديدة ليُسيطرا على حياتك.

يُنهي بولس وصفه للصراع بين الخَطيَّة والذات الجديدة بهذا الصيحة: "ويحي أنا الإنسان الشقي! مَنْ يُنقذني من جسد هذا الموت؟" (رومية ٢٤:٧). لاحظ أنَّه لم يَقُل: "أنا الإنسان الخاطئ!" الشقي يعني التَعِيس، وليس هناك أتعس من الشخص الذي يسمح للخَطيَّة أنْ تتسلط على جسده المائت. إذا استخدمنا أجسادنا آلات للإثم، نعطي لإبليس الفرصة للدخول إلى حياتنا، وهو لا يجلب معه إلاّ التعاسة.

الخبر السار هو أنّ رومية ٢٤:٧ يتبعه رومية ٢٥:٧ ورمية ١:٨ :"اشكر الله بيسوع المسيح ربنا!... إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع." إنَّ معركة الذهن، معركة يُمكن الانتصار فيها كما سنرى في الفصل التاسع.

المصطلحات التي تناولناها في هذا الفصل تعطينا منظوراً جديد للتبرير والتقدّيس. في لحظة خلاصك، تبررت بالكامل أمام الله أي أنَّ ذاتك القديمة الخاطئة دُمّرت إلى الأبد. وأصبحت شريكاً للطبيعة الإلهية، طبيعة المسيح.

أصبحت إنساناً جديداً في المسيح وأعلن الله أنَّك قدّيس. هذا التغيير **يحدث** ***مرة واحدة وإلى الأبد.*** لا يوجد ما تستطيع إضافته لتحسين ما فعله الله لتغييرك وتبريرك. هو يُريدك أنْ تؤمن فقط بما فعله لك وأنْ تقبل هُويّتك الجديدة كابن له.

التقدّيس هو عملية التحول التدريجي لتصبح سلوكياتك مُتوافقة لما أنت عليه في الحقيقة بسبب هُويّتك. ذاتك القديمة قد ماتت، لكنَّ الجسد والخَطيَّة مُستمران في الحياة، ويُحاربان يومياً ذاتك الجديدة ليسيطرا على حياتك. النمو والنضوج الروحيان هما نتيجة لإيمانك بحقيقة "مَنْ أنت في المسيح"، وفعل ما يجب عليك فعله لتُجديد ذهنك وسلوكك بالروح.

(i) Anthony A. Hoekema, *Created In God's Image* (Grand Rapids, MI: Eerdmans/Paternaster, 1986), p. 110.

٥

كيف تصبح الشخص الروحي الذي تتمناه؟

في بداية القرن العشرين كان في «بوسطن» مستشفى للأمراض العقلية، يتعامل مع مرضى التخلف والاضطراب العقلي الشديد. إحدى المرضى كانت فتاة يُسمونها «آني الصغيرة». وكانت لا تتجاوب مُطلقاً مع العاملين في المستشفى الذين جربوا كل الطرق لمساعدتها، لكنْ دون جدوى. وأخيراً وضِعت في زنزانة في الطابق تحت الأرضي، وتُرِكت ميؤوس منها.

لكنْ إحدى العاملات في المستشفى كانت امرأة مسيحية رائعة تؤمن باحتياج جميع البشر للمحبة، والاهتمام والرعاية. لذا قررت أنْ تقضي وقت راحة الغذاء أمام زنزانة «آني الصغيرة»، تقرأ لها وتصلي من أجلها ليُخرجها الله من سجن الصمت. كانت هذه المرأة تأتي كل يوم أمام باب «آني الصغيرة» وتقرأ لها، والفتاة الصغيرة لا تستجيب. مرت شهور، والمرأة تُحاول التحدث إلى «آني الصغيرة»، بدا الأمر وكأنَّها تتحدث إلى زنزانة خالية. كما كانت تُحضر لها بعض الطعام لكنْ «آني» لم تمد يدها أبداً إليه.

في إحدى الأيام نقَصت قطعة حلوة من الطبق الذي كانت تُبقيه المرأة «لآني». ما شجعها على الاستمرار في القراءة والصلاة من اجلها. أخيراً بدأت

الفتاة في الرد عليها من خلال قضبان زنزانتها. وسريعاً أقنعت المرأة الأطباء بضرورة إعطاء «آني» فرصة ثانية للعلاج. فأصعدوها من الطابق تحت الأرضي واستأنفوا علاجها. بعد عامين قيل «لآني» أنَّ بإمكانها ترك المستشفى والتمتع بحياة طبيعية.

لكنَّها رفضت تَرك المستشفى، لأنَّها كانت وفية للمحبة والاهتمام الذين حصلت عليهما من تلك المرأة المسيحية المُكرّسة، لقد قررت البقاء لتُعطي للآخرين المحبة التي حصلت عليها، فبقيت للعمل مع المرضى الذين يتألمون كما كانت تتألم.

بعد حوالي نصف قرن من هذه الحادثة، أقامت ملكة إنجلترا احتفالاً خاصاً لتكريم «هيلن كيلر» واحدة من أكثر الأمريكيات إبداعاً، التي عندما سُئلت عن سبب نجاحها في التغلب على عجزها المزدوج في البصر والسمع، أجابت "هيلن كيلر": "لولا «آن سوليفان» لما كنت هنا اليوم."

«آن سوليفان» التي قدّمت المحبة المستمرة وآمنت «بهيلن كيلر» الفتاة ذات العجز المستديم، العمى والصمم، كانت هي «آني الصغيرة». بسبب إيمان امرأة مسيحية باحتياج فتاة ميؤوس منها في سراديب مستشفى للأمراض العقلية، لمحبة الله، خرجت للعالم هذه الهدية الرائعة «هيلن كيلر».

ما هي تكلفة أنْ نصبح هذا النوع من المسيحيين؟ ما الذي نحتاجه لنخرج خارج أنانيتنا التافهة وجسديتنا، لنعمل أعمال خدمة المحبة لله والآخرين؟ ما هو جوهر النضوج المسيحي الذي دفع «آن سولفان» للتطّوع لهذه الخدمة المُتميزة؟

أولاً، يتطلب هذا النضوج إدراكاً ثابتاً لهُويّتك في المسيح. لا يُمكنك أنْ تُحب كما أحب يسوع إلاّ عندما تقبل حقيقة *أنَّك في المسيح* وأنَّ طبيعته الإلهية هي جوهر كيانك.

ثانياً، يجب أن تبدأ يومياً بصلب الذات العتيقة المُتدربة على الخَطِيَّة وأنْ

تسلك بحسب هُويّتك في المسيح: ابناً لله وروحك مملوءة من روح الله.

إنَّ عملية السلوك بحسب حقيقية هُويّتك في المسيح تُسَمى السلوك بالروح (غلاطية ٥:١٦-١٨). كيف نسلك بالروح؟ ربما هذا واحد من أصعب الموضوعات التي يُمكن تناولها. يبدو هذا الموضوع مُحاطاً بالسرية والغموض ولن نتمكن من فهمه بالكامل. الرسول يوحنا يقول: "الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنَّك لا تعلم من أَيْنَ تأتي ولا إلى أَيْنَ تذهب. هكذا كل مَنْ ولد من الروح." (يوحنا ٥:٨). مُحاولة تلخيص الحياة في الروح في مُجرد وصفة أو مُعادلة يشبه مُحاولة القبض على الهواء.

نفعل حسناً إذا ـ كما قال أحدهم ـ "أوقفنا المجاديف وبسطنا الشرّاع." عوضاً عن المُحاولات المُجهدة لوصف كل تفاصيل الحياة الروحية بدقة، دعونا نُركّز على ثقتنا في المسيح وندعه يُحركنا في الاتجاه الصحيح. بهذا الدافع في قلوبنا، لنبدأ بدراسة بعض المبادئ الكتابية للسلوك بالروح.

ثلاثة أشخاص والروح

في ١ كورنثوس ١٤:٢ إلى ٣:٣ يميز بولس بين ثلاثة أنواع من البشر من جهة الحياة في الروح: الإنسان الطبيعي، والإنسان الروحي والإنسان الجسدي. الرسم التوضيحي في هذا الفصل سيُساعدك على تصوّر الفرق الهام بين هؤلاء الأشخاص الثلاثة فيما يختص بالحياة الروحية.

أفسس ٢:١-٣ تحتوي على وص"الرسم ٥-أ". هذا الشخص ميت روحياً، منفصل عن الله. يحيا في الجسد، الإنسان الطبيعي له نفس بها يُفكر، ويشعر ويختار. لكنْ كما تُظهر الأسهم في الرسم التوضيحي، ذهنه، وبالتالي مشاعره وإرادته، موجهين بواسطة الجسد الذي يتصرف باستقلال كامل عن الله خالقه. قد يعتقد الإنسان الطبيعي أنَّه حرّ في اختيار تصرفاته. لكنْ بما أنَّه في الجسد، فهو يسلك دائماً حسب الجسد ـ فليس لديه أي اختيار آخر ـ وسلوكياته تعكس "أعمال الجسد" الواردة في غلاطية ٥:١٩-٢١ .

الإنسان الطبيعي
"الحياة في الجسد"
١كورنثوس ١٤:٢

الجسد

بالرغم من أن الجسد قد يعني الجسم، لكنه أيضاً يعني الاستقلال المكتسب عن الله، الذي يعطي فرصة للخَطِيَّة. الإنسان الطبيعي الذي يحاول أن يجد هدف ومعنى للحياة بعيداً عن الله، فيقع في صراع مع صغر النفس، وعدم الأمان، وعدم الكفاءة، والهم والشك.

الجسم (الجسد الطبيعي)

توتر أو صداع نصفي، اضطرابات المعدة، طفح جلدي، حساسية، ربو، بعض أنواع التهاب المفاصل، قولون عصبي، اضطراب في دقات القلب، أمراض في الجهاز التنفسي.

المشاعر

مرارة، قلق واكتئاب، الخ.

الذهن

أفكار مسيطرة وأوهام ، الخ.

الإرادة

(غلاطية ١٦:٥-١٨)

السلوك حسب الجسد

زنى - عهارة - نجاسة - دعارة - عبادة الأوثان - سحر- عداوة - خصام - غيرة - سخط - تحزب - شقاق - بدعة - حسد - قتل- سكر - بطر وأمثال هذه...

الروح

روح الإنسان ميتة بالنسبة لله (أفسس ١:٢-٣)؛ لذلك لا يستطيع الإنسان الطبيعي تحقيق الهدف الذي خلق من أجله. بسبب حرمانه من حياة الله، لا يمكنه تجنب الخَطِيَّة.

الرسم ٥-أ

الإنسان الطبيعي له جسم، ولأنَّه يحيا مُستقلاً عن الله ومقاصده، فتفاعله مع الحياة لا يتناغم مع خطة الله من أجله. الحياة في عصر مُتوتّر بدون أساس روحي قوي يُمكّنه من مواجهة الحياة واتخاذ قرارات إيجابية، يجعل من الإنسان الطبيعي فريسة لواحد أو أكثر من الأمراض الجسدية المذكورة في "الرسم ٥-أ". يتفق الأطباء على أنَّ الكثير من المشكلات الجسدية هي جسدية نفسية إنَّ سلام الذهن والطمأنينة الذين تمنحهما الثقة بحضور الله في حياتنا يؤثران إيجابياً على صحتنا الجسدية (رومية ٨:١١).

الإنسان الطبيعي في أفعاله، وردود أفعاله، وعاداته، وذكرياته وتفاعلاته محكوم بالكامل بالجسد، الذي يسمح للخَطِيَّة أنْ تسود. إنَّ عدم انضباط الجسد الخاطئ في الإنسان الطبيعي يجعله يُعاني من مشاعر صغر النفس، وعدم الأمان، وعدم الكفاءة، والذنب، والقلق والشك.

الإنسان الروحي له أيضاً جسم، ونفس وروح. لكنْ كما يوضح "الرسم ٥-ب"، هذا الشخص قد تغيّر بشكل ملحوظ عمّا كان عليه كإنسان طبيعي قبل ميلاده الثاني روحياً. في الخلاص، اتّحدت روحه بروح الله. الحياة الروحية الناتجة عن هذا الاتحاد تتميز بغفران الخطايا، والقبول في عائلة الله والشعور بقيمة الذات.

أيضاً نفس الإنسان الروحي تعكس تغيّراً ناتجاً عن الميلاد الثاني الروحي. فهو الآن يتلقى دوافعه من الروح بدلاً من الجسد. ذهنه قد تجدد وتغيّر، ومشاعره يُميزها السلام والفرح بدلاً من الانزعاج والقلق. وهو حرّ في عدم اختيار السلوك حسب الجسد، واختيار السلوك حسب الروح. تبدأ حياة الإنسان الروحي تُثمر ثمر الروح كلّما مَارس حرية اختياره في أنْ يحيا حسب الروح (غلاطية ٥:٢٢،٢٣).

جسم الإنسان الروحي أيضاً قد تغيّر، هو الآن مكان لسكن الروح القُدس ويُقدَّم لله كذبيحة حيّة في العبادة والخدمة. الجسد الذي تأقلم على

الإنسان الروحي
"الحياة في الروح"
١كورنثوس ١٥:٢

الرسم ٥-ب

الحياة مستقلاً عن الله تحت سلطان الذات العتيقة، مازال موجوداً في الإنسان الروحي. لكنَّه مسؤول عن صلب الجسد وشهواته، بأنْ يحسب نفسه ميتاً عن الخَطيَّة.

قد تقول: "كل هذا يبدو رائعاً، لكنِّي مسيحي مؤمن ومازال عندي مشاكل. أنا أعلم أنِّي حيّ روحياً، لكنَّ ذهني يُركِّز أحياناً على أفكار خاطئة. أحياناً أستسلم لسلوكيات من القائمة الخطأ، أي من أعمال الجسد بدلاً من ثمار الروح. في أوقات أستمتع بشهوات الجسد بدلاً من أنْ أصلبها."

الإنسان الروحي هو النموذج المثالي للنضوج الذي ننمو جميعاً في اتجاهه. لقد وهب الله لنا كل ما نحتاجه، ليصبح كل واحد منا هذا الإنسان الروحي الذي تصفه كلمة الله (٢بطرس ١:٣). لكنَّ الكثيرين منا يحيون في مكانٍ ما على المُنحدر بين قمة النضوج الروحي وقاع السلوك الجسدي المُوصوف في "الرسم ٥-ج". لكنْ كلّما سلكت حسب الروح، كن واثقاً أنَّ نموك في النضوج والقداسة نحو هذا النموذج المثالي هو أمر أكيد.

لاحظ أنَّ روح الإنسان الجسدي متطابقة تماماً مع روح الإنسان الروحي. الإنسان الجسدي مسيحي مؤمن، حيّ روحياً في المسيح قد أعلن الله بره. لكنْ عند هذا الحد ينتهي التطابق، فبدلاً من أنْ يُقاد بالروح يختار الانسياق وراء شهوات الجسد، ونتيجة لذلك يُصبح ذهنه مُنشغلاً بأفكار جسدية وتمتلئ مشاعره بالأحاسيس السلبية. وبالرغم من إنَّه حرّ في اختيار السلوك حسب الروح وإثمار ثمر الروح، فهو يستمر في الاشتراك في نشاطات الخَطيَّة، عندما يختار السلوك حسب الجسد.

الجسم المادي للإنسان الجسدي هو هيكلاً لله لكنَّه في حالة تهدّم مُحزنة. فكثيراً ما يُظهر الأعراض المرضية التي يختبرها الإنسان الطبيعي لأنَّه لا يحيا بالطريقة التي خلقه الله ليحيا بها. فهو لا يُقدّم جسده لله كذبيحة في العبادة، لكنَّه يتلذذ بشهواته الحسيّة مُنساقاً وراء نزوات الجسد المُتدرب في الخَطيَّة.

الإنسان الجسدي

"الحياة حسب الجسد"

١كورنثوس ٣:٣

الجسم

توتر أو صداع نصفي، اضطرابات المعدة، طفح جلدي، حساسية، ربو، بعض أنواع التهاب المفاصل، قولون عصبي،اضطراب في دقات القلب، أمراض في الجهاز التنفسي.

الجسد

العادات المغروسة مازالت تجذب للذهن للحياة في استقلال عن الله.

المشاعر

غير مستقرة.

الذهن

أفكار مسيطرة وأوهام ، الخ.

الروح

(رومية ٨:٩)
حيّة لكنها مُطفأة
(١سالونيكي ٥:١٩).

الإرادة

(غلاطية ٥:١٦-١٨)

السلوك حسب الروح (نادراً).

محبة - فرح - سلام - طول أناة - لطف - طلاح - إيمان - وداعة - تعفف.

السلوك حسب الجسد (أغلب الوقت).

زنى - عهارة - نجاسة - دعارة - عبادة الأوثان - سحر- عداوة - خصام - غيرة - سخط - تحزب - شقاق - بدعة - حسد - قتل- سكر - بطر وأمثال هذه...

الرسم ٥-ج

وبما أنَّه يخضع للجسد بدلاً من صلبه، فالإنسان الجسدي عُرضة لمشاعر صغر النفس، وعدم الأمان، وعدم الكفاءة، والشعور بالذنب، والقلق والشك.

منذ عدة سنوات قمت ببحث شخصي صغير لتقدير عدد المسيحيين الذين مازالوا يحيون كضحايا للجسد. فطرحت على ٥٠ مؤمن مسيحي جاءوا إليَّ للحديث عن مشكلات في حياتهم، نفس السؤال: "كم من الصفات التالية ينطبق على حياتك: صغر النفس، عدم الأمان، عدم الكفاءة، الذنب، القلق،الشك؟" كل من ال٥٠ أجابوا: "كل الصفات الستة ". هؤلاء كانوا ٥٠ شخصاً مولودين ثانية، أبراراً وأولاداً لله، لكنَّهم كانوا مُعاقين من الجسد لدرجة المعاناة من نفس مشكلات الشك في النفس التي تُحطم غير المؤمنين الذين يعيشون كل حياتهم في الجسد.

لو سألتكم نفس السؤال، فكيف ستجيبون؟ من اختباري في المشورة، أتصوّر أنَّ الكثيرين منكم سيقرّون بأنَّ بعضاً أو كل الصفات الستة تنطبق عليهم. أرى أنَّ أعداداً هائلة من المؤمنين مازالوا مُشوشين من جهة هُويَّتهم الروحية في المسيح وبالتالي هم مُشوشون في حياتهم اليومية. إنَّنا نُصارع مع الجانب السلوكي من نمونا لأنَّنا مازلنا نُصارع مع الجانب الإيماني من هذا النمو، الذي هو "مَنْ نحن في المسيح".

هل أنت مُحبط في نموك بسبب مشاعر صغر النفس؟ مَنْ أو ما الذي يجعلك تشعر بصغر النفس؟ أنت ابن الله جالس معه في السماويات في المسيح (أفسس ٢:٦). هل تشعر بعدم الأمان؟ إلهك لن يتركك ولن يهملك (عبرانيين ١٣:٥). هل تشعر أنَّك غير كفء؟ أنت تستطيع كل شيء في المسيح (فيلبي ٤:١٣). هل تشعر بالذنب؟ لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع (رومية ٨:١). هل تشعربالقلق؟ لقد منحك الله سلامه بدلاً من قلقك(فيلبي٤:٦؛ ١بطرس ٥:٧؛ يوحنا ١٤:٢٧). هل لديك شك؟ الله يعطي حكمة لمَنْ يسأل (يعقوب ١:٥).

لماذا يوجد هذا التفاوت الضخم بين هذين النوعين من المسيحيين: الروحيين والجسديين؟ لماذا يعيش الكثير من المسيحيين في مستوى أقل بكثير من إمكانياتهم في المسيح.

لماذا قليلون منا هم الذين يتمتعون بالحياة الفياضة المُثمرة التي هي ملكاً لنا بالفعل كميراث.

جزء من الإجابة يتعلق بعملية النمو والنضوج التي تقوم على تطبيق ومُمارسة المؤمن لإيمانه بهُويّته الروحية في حياته اليومية. لكنْ يوجد عدداً لا حصر له من المسيحيين الذين ولدوا من الله من سنين ـ ربما عشرات السنين ـ لكنَّهم في حاجة لاختبار قدر أكبر من الانتصار على الخَطِيَّة والجسد، مع أنَّهم يمتلكون هذا الانتصار كميراث لهم في المسيح.

جزء آخر من الإجابة هو، بسبب جهلنا لكيفية تأثير مملكة الظلمة على تقدّمنا في النضوج. يوجد لنا عدو شخصي حيّ هو إبليس يعمل بنشاط ليُعيق مُحاولاتنا للنمو في النضوج كأولاد لله. يجب علينا تَعَلُّم التصدي له. يكتب بولس عن إبليس: "لأنَّنا لا نجهل أفكاره" (٢كورنثوس ٢:١١). ربما لم يكن بولس والكورنثوسيون جاهلين لخطط العدو، لكنْ اليوم الكثير من المسيحيين يجهلونها بالتأكيد، فيحيون كأنَّ لا وجود لإبليس ومملكته المظلمة، سنجد أنهم في هذه النقطة آلة فعّالة لإعاقتهم عن الحرية التي لهم في المسيح. سنتكلم عن دور إبليس ومُحاولاته لأعاقتنا عن النضوج ونحن نتكلم عن موضوع حصون الذهن في الفصل التاسع.

في اللحظة التي تظن فيها أنَّك قد اختصرت مسيرة الحياة

المملوءة بالروح في وصفة،

فالاحتمال كبير أنَّها لم تعد مملوءة بالروح.

مقاييس السلوك المملوء بالروح

عند بدء حياتنا المسيحية كنا مثل مُحركات صغيرة ضعيفة ١\٣ حصان. كنا قادرين على العمل لكنّنا لا نُنجز الكثير بسبب عدم نضوجنا. هدفنا كمسيحيين هو أنْ نُصبح مُحركات عملاقة ـ «كتربلر» ـ بيوت طاقة حقيقية من أجل الرب. لكنْ المُحرك الصغير أو العملاق لا يُمكّنه العمل بدون وقود. كذلك نحن لا نستطيع شيء بدون يسوع (يوحنا ١٥:٥). مهما كانت درجة نضوجك، لا يُمكنك الإثمار إنْ لم تسلك بالروح.

في موضوع السلوك بالجسد والسلوك بالروح، تكون إرادتنا مثل زمبرك (الزمبلك). إرادة المؤمن الجديد تبدو كأنَّها مشحونة في اتجاه السلوك الجسدي، فهو لازال الضحية الغافلة لجسد مُتدرّب بعنف على السلوك مُستقلاً عن الله. إرادة المؤمن الناضج مشحونة في اتجاه الروح. قد يختار أحياناً بعض الاختيارات السيئة، لكنَّه يتعلم صلب الجسد والسلوك بالروح بشكل يومي.

أنْ كنت تنتظر وصفة سحرية أو قائمة خطوات مُحكمة للسلوك بالروح، فسيخيب أملك. يوجد قدر من الغموض والسرية في موضوع السلوك بالروح لا يمكننا أنْ نحتويه في معادلة. في الحقيقة، في اللحظة التي تظن فيها أنَّك قد اختصرت مسيرة الحياة المملوءة بالروح في وصفة، فالاحتمال كبير أنَّها لم تعد مملوءة بالروح.

السلوك حسب الروح هو علاقة أكثر منه نظام. خذ زواجك كمثال، ربما تكون قد بدأته مُعتمداً على بعض قواعد التواصل الجيد،...الخ. لكنْ أنْ كنت بعد مرور عدة سنوات لا تستطيع التحدث أو تبادل الحب دون اتباع إطار أو خطوات مُعيّنة، فإنَّ زواجك لم ينضُج بعد. هدف الزواج هو إنشاء علاقة تتخطى القوانين.

فكر في الصلاة. ربما تكون تعلّمت الصلاة مُستخدماً النظام التقليدي: التسبيح، ثم التوبة، ثم الشكر وأخيراً الطلبة. لكنْ إنْ كنت مسيحياً منذ سنوات

كثيرة وكانت صلاتك لا تتعدى نظاماً تقليدياً، فأنت قد أخطأت هدف الصلاة. الصلاة ليست وصفة، لكنَّها لغة علاقتك بالله. بالمثل، السلوك بالروح هو في جوهره علاقة مع الروح القُدس الذي يسكنك والذي لا يمكن تقنينه.

بالرغم من أنَّ الكتاب المُقدَّس لا يقدِّم لنا وصفة للسلوك بالروح، لكنَّه يُساعدنا على معرفة ما هو السلوك بالروح وما هو ليس كذلك. غلاطية ٥:١٦-١٨ تُقدم لنا بعض المقاييس المُفيدة: "وإنَّما أقول اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد. لأنَّ الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون. ولكنْ إذا انقدتم بالروح فلستم تحت الناموس."

ما هو السلوك بالروح

يقول بولس أنَّ السلوك بالروح لا يعني التسيِّب، أي عدم انضباط أو سوء استخدام للحرية يُساء فيه استغلال الامتيازات. كمسيحي قد ترى عبارة "لستم تحت الناموس" وتهتف فرحاً: "أناحرٌ! السلوك بالروح يعني أنّي أستطيع فعل أي شيء أريده!" أبداً، ليس كذلك. في الآية السابقة يكتب بولس: "حتى تفعلون ما لا تُريدون". الانقياد بالروح لا يعني أنَّك حرٌ في عمل أي شيء تُريده، لكنَّه يعني أنَّك أخيراً أصبحت حراً لتحيا حياة مسؤولة ومُقدَّسة، الشيء الذي لم تكن تستطيع فعله عندما كنت سجين الجسد.

ذات مرة دُعيت من إحدى المدارس الثانوية الكاثوليكية لأتكلم في حصة التعليم الديني عن موضوع المسيحية الإنجيلية. في نهاية حديثي، رفع شاب يده، كان يبدو رياضياً ومتمرساً في حياة الشارع، وسأل: "هل لديكم الكثير من الممنوعات في كنيستكم؟"

شعرت أنَّ له هدفاً أعمق، فأجبته: "ما تُريد فعلاً أنْ تسأله هو: هل لديكم أي قدر من الحرية، أليس كذلك؟" أشار موافقاً.

أجبته: "بكل تأكيد، أنا حرٌ أنْ أفعل كل ما يحلو لي".

قال ووجهه يعكس عدم تصديقه: "كن جاداً."

- "بكل تأكيد أنا حرّ أنْ أسرق بنك، لكنّي ناضج بالشكل الكافي لأعرف أنّي سأحيا عبداً لهذا الفعل باقي حياتي، فيجب عليّ إخفاء جريمتي، أو الحياة مُختبئاً أو دفع ثمن فعلتي. أنا أيضاً حرّ أنْ أكذب، لكنْ يجب عليّ الاستمرار في هذه الكذبة، والتذّكر لَمْنْ قلتها وكيف قلتها له، وإلاّ سينكشف أمري. أنا حرّ أنْ أتعاطى المُخدرات، وأدمن الكحول وأحيا حياة ماجنة. كل هذه "الحريات" تقود إلى العبودية. أنا حرّ في آخذ هذه الخيارات، لكنْ بالنظّر إلى النتائج هل حقيقة سأكون حرّاً؟"

ما يبدو حرية لبعض الناس هو ليس في الحقيقة حرية، لكنْ رجوع إلى العبودية (غلاطية ٥:١). إنَّ وصايا الله التي نُريد التحرُر منها، ليس هدفها اختبارنا عن طريق منعنا مما نُريد لكنَّ هدفها حمايتنا من العبودية للخَطيِّة. الحرية الحقيقية هي القدرة على اختيار الحياة المُلتزمة في إطار الحدود الحامية التي وضعها الله لحياتنا.

كما أنَّ السلوك بالروح ليس هو الناموسية، التطرف العكسي للإباحية. يقول بولس: "ولكنْ إذا انقدتم بالروح فلستم تحت الناموس" (غلاطية ٥:١٨). إنَّ السعي المُتشدد لتطبيق بعض القوانين والأنظمة المسيحية لا يقود للسلوك بالروح، بل هو غالباً ما يقتلها(٢كورنثوس ٣:٦). تُخبرنا غلاطية ٣:١٣ أنَّ الناموس يجلب اللعنة، وغلاطية ٣:٢١ تقول أنَّ الناموس غير قادر أنْ يعطي حياة.

القانون أو القول للشخص أنَّه من الخطأ فعل هذا أو ذاك لا يُعطيه القوة للتوقف عن فعله. اشتهر المسيحيون بمحاولتهم لتقنين الحياة الروحية: المسيحيون لا يشربون الكحول، ولا يُدخنون، ولا يرقصون، ولا يذهبون إلى السينما، ولا يلعبون الورق، ولا يضعون المكياج، الخ. لكنَّ الناموسية لا يُمكنها كبح أو ردع الفساد. في الواقع، وضع قانون ما لا يُساعد إلاّ على ازدياد حدة

التجربة. يقول بولس أنَّ الناموس يُنشِّط الرغبة في فعل ما هو ممنوع (رومية ٧:٥)! عندما تقول لطفلك أنْ لا يتعدى خطأً معيناً، أَيْنَ سيذهب مُباشرة؟ الثمرة المُحرمة هي دائماً الأكثر جاذبية.

لا يُمكن إنتاج قلب مملوء بالروح عن طريق مُطالبة الشخص بالخضوع لنظام أو قواعد دينية للسلوك. لكنَّنا كثيراً ما نساوي بين النضوج الروحي والممارسات المسيحية مثل: دراسة الكتاب المُقدَّس، والصلاة، والانتظام في حضور اجتماعات الكنيسة والشهادة. كل هذه النشاطات جيدة ونافعة للنمو الروحي. لكنَّ القيام بهذه الأعمال المسيحية الرائعة، في حدِّ ذاته لا يضمن لنا السلوك بالروح.

هل هذا يعني أنَّ قواعد السلوك الموجودة في الكتاب المُقدَّس غير نافعة؟ قطعاً لا. وصايا الله لازمة كمعايير ضرورية لحمايتنا وإرشادنا. إنَّ حريتنا هي داخل إطار وصايا الله لنا والتلذُّذ بعلاقة مملوءة بالروح مع الله، التي هي جوهر السلوك بالروح.

ما لا يمثل السلوك بالروح

السلوك بالروح لا يتَّسم بالتسيُّب ولا بالناموسية، لكنْ بالحرية. قال بولس إنَّنا "خدام عهد جديد، لا الحرف بل الروح؛ لأنَّ الحرف يقتل ولكنَّ الروح يُحيي... وأما الرب فهو الروح وحيث روح الرب هناك حرية" (٢كورنثوس٣:١٦،١٧).

أعتقد أنَّ حريتنا في المسيح هي أعظم ما نلناه بسبب اتحادنا بالله. لأنَّ فيك روح الرب، فأنت كائن حرّ أدبياً لم تعد مُكرهاً على السلوك حسب الجسد كما كنت قبل تجديدك. وأيضاً الآن أنت لست مُجبراً على السلوك حسب الروح. أنت حرّ بالكامل في اختيار السلوك حسب الروح أو السلوك حسب الجسد.

السلوك بحسب الروح يتميز بأمرين. أولاً، إنَّه ليس عملية سلبية. نحن نتكلم عن السلوك بالروح وليس الجلوس في الروح. واحدة من أقوى المخاطر المُهددة لنموك الروحي هي السلبية أي أنْ تجعل ذهنك في حالة خمول أو أنْ

تتركه يعمل دون التحكم في اتجاه أفكارك. الكتاب المسيحي الشهير *War on The Saints* للكاتبة *Jessie Penn-Lewis* كُتب خصيصاً لمحاربة هذا النوع من الذهن السلبي الخامل. إنَّ الجلوس في انتظار أنْ يعمل الله كل شيء، ليس الطريق الإلهي نحو النضوج الروحي.

ثانياً، نحن نتكلم عن السلوك بالروح وليس العَدْو بالروح. لا تتحقق الحياة المملوءة بالروح من خلال نشاطات مُجهدة لا نهاية لها. نُخطئ إذ نظن أنَّه كلّما تعبنا أكثر في عملنا من أجل الرب كلّما ازددنا روحانية. هذه خدعة مُحكمة من العَدُوّ. إبليس يعرف أنَّه قد لا يستطيع إيقافك عن خدمة الرب بدفعك إلى الاستباحة، لكنَّه قد يقدر إعاقتك بجعلك مشغولاً دائماً.

يحتوي إنجيل متى ١١:٢٨-٣٠ على وصف رائع لسرعة وهدف السلوك المملوء بالروح. قال يسوع: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم. احملوا نِيري عليكم وتعلموا مني. لأنّي وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم. لأنَّ نِيري هيّن وحملي خفيف."

يسوع يدعوك لسير مُريح بالترادف معه، مثلما يسير ثوران معاً تحت نفس النِير. قد تقول: "كيف يُمكن للنِير أنْ يكون مُريحاً؟" ذلك لأنَّ نِير يسوع، نِير هيّن. مثل الثور القوي الذي في المقدمة، يسوع يمشي بسرعة مُنتظمة أمامك. إذا ضبَط سرعتك معه، فإنَّ حملك سيكون حفيفاً. لكنْ إنْ أخذت موقفاً سلبياً في هذه العلاقة، فسيجرك خلفه بشدة تؤلك لأنَّ يسوع سيستمر في المسير. أو إذا أردت أن تسرع أو تذهب في اتجاه آخر، فسيؤذي النِير عنقك وتصبح حياتك غير مُريحة. مفتاح العلاقة المُريحة مع يسوع هو أنْ تتعلم منه وأنْ تنفتح على وداعته وتواضعه.

صورة السلوك بالروح في ترادف مع يسوع تُساعدنا أيضاً على فهم خدمتنا لله. ما الذي يُمكنك أنْ تُنجزه إنْ لم يجر يسوع النِير من جانبه؟ لا شيء. لقد اختار الله أنْ يُشاركك العمل ليُتمم أعماله اليوم في العالم. تُوجد

أعمال يستطيع الله فقط القيام بها، وإذا حاولت القيام بها ستفسدُها. كما توجد أعمال قد أمرك الله بكل وضوح بعملها، وإنْ لم تقم بها فلن تَتِم. في الحقيقية، لنْ يَتِم إنجاز أي شيء إنْ لم تسر أنت والرب معاً.

الله لن يُرغمك على السلوك بالروح،
وإبليس لا يستطيع أنْ يُرغمك على السلوك بالجسد،
بالرغم من أنَّه سيحاول بكل تأكيد اجتذابك في هذا الاتجاه.

السلوك تحت قيادة الروح القُدس

السلوك حسب الروح هو أيضاً الانقياد بالروح (رومية ١٤:٨). لهذا كثيراً ما صوّر الرب في الكتاب المُقدّس علاقتنا به كعلاقة الراعي بخرا فه. الخراف غبية جداً إلى حد أنَّها إذا تُركت وحدها في المراعى فستأكل دون توقف حتى يقتلها كثرة الأكل. فهي تحتاج إلى راع في مراع خضر يربضها وإلى مياه الراحة يوردها (مزمور ٢:٢٣) لكي لا تُميت نفسها من كثرة الأكل.

الذين يعيشون في الغرب ليس لديهم صورة صحيحة عن معنى أنْ نُقاد مثل الخراف. الرعاة في الغرب يقودون قطعانهم من الخلف، وكثيراً ما يستخدمون الكلاب التي تنبح في المؤخرة. لكنَّ الرعاة في الشرق، مثل الرعاة في زمن الكتاب المُقدّس، يقودون خرافهم من الأمام. في زيارة لي إلى الأراضي المقدسة، شاهدت راعياً يقود قطيعه على إحدى التلال خارج بيت لحم. جلس الراعي على صخرة بينما كانت الخراف ترعى. بعد فترة وقف وقال بعض الكلمات لخرافه ومضى، والخراف تبعته. كان منظراً مدهشاً! فجأة أخذت كلمات يسوع في يوحنا ٢٧:١٠ بُعداً جديداً بالنسبة لي: "خرافي تسمع صوتي وأنا اعرفها فتتبعني."

السلوك بالروح هو أنْ تُقاد وليس أنْ تُسيّر (أنْ تُدفع دون إرادتك). كذلك

السلوك بالجسد. الله لن يُرغمك على السلوك بالروح، وإبليس لا يستطيع أنْ يُرغمك على السلوك بالجسد، بالرغم من أنَّه سيحاول بكل تأكيد اجتذابك في هذا الاتجاه. أنت حرٌ في اختيار أنْ تتبع قيادة الروح أو أنْ تتبع شهوات الجسد.

الثمر هو الدليل

كيف يُمكنك أنْ تعرف إنْ كنت تُقاد بالروح أو بالجسد؟ هذا أمر بسيط: أنظر إلى سلوكك. لو كان ردّ فعلك تجاه موقف معين هو المحبة، والفرح، والسلام، وطول الأناة، والصلاح، والإيمان، والوداعة والتعفف، فأنت تتبع قيادة الروح (غلاطية ٥:٢٢،٢٣). لكنْ إنْ كان رد فعلك أو تفاعلك يعكس أعمال الجسد الواردة في غلاطية ٥:١٩-٢١، فأنت تتبع الجسد في هذا الموقف، ولا تسلك بخطى منتظمة مع يسوع الذي يتقدمك في النِّير. أنت إمّا تُسرع لتتخطاه أو تُبطئ فتُجر. هذا يدل أنَّك مُحتاج للتقرب أكثر من يسوع كي تتعلم منه وتسلك بتوافق معه.

ماذا تفعل عندما تكتشف أنَّك تسلك في الطريق الخطأ، أي أنَّك تتبع الجسد وليس الروح؟ اعترف بخطئك وأصلحه. السلوك بالروح هو اختبار تقوم به لحظة بلحظة ويوم بيوم. عندما تخرج عن طريق الروح، اعترف لله بخَطيِّتك ولأي شخص تكون قد أخطأت إليه، استقبل الغفران وعد للسلوك في الطريق الصحيح.

في يوم أحد، عندما كنت راعياً، قلت لعائلتي إنَّه يجب علينا الذهاب للكنيسة في موعد مُعيّن. وعندما حان الوقت كنت جالساً وحدي في السيارة وقد بدأت أفقد أعصابي. وبدلاً من أنْ آخذ طريق المحبة وطول الأناة، بدأت آخذ اتجاه الغضب والمرارة. بعد حوالي الدقيقتين جاءت زوجتي وابني. بعد خمس دقائق أخرى جاءت «هيدي». وبدلاً من أنْ تُحضر كتابها المُقدّس، كان في يدها آخر عدد من إحدى مجلات الشباب.

"ارجعي إلى البيت واحضري كتابك المُقدّس" قلت صائحاً بقسوة. لا أستطيع أنْ أقول أنَّه كان أفضل صباح يوم أحد مرَّ علي. لقد أعثرت عائلتي بسلوكي الجسدي، وكنت أحتاج إلى إصلاح هذا الخطأ. لمّا عدنا من الكنيسة وجلسنا للعشاء قلت لهم: " قبل أنْ نُصلي، أحتاج أنْ تغفروا لي، لقد فقدت أعصابي قبل الذهاب إلى الكنيسة. كان هذا سلوكاً بالجسد." فغفروا لي واسترجعنا علاقتنا.

قد تقول: "لو أنّي اعترفت بكل عمل من أعمال الجسد للأشخاص الذين أخطأت إليهم، فسأقضي معظم الوقت اعترف بخطاياي وسأفقد احترام الناس لي." هذا صحيح، إنَّ العلاقات اليومية للذين يُريدون السلوك حسب الروح يشوبها بعض الاختيارات الخاطئة أي حسب الجسد. وقد تجد تواضعك يتسع إلى أقصى حد وأنت تعترف بأخطائك. لكنْ هناك أمرين يجب أنْ تلتفت إليهما وأنت تُصلح أخطاءك بالسلوك بالجسد.

أولاً، نطاق اعترافك يجب أنْ يكون بقدر نطاق خطئك فقط. إذا انفجرت بكلمات غاضبة في أحد أقربائك، تحتاج أنْ تعترف لله ولهذا القريب فقط، ولا تحتاج للاعتراف بهذا الغضب لفصل مدارس الأحد أو لكنيستك، لأنَّهم لم يكونوا معنيين بالأمر.

إذا كنت تستمتع سراً بأفكار شهوانية أو بموقف مُتكبّر دون أنْ يظهر هذا في سلوك علني خاطئ، تحتاج أنْ تعترف لله فقط. الاعتراف يعني حرفياً أنْ تكون في اتفاق مع الله. عندما تكتشف رد فعل باطني حسب الجسد، اعترف به في الحال في فكرك، هذا كل ما في الأمر ليس هناك أكثر من هذا لتفعله.

ثانياً، عملية استعادة العلاقات من خلال الاعتراف والغفران هي خطوة نحو النمو الروحي. دورك كزوج، أو كأب، أو كصديق، أو كزميل أو كأخ في المسيح هو أنْ تكون مثالاً للنمو وليس للكمال. أنت لست كاملا ــ وكل من حولك

يعرف ذلك! إذا أردت أنْ تحتفظ بواجهة تُمثّل الكمال المسيحي لتُشجع القدّيسيين وتجتذب الخطاة، أنسى هذا الأمر لأنَّه لن يحدث. لكنْ عندما تعترف علناً وتطلب الغفران عن اختياراتك الجسدية، فإنَّك تُقدم قدوة لنوع النمو الروحي الذي سيلمس القدّيسين والخطاة على السواء.

السلوك حسب الروح هو موضوع حرية. أنت حرّ في اختيار أنْ تتبع الجسد أو الروح. لكنْ كن حذراً فإبليس ليس فرحاً برؤيتك حرّاً، وسيُجرّب كل خدعه المُضلّة التي يُمكّنه اختراعها ليمنعك من معرفة الحرية التي أُعطيت لك في المسيح، أو التَمَتّع بها. معرفة طبيعة الله وطرقه ستساعدك على تمييز الأرواح المُضلّة. إذا كان ذلك الصوت الضعيف في داخلك هو الذي يدفعك أو يُغريك السقوط في التجربة أو يشتكي عليك دون كلل، فهذا ليس صوت الله. كلّما سلكت مع يسوع وتعلّمت منه، كلّما صرت مؤهلاً لانْ تُميّز خداع إبليس وتمكنت من التغلب على مُخططاته.

٦

قوة الإيمان الإيجابي

منذ حوالي ٥٠ عاماً، في إحدى ضواحي «ماشفيل» في ولاية «تينيسي»، ولدت طفلة تُعاني من مشكلات صحية ضخمة تسببت في شللها. كان لديها عائلة مسيحية كبيرة ورائعة. في الوقت الذي كان أخوتها وأخواتها يتمتعون بالجري واللّعب في الخارج كانت هي في الداخل سجينة جهاز تقويم الساقين.
كان أبواها يأخذانها بانتظام إلى «ماشفيل» من أجل العلاج الطبيعي، لكنَّ فرصة الفتاة الصغيرة في الشفاء كانت ضعيفة جداً. كانت دائماً تسأل والديها:
"هل سأستطيع يوماً الجري واللّعب مثل باقي الأولاد؟"
"يا حبيبتي، عليك أنْ تؤمني فقط" كانت إجابتهما دائماً. "إذا آمنتِ، فالله سيجعلك تمشين."

أخذت البنت نصيحة والديها بجدية وبدأت تؤمن بأنَّ الله سيشفيها ويجعلها تمشي. وبدون علم الأطباء أو والديها، كانت تتدرب بمساعدة أخوتها على المشي بدون جهاز التقويم. في عيد ميلادها الثاني عشر، أدهشت أبويها حين خلعت جهاز التقويم ومَشَت في مكتب الطبيب بدون مساعدة. لم يستطع أطباؤها تصديق هذا التقدم في حالتها. ومن ذلك اليوم لم تلبس جهاز التقويم

مرة أخرى.

كان هدفها التالي أنْ تلعب كرة السلة. استمرت في مُمارسة إيمانها وحماسها ـ وكذلك تدريب رجلاها الغير كاملتا النمو ـ وذهبت للالتحاق بفريق كرة السلة في مدرستها. اختار المُدّرب أختها الكبرى، لكنَّه قال للفتاة المُتحمسة إنَّها لا تصلح للّعب. كان أبوها رجلاً مُحباً وحكيماً، فقال للمُدرب: "بناتي فريق مُكتَمل، إنْ أردت اختيار واحدة يجب أنْ تأخذ الأخرى أيضاً." فضمّها المُدّرب إلى الفريق رغماً عنه. أعطيت زي قديم وسُمح لها بالتدرب مع باقي اللاعبين.

اقتربت يوماً إلى المُدّرب قائلة: "إذا أعطيتني كل يوم ١٠ دقائق من التدريب الإضافي، فسأعطيك رياضية على مستوي عالمي." ضحك أولاً، لكنْ بعد تحققه من جديتها، وافق دون حماس على إعطاءها بعض الوقت للتدريب الإضافي، باللّعب مع صديقة لها وشابين آخرين. لم يمض وقتاً طويلاً حتى بدا تصميمها للجميع، وأظهرت شجاعة ومهارات رياضية عالية، وأصبحت واحدة من أفضل اللاعبات في الفريق.

تأهّل فريقها لبطولة الولاية لكرة السلة. أحد الحكام في البطولة لاحظ إمكانياتها المُتميزة، وسألها إنْ كانت قد اشتركت في سباق للعَدْو من قبل. قالت إنَّها لم تَقم بذلك من قبل. شجعها ذلك الحكم، الذي كان أيضاً مُدرباً لفريق العَدْو المشهور عالمياً «*Tiger Belles Track Club*» على خوض هذه التجربة. فذهبت بعد انتهاء موسم كرة السلة للتدرب على العَدْو. وبدأت تفوز في السباقات وحصلت على جائزة في بطولة الولاية.

في سن الـ١٦ كانت واحدة من أفضل العَدَّاءِين في الولايات المتحدة. ذهبت إلى الأولمبيات في استراليا وحصلت على الميدالية البرونزية منهية سباق الـ٤٠٠ متر تتابع. لم تكتفِ بما حققته، لكنّها تدربت بجدية لمدة أربع سنوات أخرى ثم شاركت في أولمبيات روما عام ١٩٦٠ هناك فازت «ويلما رودولف» بسباق الـ١٠٠ متر، والـ٢٠٠ متر عَدْو سريع وحققت الفوز في سباق الـ٤٠٠

متر تتابع ـ مُحققة أرقاماً قياسية عالمية. وتوّجت عامها بالحصول على جائزة «سوليفان *Sullivan*» كأبرز رياضية في الولايات المتحدة. إيمان «ويلما رودولف» وعملها الشاق قد كوفئا.

عندما تسمع قصص إيمان مُلهمة مثل قصة "ويلما رودولف"، هل تتساءل أحياناً: "هل الإيمان هو فعلاً العامل الرئيسي الذي مكَّن هؤلاء الأشخاص من الارتفاع فوق العوائق التي تبدو مستحيلة، ومن تحقيق ما لم يستطع الآخرون تحقيقه؟ هل يُمكن للإيمان أنْ يُحقق أموراً قيِّمة أيضاً بالنسبة لي؟"

إلى هنا يجب أنْ تكون قد عرفت أنَّ الرد على هذه الأسئلة هو "نعم". الإيمان عامل لا غنى عنه في الحياة المسيحية. كاتب الرسالة للعبرانيين يُلخص هذه الحقيقة بقوله: "ولكنْ بدون إيمان لا يُمكن إرضاؤه لأنَّه يجب أنَّ الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنَّه موجود وأنَّه يجازي الذين يطلبونه" (عبرانيين ١١:٦). الإيمان بمَنْ هو الله، وبكلمته وقدرته، هو المفتاح لدخول ملكوت الله.

الإيمان هو جوهر الحياة المسيحية اليومية. كتب بولس: "فكما قبلتم المسيح يسوع الرب اسلكوا فيه" (كولوسي ٢:٦). كيف قبلنا المسيح؟ بالإيمان. كيف يجب علينا السلوك فيه؟ بالإيمان. في الكتاب المُقدَّس السلوك يُشير إلى الطريقة التي تتصرف بها في حياتك اليومية. النجاح اليومي للمسيحي في النمو الروحي والنضوج يتوقف على السلوك بالإيمان في المسيح أي الإيمان بما صنعه الله لنا وما أصبحنا عليه في المسيح نتيجة لنعمته هو أساس النضوج المسيحي.

أبعاد الإيمان الواقعي

قد نميل للظن أنَّ الإيمان هو خَاصيَّة غامِضة فائقة للطبيعة تنتمي للعالم الروحي، ولا تنتمي للعالم الواقعي والحياة العملية اليومية. لكنَّ الإيمان عملي ومحسوس أكثر مما تعتقد. أُريد أنْ أُشارك معك ثلاثة مظاهر للإيمان ستُخرجه من نطاق الغموض إلى واقع حياتك العملية.

١- الإيمان يعتمد على حقيقة الشخص الذي هو موضوع هذا الإيمان

ليس الإيمان هو أنْ تقول أنَّك مؤمن. لكنَّ الإيمان يعتمد على بما تؤمن أو بمَنْ تؤمن. هذا ما سيُحدِّد إنْ كان إيمانك سيكافأ أم لا. كل البشر يسلكون بالإيمان كل يوم. مثلاً في كل مرة تقود فيها سيارتك أنت تفعل ذلك بالإيمان. عندما تصل إلى مُفترق طرق وترى الإشارة الخضراء، فإنَّك تعبر الطريق مؤمناً أنَّ السائقين الذين يقفون أمام الإشارة الحمراء سيقفون، بالرغم من عدم رؤيتك للضوء الأحمر. إنْ لم تؤمن أنَّه باستطاعة السائقين الآخرين رؤية الضوء الأحمر والتوقف، فلن تقطع الطريق إلاّ إذا خفَّفت سرعتك وتأكدت من أنَّه ليس هناك أحد يُحاول تخطّي الإشارة الحمراء.

هل ما تؤمن به وأنت تقود سيارتك يُعتمد عليه؟ في معظم الأحيان نعم، لأنَّ معظم السائقين يُراعون قواعد المرور. لكنَّ ربما تكون قد تعرضت لحادث لأنَّك وضعت إيمانك في سائق آخر ثبُت أنَّه لا يستحق هذه الثقة.

ماذا يحدث عندما يَخذلك الشيء أو الشخص الذي هو موضوع إيمانك؟ ستفقد إيمانك به ـ ربما ليس على الفور، لكنْ كم مرة ستتحمل الفشل قبل أنْ تقول: "لن أضع ثقتي فيه مرة أخرى"؟ عندما يَتلف الإيمان أو يُفقد، فمن الصعب جداً استعادته. مُعتقداتك ليست هي القضية، لكنْ موضوع اعتقادك ـ فيما أو في مَنْ تعتقد ـ هو الذي يُكافئ إيمانك أو يُدمره. إذا كنت قد تعرضت لعدد من حوادث السيارات، فإنَّ ثقتك في السائقين الآخرين ستقل جداً وستكون حذراً جداً في سيرك. إذا كان شريك حياتك قد خانك، أو أحد أصدقائك أو أقاربك قد جرحك بشدة، فإنَّ إيمانك بهذا الشخص سيقل لأنَّه لم يكن على مستوى ثقتك به. عندما تتحطم ثقتك بشخص ما، تحتاج إلى شهور وربما إلى سنوات لتستعيد ثقتك فيه.

لكنْ توجد أشياء راسخة كموضوعات للإيمان. أنت تضبط ساعتك، وتُنظم مواعيدك وتُرتب أيامك واثقاً أنَّ الأرض ستستمر في الدوران حول

محورها وحول الشمس بذات السرعة. إذا انحرفت الأرض درجات قليلة عن مسارها، ستعم الفوضى الحياة على الأرض. لكنْ حتى الآن قوانين الطبيعة التي تَحكم حركة الكون هي من أكثر الأمور المُوثوق بها كموضوع إيمان بالنسبة لنا.

إذا كانت معرفتك ضعيفة بالله وبكلمته، فسيكون إيمانك ضعيفاً.

إذا كانت معرفتك قوية بالله وبكلمته، فسيكون إيمانك قوياً.

إنَّ أسمى موضوع إيمان، ليس هو الشمس بالتأكيد، لكنَّه" يسوع المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد" (عبرانيين ١٣:٨). إنَّ ثباته، أي حقيقة أنَّه لا يتغير أبداً، يجعله أهلاً للثقة بشكل مُتَفرِّد (عدد ٢٣:١٩؛ ملاخي ٣:٦). فهو لم يفشل أبداً في أنْ يكون ما وصف نفسه به أو أنْ يفعل جميع ما وعد به. هو أمين إلى الأبد.

الكثير من الناس ليس لهم معرفة بالله وبطرقه، أو معرفتهم ضعيفة به، لكنَّهم يحاولون أنْ يعيشوا بالإيمان. ***هم يحاولون أنْ يعيشوا بالإيمان "في إيمانهم"، وليس بالإيمان في الله.*** الإيمان يعتمد على الشخص موضوع الإيمان

٢- عمق إيمانك يعتمد على عمق معرفتك بموضوع إيمانك

عندما يواجه الناس صراعاً مع إيمانهم بالله، ليس السبب أنَّ موضوع إيمانهم غير كاف. لكنْ لأنَّ الناس لديهم توقعات غير حقيقية عن الله. إنَّهم يتوقعون منه التصرف أو الاستجابة لصلاتهم بطريقة مُعينة ـ بطريقتهم وليس بطريقته ـ وعندما لا يفعل فإنَّهم يقولون: وداعاً لله. لكنَّ الله لا يتغير، فهو موضوع الإيمان الكامل. يخيب إيمان الناس فقط عندما يكون لديهم تصوُّر خاطئ عن الله.

إنْ أردت زيادة إيمانك بالله، عليك زيادة فهمك له كموضوع إيمانك. إذا كانت معرفتك ضعيفة بالله وبكلمته، فسيكون إيمانك ضعيفاً. إذا كانت معرفتك

قوية بالله وبكلمته، فسيكون إيمانك قوياً. لا تستطيع زيادة إيمانك بتملقك نفسك قائلاً: " لو استطعت فقط أنْ أؤمن! لو استطعت أنْ أؤمن فقط!" ***كل مُحاولة تدفع فيها نفسك للإيمان مُتخطّياً مستوى معرفتك بالله وبطرقه هي انتقال من الإيمان إلى الافتراض والإدعاء.*** أنت تؤمن بالله بالقدر الذي يتوافق مع الحقائق التي تعرفها مُسبقاً عنه من خلال معرفتك بكلمته. الطريقة الوحيدة التي يُمكنك زيادة إيمانك بها، هي زيادة معرفتك بالله موضوع إيمانك وجوهره. لذلك يكتب بولس: "إذاً الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله" (رومية ١٠:١٧).

قد تقول: "جيد، لكنْ هذا يعني أنَّ هناك حدّاً لإيماننا." نعم، يوجد حدّ. لكنْ ليس الله هو الذي يتحكم فيه، بل أنت. كموضوع إيمانك هو ـ الله ـ غير محدود. الحدّ الوحيد لإيمانك هو معرفتك وفهمك لله، الذي يتسع في كل مرة تقرأ فيها الكتاب المُقدّس، أو تحفظ آية، أو تشترك في مجموعة لدراسة الكتاب المُقدّس أو تتأمل دارساً الحقائق الكتابية. هل تستطيع أنْ ترى أنَّ إيمانك ينمو بطريقة عملية ملموسة كلما اجتهدت في معرفة الله من خلال كلمته؟ إنَّها إمكانية ليس لها حدود! لكنّي لا أعتقد أنَّ هناك مسيحياً عاش كل ملء إمكانيات إيمانه.

من المهم أنْ نعرف أيضاً، أنَّ الله ليس مديون لنا ولا نستطيع إجباره. لا توجد طريقة يُمكنك بها صياغة صلاة تُجبر بها الله على العمل لصالحك. إنْ كان الله قد أعلن أمراً ما، صدّقه ببساطة وعش بحسب ما هو حق. إنْ لم يقله الله، فلا يوجد أي مقداراً من الإيمان يُمكنه أنْ يجعل هذا الأمر حقاً. إيماني لا يجعل كلمة الله حقيقة، لكنْ لأنَّ كلمته هي الحقيقة لذلك أؤمن بها.

٣- الإيمان أمر عملي

عندما كان ابني «كارل» طفلاً صغيراً، كنت أوقفه على الطاولة وأطلب منه القفز لأتلقاه بين ذراعي. هل كان «كارل» يُصدّق أنّي سأتلقاه؟ نعم. كيف عرفت؟ لأنَّه كان يقفز. لنفترض أنَّه رفض القفز، وإنّي لاطفته قائلاً: " «كارل» هل تثق بأنّي سألتقطك؟" وأجاب هو: "نعم". لكنَّه لم يقفز، هل هو فعلاً يثق أنّي سألتقطه؟ لا.

الإيمان فعّال وليس سلبي. الإيمان يأخذ موقفاً. الإيمان يُنشئ حركة. الإيمان يتكلّم جهاراً.

الكثير من المسيحيين يعلنون أنَّ لهم إيماناً كبيراً بالله، لكنَّهم خاملون لا يفعلون شيء. الإيمان بدون أعمال ليس إيماناً، فهو يكون ميتاً وبلا معنى (يعقوب ٢:١٧،١٨). إنْ لم يُعبَّر عن الإيمان بطريقة عملية، فهو ليس إيماناً. لكي نكون مؤمنين بالله وبكلمته يجب علينا أنْ نفعل ما يوصينا به. إنْ لم تفعل ما يأمر به الله، فأنت في الواقع لا تؤمن به. الإيمان والأعمال لا ينفصلان.

للأسف إنَّ إحدى الصور الشائعة عن الكنيسة اليوم هي أنَّها جماعة من الناس يَدّعون الإيمان لكنَّ أفعالهم قليلة. نحن شاكرون لأنَّ خطايانا قد غُفرت ولأنَّ يسوع يُعد لنا مكاناً في السماء، لكنَّنا نتراجع في جبن وهزيمة أمام العالم، ونعيش مُتخاذلين في انتظار يوم الاختطاف. نحن نتعامل مع الكنيسة كأنَّها مستشفى. فنتقابل معاً لنُقارن جراحاتنا ونُمسك بأيدي بعضنا البعض، مُتوسلين أنْ يأتي يسوع ويأخذنا.

لكنْ هل هذه هي صورة الكنيسة في العهد الجديد؟ قطعاً لا. الكنيسة ليست مستشفى؛ الكنيسة نقطة عسكرية أمامية قد أُمرت باقتحام أبواب الجحيم. كل مؤمن فيها مُكلّف بالمُشاركة في تحقيق المُهمة العظمى (متى ٢٨:١٩،٢٠). الكنيسة تُقدم عيادة يُمكننا أنْ نخدم فيها الضعفاء والمجروحين، هذه الخدمة ضرورية، لكنَّنا لسنا موجودين من أجل هذا. هدفنا الحقيقي هو أنْ نكون مُرسلين لتغيير العالم، أنْ نأخذ موقفاً، أنْ نحيا بالإيمان ونُحقق أموراً في خدمة الله. يُمكنك أنْ تقول أنَّك تؤمن بالله وبكلمته ولكنْ إنْ لم تكن مُشاركاً فعلياً في تحقيق هدفه، فأنت لا تؤمن به.

تستطيع إنْ آمنت، تستطيع

إذا ظننت أنَّك مهزوم ـ فأنت كذلك.

إذا ظننت أنَّك لا تجـرؤ ـ فـأنت كـذلك.
إذا أردت أنْ تربح لكنَّك تظن أنَّك لا تستطيع،
فـهـذا ضـمـان بالخسارة، أنت لا تحتاجه.
إذا ظننت أنَّك ستخسر ـ فـأنت قد خسرت.
في العالم نجد أنَّ النجاح يبدأ بإرادة رجل،
كل النجاح في حالة الذهن.
معارك الحياة لا تأتي دائماً للرجل القوي أو السريع؛ لكنْ
عاجلاً أم آجلاً، الرجل الذي يربح هو الذي يعتقد أنَّ
باستطاعته الربح.[i]

هذه الكلمات تعكس وجهة النظر الشائعة عن الحياة المعروفة "بقوة التفكير الإيجابي". كان المجتمع المسيحي مُعارضاً بطريقة أو بأخرى لوجهة النظر هذه، وذلك لأسباب جيدة. فالتفكير عملية خاصة بالذهن ولا يُمكنها تخطى إمكانياتها المحدودة أو ما تُزوّد به من معلومات. إنَّ النتيجة الوحيدة لمحاولة دفع الذهن لتخطّي محدوديته هي الخروج من عالم الحقيقة إلى الأوهام.

لكنَّ المسيحي عنده إمكانية أكبر بكثير للنجاح في الحياة بفضل قوة الإيمان الإيجابي. الإيمان يتضمن الذهن لكنَّه غير محدود به. فالإيمان يتخطى محدودية الذهن ليحتوي العالم غير المنظور، الذي هو أيضاً حقيقي. إنَّ فاعلية إيمان المؤمن مُرتبطة بموضوع إيمانه، الذي هو كلمة الله الحي: المسيح يسوع، وكلمة الله المكتوبة: الكتاب المُقدّس. الله غير المحدود هو موضوع ومحور الإيمان المسيحي، لذلك لا توجد حدود للأبعاد الروحية التي يُمكن أنْ يأخذك إليها الإيمان الإيجابي به.

قال أحدهم إنَّ النجاح يأتي في كلمة "أستطيع" والفشل في كلمة "لا أستطيع". إيمانك أنَّك تستطيع النجاح في النمو والنضوج المسيحي لا يُكلفك

مـجـهوداً أكثـر مما يُكلفك إيمانك أنَّك لا تـستطيـع النجـاح. فلمـاذا لا تؤمن أنَّك تستطيع السلوك بالإيمان والسلوك بالروح، وأنَّك تستطيع مُقاومة تجارب العالم، والجسـد والشـيطان، وأنَّك تسـتطيع النمـو إلى النضـوج كـمسـيحـي. الجُمل العشرون التالية مـأخـوذة من كلمة الله، ستُزيد مـعرفتك بموضـوع إيمانك، الله القدير. بناء إيمانك من خلال استيعابك واحتوائك لهذه الحقائق سيرفعك من مستنقع "لا أستطيع" لتجلس مع المسيح في السماويات:

عشرون جُملة تقود للنجاح

١- لماذا أقول لا أستطيع والكتاب المُقدّس يقول: أستطيع كل شيء في المسيح الذي يُقويني (فيلبي ٤:١٣)؟

٢- لماذا أحتاج وأنا أعرف أنَّ الله سيملأ كل احتياجي بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع (فيلبي ٤:١٩)؟

٣- لماذا أخاف والكتاب المُقدّس يقول: الله لم يُعطني روح الخوف، بل روح القوة والمحبة والنصح (٢تيموثاوس ١:٧)؟

٤- لماذا ينقصني الإيمان اللازم لأُكمل دعوتي وأنا أعرف أنَّ الله قد قسم لي مقداراً من الإيمان (رومية ١٢:٣)؟

٥- لماذا أبقى ضعيفاً والكتاب المُقدّس يقول: إنَّ الرب قوة حياتي وأنّني سأقوى وأعمل لأنّني أعرف الله (مزمور ٢٧:١؛ دانيال ١١:٣٢)؟

٦- لماذا اسمح لإبليس بأنْ يسود على حياتي بينما الذي فيَّ أعظم من الذي في العالم (١يوحنا ٤:٤)؟

٧- لماذا أقبل الهزيمة والكتاب المُقدّس يقول: أنَّ الله يقودني في موكب نصرته كل حين (٢كورنثوس ٢:١٤).

٨- لماذا تنقصني الحكمة بينما المسيح صار لي حكمة من الله، وأيضاً الله يُعطني بسخاء حكمة عندما أسأله (١كورنثوس ١:٣٠؛ يعقوب ١:٥)؟

٩- لماذا أكتئب بينما يمكنني أنْ أذكر احسانات الرب، ومراحمه وأمانته

وأمتلئ بالرجاء (مراثي إرميا ٣:٢١-٢٣)؟

١٠- لماذا أهتم وأنحني بينما يُمكنني أنْ ألقي كل همي على المسيح الذي يعتني بي (١بطرس ٥:٧)؟

١١- لماذا أبقى مُقيّداً بينما أعلم أنَّ هناك حرية حيث يكون روح الرب (٢كورنثوس ٣:١٧)؟

١٢- لماذا أشعر بالذنب والكتاب المُقدّس يقول: أنَّ لا شيء من الدينونة عليّ لأنّي في المسيح (رومية ٨:١)؟

١٣- لماذا أشعر بالوحدة ويسوع قال: إنَّه معي كل الأيام وإنَّه لن يتركني أو يهملني (متي ٢٨:٢٠؛ عبرانين ١٣ :٥)؟

١٤- لماذا أشعر أنّي تحت لعنة أو ضحية لسوء الحظ والكتاب المُقدّس يقول: أنَّ المسيح افتداني من لعنة الناموس لكي أنال الروح القُدس (غلاطية ٣:١٣،١٤)؟

١٥- لماذا لا أشعر بالاكتفاء بينما يمكنني أنْ أتعلّم، مثل بولس، أنْ أكون مكتفياً في كل الظروف (فيلبي ٤:١١)؟

١٦- لماذا أشعر أنّي بلا قيمة بينما المسيح صار خَطِيَّة من أجلي لكي أصير أنا بر الله فيه (٢كورنثوس ٥:٢١)؟

١٧- لماذا يكون عندي عقدة الاضطهاد وأنا أعرف أنَّ لا أحد يُمكنه ايذائي مادام الله معي (رومية ٨:٣١)؟

١٨- لماذا أبقى مُشوشاً بينما الله هو رئيس السلام ويعطيني معرفة من خلال روحه الساكن فيَّ (١كورنثوس ١٤:٣٣؛ ٢:١٢)؟

١٩- لماذا أشعر بالفشل بينما أنا في جميع الظروف أعظم من منتصر في المسيح (رومية ٨:٣٧)؟

٢٠- لماذا أدع ضغوط الحياة تُزعجني وأنا أستطيع أنْ أتشجع عالماً أنَّ يسوع قد غلب العالم وضيقاته (يوحنا ٦:٣٣)؟

ماذا أفعل عندما أتعثّر وأنا أسلك بالإيمان؟

هل شعرت مرّة أنَّ الله قد يئس منك لأنَّك تتعثر وتسقط بدلاً من أنْ تسلك بالإيمان؟ هل خفت من أنْ يكون هناك حدوداً لاحتمال الله لفشلك، وأنَّك تسير في المنطقة الخطرة وأوشكت على تخطّي هذه الحدود، أو أنْ تكون قد تخطّيتها فعلاً؟ لقد قابلت الكثير من المسيحيين على هذا الحال، يظنون أنَّ الله غاضب منهم، وأنَّه موشك على التخلص منهم أو تركهم لأنَّ سلوكهم اليومي أقل من مستوى الكمال.

قد يقطع مسيرة الإيمان أحياناً بعض اللحظات من عدم الإيمان أو التمرد،أو حتى الذهاب وراء خدعة شيطانية. ما هو رد فعلنا في اللحظات التي نظن فيها أنَّ الله قد فقد بكل تأكيد طول أناته تجاهنا وأنَّه موشك على تركنا، عندما نعتقد أنَّ الله قد يئس منا؟ إنَّ رد فعلنا هو اليأس من أنفسنا، والتوقف كلياً عن السلوك بالإيمان، وننطرح على جانب الطريق مكتئبين ونسأل: "ما المنفعة؟" ونشعر بالهزيمة، وبأنَّ عمل الله قد توقف فينا وأنَّ إبليس يتفاخر علينا.

محبة الله لك هي أعظم ثابت أبدي
بالرغم من كل تقلبات حياتك اليومية.

الله يحبك كما أنت

الحقيقة الأولى التي تحتاج أنْ تعرفها عن الله لكي يبقى إيمانك قوياً، هي أنَّ محبة وقبوله لك غير مشروطين. عندما تكون مسيرة إيمانك قوية فالله يُحبك. وعندما تكون مسيرة إيمانك ضعيفة، فالله أيضاً يُحبك. عندما تكون قوياً في لحظة ثم ضعيفاً في اللحظة التالية، قوياً في يوم وضعيفاً في اليوم التالي،

أيضاً الله يُحبك. محبة الله لك هي أعظم ثابت أبدي بالرغم من كل تقلبات حياتك اليومية.

أتت «ماندي» لرؤيتي، كانت تبدو وكأنَّ حياتها رائعة. كانت مسيحية لها نشاط واسع في كنيستها. وقد قادت أبوها الذي كان مدمناً على الكحول قبل وفاته لقبول المسيح. كانت جميلة وزوجها لطيف وأبناها رائعين. بالرغم من كل هذا حاولت الانتحار ثلاث مرات على الأقل.

– "ليس ممكناً أنْ يُحبني الله وأنا فاشلة ورديئة بهذا الشكل" قالت «ماندي» وهي تبكي بشدة.

– "«ماندي» الله يُحبك، ليس لأنَّكِ تستحقين المحبة، لكنْ لأنَّ طبيعته هي المحبة. ببساطة الله يُحبك .. لأنَّ الله محبة."

– "لكنْ عندما أخطئ لا أشعر أنَّ الله يُحبني."

– "لا تُصدّقي هذه المشاعر. هو يُحب كل أولاده في كل الأوقات، حينما نُحسن التصرف وحينما نُخطئ. هذا هو قلب الله. عندما كان ال٩٩ خروفاً آمنين في الحظيرة، كان قلب الراعي مع الخروف الذي ضل. عندما بدّد الابن الضال حياته وميراثه، كان قلب أبيه معه، وبمحبة رحّب بعودة ابنه للبيت. هذه الأمثال تُظهر لنا أنَّ قلب الله مملوء بالمحبة من أجلنا."

– "لكنْ يا «نيل»، أنا حاولت الانتحار. فكيف يُمكن لله أنْ يتغاضى عن ذلك؟"

– "افترضي يا «ماندي» أنَّ ابنك أصيب بالاكتئاب وقرّر الانتحار. فهل كانت محبتكِ له ستقل؟ هل كنت ستطرُدينه من العائلة؟ أو تُديرين ظهرك له؟"

– "قطعاً لا. لن أشعر إلاَّ بالأسف من أجله وسأجتهد كي أحبه أكثر."

– "هل تقولين لي أنَّ الله في كماله ليس جيداً كأب لك، مثلما أنتِ المحدودة بالنسبة لأولادكِ؟"

فهمت «ماندي» الرسالة، وبدأت تتعرف على الله كأب مُحب، يُمكنه أنْ

يصفح عن الضعفات ويغفر الخطايا.

الله يُحبك بغض النظر عمّا تفعل

بكل تأكيد، الله يُريدنا أنْ نعمل الصلاح. الرسول يوحنا يكتب: "اكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا." لكنَّ يوحنا يُكمل مُذكّراً إيّانا بأنَّ الله قد قام مُسبقاً بإعداد ما يلزم في حالة فشلنا، لكي تظل محبته لنا ثابتة بالرغم مما نرتكب من أفعال: "وإنْ أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار. وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً" (١يوحنا ٢:١،٢).

أحد أسباب شكّنا في محبة الله، هو إبليس خصمنا الذي يستغل أي خطأ صغيراً لكي يشتكي علينا ويتهمنا بأنّنا لا نصلح لعمل أي شيء جيد. لكنَّ شفيعنا المسيح يسوع، هو أقوى بكثير من خصمنا. لقد محا خطايانا في الماضي، والحاضر والمُستقبل. بالرغم من أي شيء تفعله أو من حجم فشلك، ليس لدى الله أي سبب يجعله لا يُحبك ويقبلك بالكامل.

عندما كان ولداي صغيرين، أهدى الزوجان اللذين كانا يهتمان بهما في غيابنا، «هَمَسْتَر»[1] لكل واحد منهما. وقد سمّاهما على اسم الزوجين، «الهَمَسْتَر» الخاص «بكارل» أسماه «جوني»، و«هَمَسْتَر» «هايدي» أسمته «باتي».

في إحدى الليالي عندما عدت للمنزل استقبلتني زوجتي «جوان» عند الباب وقالت لي باكتئاب: "سن الجيد أنْ تذهب وتتحدث إلى «كارل».

- "ما الأمر؟"

- "أظن أنَّ «كارل» ألقى «بجوني» بعنف على الأرض."

ذهبت «لكارل» وسألته مباشرة: "هل ألقيت «بجوني»؟"

- "لا"، أجاب بحزم.

- "أجل فعل، أجل فعل"، قالت «هايدي» مُتهمة إياه. تجادلا، لكنَّ «كارل»

(١) حيوان صغير يشبه الفأر. (المترجم).

أصر على إنَّه لم يلقِ «بالهَمَسْتَر».

لكنْ لسوء حظ «كارل» كان هناك شاهد عيان في تلك الليلة. عندما سألت صديق «كارل» إنْ كان «كارل» قد ألقى «بالهَمَسْتَر»، أجاب نعم.

مرّة أخرى واجهته، لكنْ هذه المرة بعصا ضخمة من البلاستك، من النوع الذي يُعطي صوتاً عالياً لكنْ يُسبب القليل من الألم لمؤخرة الطفل.

- "«كارل»، أنْ تُلقي «بجوني» ليس أمراً كبيراً، لكنْ يجب أنْ تكون صادقاً معي. هل ألقيت «جوني»؟"

- "لا." ضربة مُدوية!

بالرغم من كل تهديدي، استمر «كارل» في الإنكار. أخيراً تركته مُحبطاً.

بعد يومين استقبلتني «جوان» عند الباب مرة أخرى قائلة: " من الجيد أنْ تتحدث إلى «كارل»."

- "ما الأمر هذه المرة؟"

- "مات «جوني»."

وجدت «كارل» في الحديقة الخلفية ينوح على «الهَمَسْتَر» الصغير الذي كان موضوعاً على قطعة من القماش. تكلّمنا عن الموت والوفاة، ثم دفنّا «جوني» وذهبنا لشراء «هَمَسْتَر» جديد.

في اليوم التالي استقبلتني «جوان» عند الباب مرة أخرى.

- "ما المشكلة هذه المرة؟"

- "«كارل» عاد وأخرج «جوني»."

مرة أخرى وجدت «كارل» في الحديقة الخلفية ينوح على جثة «الهَمَسْتَر» الموضوعة على قطعة من القماش.

- "«كارل» أعتقد أنَّ هذا بسبب أنّنا لم نقم جنازة مسيحية «لجوني»."

صنعت صليب من فرعين، وتحدثت مع «كارل» عن الموت والوفاة مُجدداً. ثم دفنّا «جوني» مرة أخرى ووضعنا الصليب فوق القبر الصغير.

- "«كارل» أرى أنَّك تحتاج أنْ تصلي الآن."
- "لا يا أبي، صلِّ أنت."
- "«كارل»، «جوني» كان لك أنت. أعتقد أنَّك تحتاج أنْ تُصلي."

وافق أخيراً، و صلى هكذا: "يا رب يسوع، ساعدني كي لا ألقي «الهَمَسْتَر» الجديد." ما لم أستطع أنْ أفعله بالعصا البلاستك، فعله الله في قلبه.

لماذا كذب«كارل» عليَّ ؟ لقد فكّر إنَّه إذا اعترف بالقائه لحيوانه المدلل، سأكف عن محبته. كان مُستعداً أنْ يكذب لكي يحتفظ بمحبتي واحترامي له، لأنَّه خاف أنْ يفقدهما إذا أعترف بتصرفه السيئ.

انحنيت واحتضنت ابني الصغير قائلاً: "«كارل»، أريدك أنْ تتأكد من هذا، بالرغم من أي شيء تفعله في الحياة، سأظل أحبك. تستطيع أنْ تكون صريحاً معي وتُخبرني بالحقيقة. قد لا أوافق على كل ما تفعله، لكنّي سأستمر دائماً في محبتك."

ما عبرّت عنه «لكارل» في ذلك اليوم هو انعكاس ضئيل لمحبة الله لك. فهو يقول لك: "أريدك أنْ تتأكد من هذا، بالرغم من أي شيء تفعله في الحياة، سأظل أحبك. تستطيع أنْ تكون صريحاً معي وتُخبرني بالحقيقة. قد لا أوافق على كل ما تفعله، لكنّي سأستمر دائماً في محبتك."

الله يُريدك أنْ تقبل هُويّتك في المسيح، وتحيا كما يليق بابن الله. لكنْ حتى عندما تنسى مَنْ أنت، فهو يظل يُحبك. هو يُريدك أنْ تسلك بالروح وبالإيمان. حتى عندما تسقط وتخرج عن الطريق، فسيستمر يُحبك.

(i) المؤلف والمصدر غير معروف.

٧

لا تستطيع أنْ تذهب أبعد مما تؤمن

عندما كان ابني «كارل» في العاشرة من عمره، بدأت أعلمه الجولف. أعطيته مجموعة من العصي للمبتدئين وذهبنا معاً لأحد الملاعب. كان «كارل» يضع الكرة في مكانها ويضربها بشدة. غالباً ما كان يرسل الكرة في الاتجاه الخطأ، مُخطأ الاتجاه بحوالي ١٥ درجة، لكنَّه لم يكن يستطيع أبعادها أكثر من ٥٥ أو ٦٠ متراً، لذلك كانت الكرة تبقي داخل نطاق اللعب الصحيح.

لكنْ عندما كبر وحصل على عصا أطول، كان في استطاعة «كارل» إرسال الكرة لمسافة ١٤٠ متراً وأكثر. لكنّه إنْ أخطأ الاتجاه بـ١٥ درجة، فالكرة لا تعود داخل النطاق الصحيح؛ وغالباً ما كانت تسقط في منطقة يصعب اللعب فيها. تصبح الدقة أمر في غاية الأهمية بالنسبة للاَعبين الذين يستطيعون إرسال الكرة لمسافة ١٨٠ أو ٢٢٠ متراً. فنفس الـ١٥ درجة الخطأ عن الاتجاه الصحيح، التي كانت تسمح ببقاء الكرة في النطاق الصحيح مع ضربة إرسال «كارل» الضعيفة، تكون خطأً فادحاً مع ضربة إرسال قوية إذ ستجعل الكرة تحلق خارج حدود الملعب.

هذا التوضيح البسيط يُصوّر صفة هامة لحياة الإيمان: إنَّ مسيرة

حياتك المسيحية هي النتيجة المُباشرة لما تعتقده عن الله وعن نفسك. إذا كان هناك خطاء في اتجاه إيمانك، فبكل تأكيد سيكون هناك خطأ في الاتجاه الذي تتحرك فيه حياتك. إذا كنت تتحرك في الاتجاه الخطأ، كن متأكداً أنَّ ذلك بسبب خطأ في اتجاه إيمانك. كمؤمن جديد تحتاج لبعض الوقت لتتعلم كيف "تُرسل الكرة في الاتجاه الصحيح" في ما يتعلق بمعتقداتك. قد تكون أخطأت الاتجاه ١٥ درجة فقط فيما تعتقد به لكنَّك مازلت داخل النطاق الصحيح، ذلك لأنَّك صغير وأمامك الكثير لتتعلمه. لكنْ إذا داومت في الإيمان بهذه المعتقدات الخاطئة، فستصبح مسيرة إيمانك اليومية غير مُثمرة وغير مُشبعة لك. إذا كنت حديثاً في حياة الإيمان قد لا يَضرّك الإيمان بمعتقدات خاطئة، لكنْ كلّما كبرت فستجد نفسك تتعثر وتسقط على أماكن صعبة أو خارج نطاق الحياة الروحية.

بعض المسيحيون يعتقدون أنَّ السلوك بالإيمان يعني أنْ تتحرك مدفوعاً بإحساس داخلي أثيري غامض لا يُمكن وصفه يُسمى الإيمان ـ من نوع "الطاقة" التي تصورها أفلام الخيال العلمي وحرب الفضاء. لكنَّ السلوك بالإيمان أمر مُحدد وشديد العملية والوضوح. السلوك بالإيمان يعني ببساطة أنْ تتصرف في حياتك اليومية على أساس ما تعتقده. في الحقيقة أنت تسلك بإيمان كل الوقت؛ فأنت لا تستطيع أنْ تسلك بدون إيمان. مُعتقداتك تُحدد سلوكك. إذا كانت مُعتقداتك تخرج عن نطاق الإيمان السليم في جانب ما، فأنت تحتاج أنْ تُصلح معتقداتك في هذا الجانب لأنَّ سوء تصرفك هو نتيجة لسوء معتقدك.

قد تسأل: "لكنْ كيف أعرف حقيقة مُعتقداتي؟". إليك التقييم التالي والذي أسميه اختبار "تقدير قيمة الذات" والذي سيُساعدك على تمييز حقيقة مُعتقداتك الشخصية. أقضِ بعض الدقائق لعمل هذا التقييم. قيّم نفسك في كل جانب من الجوانب الثمانية بوضع علامة حول الرقم الذي يُمثّل حالتك، ثم أكمل كل من الثماني عبارات بصدق واختصار بقدر المستطاع.

اختبار تقدير قيمة الذات

	منخفض				مرتفع
١- هل أنا ناجح؟	١	٢	٣	٤	٥
سأكون أكثر نجاحاً إذا					
٢- هل أنا مؤثر؟	١	٢	٣	٤	٥
سأكون أكثر تأثيراً إذا					
٣- هل أحقق ذاتي؟	١	٢	٣	٤	٥
سأحقق ذاتي أكثر إذا					
٤- هل أنا مكتفي؟	١	٢	٣	٤	٥
سأشعر باكتفاء أكثر إذا					
٥- هل أنا سعيد؟	١	٢	٣	٤	٥
سأكون أكثر سعادة إذا					
٦- هل أنا مرح؟	١	٢	٣	٤	٥
سأكون أكثر مرحاً إذا					
٧- هل أنا مُطمئن؟	١	٢	٣	٤	٥
سأكون أكثر اطمئناناً إذا					
٨- هل أنا في سلام؟	١	٢	٣	٤	٥
سأكون في سلام أكثر إذا					

ما تعتقد أنَّه الإجابة على "سأكون أكثر نجاحاً إذا ..."، و"سأكون أكثر تأثيراً إذا..."، الخ، يُمثل مُعتقداتك الحالية. لنفترض أنَّ احتياجاتك الجسدية الأساسية قد تمّ تسديدها (المأكل، والمسكن الخ)، ما يدفعك في الحياة الآن هو ما تعتقد إنَّه سيجلب لك النجاح، والتأثير، والإشباع، والسعادة، والمرح، والطمأنينة والسلام. لكنْ إنْ كان ما تعتقده عن تلك القيم الثمانية لا يتوافق مع ما يقوله الله عنها، فإنَّ سلوكك بالإيمان سيكون مُنحرفاً بنفس درجة انحراف

مُعتقدك عن كلمة الله.

المشاعر هي رايات الله الحمراء المُحذرة

أعتقد أنَّ الله يُريد جميع أبناءه ناجحين، ومؤثرين، ومطمئنين، الخ. ألا تعتقد هذا؟ من يوم ميلادك، هناك وسيلة تتطور في ذهنك لتحقيق هذه القيم والوصول لأهداف أخرى في الحياة. بوعي أو بدون وعي، أنت مُستمر في تطوير وصياغة وتعديل خطتك لتحقيق هذه الأهداف.

لكنَّ خطتك الحسنة النوايا وأهدافك النبيلة، أحياناً لا تناغم مع خطة الله وأهدافه لك. قد تتحير: "كيف أتأكد من صحة ما أؤمن به؟ هل انتظر حتى أصبح في الـ٤٥ أو أمر بأزمة منتصف العمر، لأعرف أنَّ ما كنت أعتقده عن هذه الموضوعات الثمانية كان خطأ؟" لا أظن هذا. أعتقد أنَّ الله قد صممنا بحيث نعرف لحظة بلحظة ما إنْ كانت مُعتقداتنا تتفق مع الحق الإلهي أم لا. لقد أسس الله نظاماً حساساً في داخلك ليُنبهك لضرورة مُراجعة صحة أهدافك. هذا النظام هو مشاعرك. عندما تخرج من اختبار أو علاقة ما شَاعراً بالغضب، أو الاضطراب أو الاكتئاب، تكون هذه المشاعر علامات مُحذرة من أنَّك قد تكون منهمكاً في السعي وراء هدفاً مبنياً على مُعتقد خاطئ.

الغضب علامة على وجود إعاقة

تمنع من الوصول إلى الهدف

عندما تكون نتيجة دخولك في علاقة أو مشروع ما هوالغضب، غالباً ما يكون السبب هو أنَّ شخصاً أو شيئاً ما قد أعاق تحقيق هدفك الذي كنت تسعي إليه. أي هدف يُمكن إعاقته عن طريق قوة لا يُمكنك السيطرة عليها (بخلاف الله) ليس هدفاً صحيحاً، لأنَّ نجاحك في هذه الحالة هو أمر خارج عن يدك ولا تستطيع التحكم فيه. قد تقول زوجة: "هدفي في الحياة هو أنْ يكون لديّ أسرة مُتحابة، ومُتوافقة وسعيدة." مَنْ يقدر إعاقة هذا الهدف؟ كل شخص في

عائلتها يستطيع إعاقة هدفها ـ ليس فقط يستطيع، لكنَّه سيفعل أيضاً! ربة المنزل المُتشبثة بالاعتقاد أنَّ قيمتها في الحياة تعتمد على عائلتها ستنهار وتغتاظ في كل مرة يفشل فيها زوجها أو أبناؤها في تحقيق المستوى الذي تحلم به عن التوافق العائلي. قد تُصبح امرأة كثيرة الغضب، الأمر الذي قد يدفع عائلتها بعيداً عنها وعن بعضهم البعض.

قال لي أحد الرعاة: "هدفي في الخدمة هو ربح مُجتمعي للمسيح." هل هذا هدف جيد؟ قد يكون رغبة رائعة، لكنْ إذا كان يُعلّق قيمته الذاتية على تحقيق هذه الرغبة، فسيختبر ألماً عظيماً. كل شخص في المجتمع يستطيع إعاقة هذا الهدف. أكثر من هذا، نصف أعضاء كنيسته وعضوين من المجلس قد يعيقوا تحقيق هدفه. الرعاة الذين يعتقدون أنَّ نجاحهم يعتمد على الآخرين سوف ينتهي بهم الأمر إلى المُشاجرة مع مجالس كنائسهم، أو الصلاة من أجل رحيل مُقاوميهم، أو الانسحاب.

يجب أنْ تدفعنا مشاعر الغضب إلى مُراجعة معتقداتنا والأهداف التي وضعناها لتحقيق هذه المعتقدات. ابنتي «هيدي» ساعدتني في هذا الأمر؛ في أحد أيام الأحد عندما كنت أحاول دفع عائلتي لمُغادرة المنزل والذهب للكنيسة. كنت قد انتظرت في السيارة لعدة دقائق قبل أنْ أقتحم المنزل في غضب وصياح: "كان يجب أنْ نكون قد غادرنا البيت من ١٥ دقيقة!"

صمت الجميع للحظة قبل أنْ يملأ المكان صوت «هيدي» الهادئ آتياً من غرفة النوم: "ما الأمر يا أبي، هل أعاق أحدهم هدفك؟" هذا هو السؤال الذي تحتاج إلى سماعه عندما تنفجر غاضباً لأنَّ الأمور لم تسر بالطريقة التي كنت قد خططت لها.

القلق علامة على هدف لست متأكد من تحقيقه

عندما تشعر بالقلق بسبب علاقة أو مشروع ما، ربما يكون قلقك علامة على إنَّك اخترت هدفاً قد لا يُمكنك تحقيقه. أنت ترجو تحقيق أمراً ما، لكنَّك لا تستطيع أنْ تضمن حدوثه. أنت تستطيع السيطرة على بعض العوامل فقط ولكنْ ليس

على جميعها.

مثلاً، قد تعتقد فتاة مُراهقة أنَّ سعادتها في الدراسة تعتمد على سماح أبويها لها بالالتحاق بمدرسة لتعلّيم الرقص، وهي لا تعلم ما سيكون رد فعلهما، لذلك تُصاب بالقلق. إذا قالا لها لا، فستغضب منهما لأنَّهما أحبطا هدفها. لكنْ إنْ كانت تعلم مُسبقاً أنَّه ليس هناك أي احتمال لموافقتهما، فستكتئب لأنَّ هدفها لن يتحقق.

الاكتئاب علامة على هدف مُستحيل تحقيقه

عندما تُعلق نجاحك المستقبلي على أمر لا يُمكن تحقيقه، يكون هدفك مُستحيل ولا رجاء فيه. الاكتئاب دليل على أنَّ هدفك لا يُمكن تحقيقه، بالرغم من روحانيته ونبله. أعرف أنَّ بعض أنواع الاكتئاب سببها خلل في كيمياء الجسم، لكنْ إنْ لم يكن هناك أي سبب عضوي يؤدي إلى الاكتئاب، فهذا الاكتئاب سببه اليأس.

عندما كنت أعظ في مؤتمر لإحدى الكنائس، دعتني سيدة للغذاء مع عائلتها في منزلها. كانت السيدة مؤمنة منذ ٢٠ عاماً لكنَّ زوجها لم يكن مؤمناً. لم أستغرق الكثير من الوقت لأتبين أنَّ الهدف الرئيسي من دعوتي للغذاء كان أنْ أربح زوجها للمسيح.

عرفت بعد ذلك أنَّ المرأة كانت تُعاني لعدة سنوات من اكتئاب شديد. وأنَّ طبيبها النفسي قد أكد لها أنَّ اكتئابها سببه عضوي وقد وافقت هي على ذلك. لكنّي أعتقد أنَّ اكتئابها سببه هدف يستحيل عليها تحقيقه. لقد علقت نجاحها كمسيحية لمدة عشرون عاماً على ربح زوجها وأولادها للمسيح. لقد صلّت من أجلهم، وشهدت لهم ودعت الوعاظ الذين يزورون الكنيسة للغذاء في المنزل. و قالت كل ما يُمكنها أنْ تقوله وفعلت كل ما يُمكنها أنْ تفعله، لكنْ دون فائدة. وكلّما ظهر فشل مجهوداتها كلّما اهتز إيمانها، وقل رجاءها وزاد اكتئابها.

بكل أسف لم أستطع مُساعدتها على تحقيق هدفها. أمضينا وقتاً جيداً على الغذاء كما تطرقت أنا وزوجها إلى أحاديث مُمتعة، كان رجلاً طيباً يعمل بجد على توفير احتياجات أسرته المادية. لكنَّه ببساطة لا يرى أي احتياج لوجود لله في حياته. حدثته عن حياتي وخدمتي، لكنّي لم أفرض إيماني عليه. أعتقد إنّي كنت مثالاً جيداً كمسيحي. المرة الأخيرة التي قابلت فيها تلك السيدة كانت تتعلق بخيط رفيع جداً من الأمل. لقد منعها اكتئابها من أنْ يكون لها موقف إيجابي في المنزل، مما أضعف شهادتها لزوجها الأمر الذي قلل أكثر من فرصة تحقيق هدفها.

طبعاً أنت ترغب أنْ يأتي أحباؤك للمسيح، وتُصلي وتعمل من أجل ذلك. لكنْ إذا كنت تبني قيمتك كمسيحي على خلاص صديقك، أو أولادك، أو أبويك أو معارفك، فأنت تحتاج أنْ تُدرك أنَّ هذا الهدف خارج عن قدرتك وليس لك الحق في السيطرة عليه. كل واحد من أحبائك يستطيع أنْ يرفض الاستجابة للمسيح. غالباً ما يُشير الاكتئاب إلى أنَّك مُتعلق باستماتة بهدف فرصتك في تحقيقه ضعيفة جداً أو مُنعدمة، هذا الهدف ليس هدفاً صحياً.

غالباً ما يُشير الاكتئاب إلى أنَّك مُتعلق باستماتة بهدف
فرصتك في تحقيقه ضعيفة جداً أو مُنعدمة،
هذا الهدف ليس هدفاً صحياً.

في بعض الأحيان يكون الاكتئاب ناتجاً عن أنَّ الهدف المستحيل تحقيقه مُرتبط برؤية خاطئة عن الله. كتب داود: "إلى متى يا رب تنساني كل النسيان؟ إلى متى تحجب وجهك عني؟ ... إلى متى يرتفع عدوي عليّ؟" (مزمور ١٣: ١،٢). هل نسى الله فعلاً داود؟ بالطبع لا. لكنَّ داود كان لديه رؤية خاطئة لله، بسبب شعوره أنَّ الله قد تركه في يد العدو . إنَّ فهم داود الخاطئ لله قاده

لهدف يستحيل تحقيقه وهو الانتصار على أعدائه بدون معونة الله. لا عجب في أنَّه شعر بالاكتئاب!

لكنَّ الشيء المُمَيَّز في داود إنَّه لم يبقي في القاع، فقد قيّم حالته وأدرك قائلاً: "أنا ابن لله. سأركز على ما أعرفه عنه وليس على مشاعري السلبية." من قاع اكتئابه كتب: "أما أنا فعلى رحمتك توكلت. يبتهج قلبي بخلاصك" (عدد ٥). ثم يُقرر أنْ يُعبّر عن إرادته بطريقة إيجابية: "أغني للرب لأنَّه أحسن إليّ" (عدد ٦). تحوّل داود بإرادته عن فهمه الخاطئ وما يُصاحبه من اكتئاب ورجع إلى مصدر رجائه.

إنْ استطاع إبليس تدّمير إيمانك بالله، فستفقد مصدر رجائك وأملك، لانَّ مع الله كل الأمور مُستطاعة، فهو مصدر كل رجاء. تحتاج أنْ تتعلم الاستجابة للمواقف التي تبدو مُستحيلة كما فعل داود: "لماذا أنتِ مُنحنية يا نفسي؟ ولماذا تئنين فيَّ؟ ترجي الله لأنّي بعد احمده خلاص وجهي والهي" (مزمور ٤٣:٥).

ردود فعل خاطئة تجاه مَنْ يُحبط أهدافك

عندما تتوقف قيمة الشخص أو نجاحه على تحقيقه لأهداف يُمكن إحباطها أو تحقيقها غير مؤكد أو مُستحيل، كيف سيكون ردّ فعله تجاه من يُحبطون أهدافه؟ غالباً ما سيحاول التلاعب أو السيطرة على الأشخاص والأحداث التي تقف بينه وبين نجاحه.

مثلاً، راعي هدفه أنْ يكون لديه أفضل خدمة شباب في مُحيطه، لكنَّ أحد أعضاء مجلس كنيسته يُعيق تحقيق هدفه بإصراره على أنَّ خدمة التسبيح أكثر أهمية. يقوم عضو المجلس المُؤثر بإحباط كل مُحاولة لتعيين راعي للشباب، لأنَّه يُريد تعيين قائد للتسبيح أولاً. أصبح شعور الراعي بقيمة ذاته ونجاحه مُهددين، لذلك يبدأ في استعمال القوة لدفع حجر العثرة من طريقه. ويبدأ في تداول أهدافه مع بعض أعضاء المجلس، ويطلب مساعدة من رياسة طائفته.

ويعظ عن أهمية خدمة الشباب ليربح تأييد الأعضاء. ويبحث عن طُرُق ليُغيِّر فكر مَنْ يُعيقه أو يُحاول إخراجه من المجلس، لأنَّه يؤمن أنَّ نجاحه في الخدمة يعتمد على تحقيق هدفه في أنْ يكون لديه خدمة شباب كبيرة.

أو أم تؤمن أنَّ قيمتها متوقفة على سلوك أولادها بطريقة مُعيَّنة. هدفها هو تَنْشِئَة أولاد مسيحيين كاملين ليصبحوا في المستقبل رعاة ومُرسلين. لكنْ عند وصول الأولاد لسن المُراهقة وابتدائهم في إظهار استقلالهم، يبدو سلوكهم غير مُتوافق مع مثاليات أمهم. لذلك فبدلاً من مُساعدتهم على النمو من خلال تشجيعها لهم على مُمارسة استقلالهم فإنَّها تسعى للسيطرة عليهم، وتمنعهم من الذهاب إلى أي مكان إنْ لم يقوموا بما تُطَالبهم به من أعمال، وإنْ لم يستمعوا لنوع الموسيقى الذي تتوقع أنْ يسمعوه فإنَّها تُصادر امتيازهم في سماع الراديو والتلفزيون. يجب عليها أنْ تتحكم في سلوكهم لأنَّها تؤمن أنَّ نجاحها كأم يتوقف عليهم.

ليس من الصعب أنْ نفهم لماذا يُحاول البشر التحكم في الآخرين، لأنَّهم يعتقدون أنَّ قيمتهم كأشخاص تعتمد على الآخرين أو على الظروف. هذا اعتقاد خاطئ، يُمكنك التحقق من ذلك، فالأشخاص الأكثر شعوراً بعدم الأمان الذين قد تُصادفهم، هم الذين يتلاعبون ويُسيطرون على الآخرين.

الأشخاص الذين لا يستطيعوا السيطرة على مَنْ يُحبط أهدافهم، قد يكون رد فعلهم هو المرارة، والغضب والسخط. أو قد يلوذون "بعقدة الشهيد"، التي لاحظتها في المرأة التي كان يرفض زوجها قبول المسيح. لقد فشلت في أنْ تأتي به للملكوت فتحوّل إيمانها ورجاءها إلى اكتئاب. واستسلمت حاملة "صليب الهدف المُستحيل"، مُنتظرة يوم الاختطاف. لكنْ إنْ لم تُعدّل أهدافها فستحيا باقي حياتها في مرارة الهزيمة.

كيف يُمكنني تحويل الأهداف السيئة إلى أهداف جيدة؟

دعني أوجه لك سؤالاً يدفع إيمانك للأتساع: إذا أراد الله إتمام أمراً ما، فهل يُمكن إتمامه؟ بكلمات أخرى، إذا كان عند الله هدفاً لحياتك، فهل يُمكن إحباط هذا الهدف، أو هل ممكن أنْ يكون إتمامه غير مؤكد أو مُستحيل؟

أنا شخصياً مُقتنع إنَّه لا يوجد هدف واحد قد وضعه الله لحياتي يُمكن إحباطه، أو أنَّ تحقيقه مُستحيل أو غير مُؤكد. تصور معي إنَّ الله يقول: "لقد خلقتك، وجعلتك ابناً لي وعندي لك أمور عليك القيام بها، لن تستطيع إنجازها لكنْ حاول قدر استطاعتك." إنَّ هذا يبدو مُضحكاً! كأنْ تقول لابنك: "أريدك أنْ تقص الحشائش، لكنْ للأسف المكان مليئ بالأحجار، وآلة قص الحشائش لا تعمل وليس هناك وقود، لكنْ حاول قدر استطاعتك."

كان لدى الله أهداف مُدهشة بالنسبة لفتاة صغيرة اسمها مريم. لقد أخبرها ملاك بأنَّها سوف تحبل بطفل وهي ما تزال عذراء، وأنَّ طفلها سيكون مُخلص العالم. وعندما سألت عن كيفية تحقيق هذا الأمر المُستحيل، أجابها الملاك: "ليس شئ غير ممكن لدى الله" (لوقا ١:٣٧).

لن تُعطي لابنك مُهمة لا يستطيع إتمامها، الله أيضاً لن يضع لك أهدافاً لا يُمكنك تحقيقها. أهدافه لك ممكنة، ومؤكدة وتحقيقها مُستطاع. الشرط الوحيد للنجاح هو استجابتك، فيجب عليك أنْ تردد مع مريم: "هوذا أنا أمة الرب. ليكن لي كقولك" (لوقا ١:٣٨).

الأهداف مقابل الرغبات

سر نجاحك في تحقيق أهداف الله لحياتك هو أنْ تتعلّم التمييز بين الأهداف الإلهية والرغبات الإلهية. إنَّه فرق جوهري بالنسبة للمسيحي، فهو يعني التمييز بين النجاح والفشل، السلام الداخلي والقلق.

الهدف الإلهي هو نتيجة نهائية تعكس غاية الله وقصده من حياتك ولا تعتمد في تحقيقها على أشخاص أو ظروف خارجة عن قدرتك أو عن نطاق سيطرتك المشروعة. على مَنْ لك القدرة وحق السيطرة؟ فعلياً لا أحد، إلاّ نفسك فقط. الشخص الوحيد الذي يُمكنه أنْ يُحبط هدفاً إلهياً، أو يجعله غير مؤكد أو مُستحيل هو أنت. إذا أخذت موقف التعاون مع أهداف الله كما فعلت مريم، فسيُمكنك الوصول إلى هدفك.

الرغبة الإلهية هي نتيجة نهائية تعتمد في تحقيقها على تعاون الآخرين أو سير الأحداث أو مُلاءمة الظروف، كلها أمور ليس لك قدرة على السيطرة عليها. فأنت لا تستطيع أنْ تبني قيمتك أو نجاحك كشخص على رغباتك، مهما بلغت من السمو، لأنَّك لا تستطيع التحكم في تحقيقها. بعض رغباتك قد تُحبط، وبعضها تحقيقه غير مؤكد والبعض الآخر تحقيقه مُستحيل.

عندما تخطئ برفع رغبة ما إلى مُستوى الهدف، ويُصبح تحقيقها مُخيباً للآمال، ستضطر للتعامل مع مشاعر الغضب، والقلق والاكتئاب المصاحبة لفشلك في تحقيقها. لكنْ إنْ وضعتها في مكانها الصحيح كرغبة، فإنَّ خيبة الأمل هي كل ما ستواجهه إنْ لم تتحقق. الحياة مملوءة بالأمور المُخيبة للآمال ويجب علينا جميعاً أنْ نتعلم التعايش معها. التعامل مع خيبة الأمل نتيجة الرغبات الغير مُحققة أسهل بكثير من التعامل مع الغضب، والقلق والاكتئاب نتيجة عدم تحقيق الأهداف المبنية على مُعتقدات خاطئة.

نفعل حسناً إنْ ميّزنا بين الأهداف والرغبات بالطريقة التي يميزهما بها الله. مثلاً، ماذا يقول الله عن الخَطيَّة؟ "يا أولادي اكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا" (ايوحنا ٢:١). بكل تأكيد الله لا يُريدنا أنْ نُخطئ، لكنْ هل يُعد هذا هدفاً بحسب التعريف السابق؟ هذا ليس هدف الله لأنَّه يُمكن إحباطه بواسطة أي شخص يرفض التوبة. لكنَّها رغبة الله أنَّ يتوب الجميع، ومع هذا فالتوبة ليست رغبة الجميع.

إذاً هل لله أهداف حقيقية أي نتائج نهائية لا يُمكن إحباطها أو إعاقتها؟ مجداً للرب، نعم! مثلاً، يسوع المسيح سيأتي ثانية ويأخذنا للسماء لنكون معه للأبد ـ سيحدث بكل تأكيد. سيُطرح إبليسَ إلى الأبد في بحيرة النار والكبريت ـ ثق في ذلك. ستوزع المكافآت على القديسين بحسب أمانتهم ـ تطلع لهذا. هذه ليست رغبات يُمكن أنْ تُحطمها إرادة الإنسان الحرة. ما قرر الله أنْ يفعله سيفعله.

عندما تبدأ بترتيب أهدافك بحسب أهداف الله ورغباتك بحسب رغباته، فسيختفي الكثير من الغضب والقلق والاكتئاب من حياتك.

ربة المنزل التي تُريد عائلة سعيدة ومترابطة، تُبدي رغبة إلهية لكنَّها لا تستطيع أنْ تضمن تحقيقها. فمن الجيد لها أنْ لا تحولها إلى هدف، وإلا ستمتلئ بالغضب والسخط تجاه عائلتها التي تبدو غير مترابطة أحياناً. بدلاً من هذا تستطيع أنْ تُقرر: "سأكون زوجة وأم بالطريقة التي يُريدها الله." هذا هدف عظيم! هل هو مستحيل أو غير مؤكد؟ لا، لأنَّه أيضاً هدف الله من أجلها، وليس عند الله مُستحيل. مَنْ يقدر أنْ يُحبط هدفها؟ هي الوحيدة التي تستطيع ذلك. طالما هي مُتعاونة مع هدف الله من أجلها فإنَّ نجاحها مؤكد.

لكنَّها قد تقول: "لكنْ ماذا لو مرّ زوجي بأزمة مُنتصف العمر أو تمرّد أولادي؟" مشكلات مثل هذه لا تُحدد مصير هدفها. يجب أنْ يكون تأثير المشكلات في عائلتها دافعاً لها لمزيد من الالتزام. فأكثر وقت يحتاج فيه زوجها إلى زوجه تقية، وأولادها إلى أم صالحة هو وقت أزماتهم ومشكلاتهم. المشكلات العائلية لا تُمثّل سوى فرصة جديدة بالنسبة لها لتحقيق هدفها في أنْ تكون المرأة التي يريدها الله.

الراعي الذي يؤسس قيمته الشخصية على هدفه في ربح مُحيطه للمسيح، أو على أنْ يكون لديه أفضل خدمة للشباب في المدينة أو على زيادة عطاء كنيسته للإرساليات بنسبة ٥٠٪. كل هذه الأمور هي رغبات جيدة جداً

لكنَّها لا ترقى لمُستوى الهدف ليُحدد بها قيمته الذاتية لأنَّه يُمكن إحباطها بواسطة أشخاص أو أحداث. بالأحْرَى يُمكنه أنْ يقول: "سأكون الراعي الذي يُريده الله." هذا هدف عظيم لانَّ لا أحد يستطيع أنْ يحبطه.

الأهداف الإلهية غرضها تطوّر الشخصية

يجب أنْ يكون واضحاً الآن أنَّ هدف الله الرئيسي لحياتك هو تطوّر شخصيتك، أي أنْ تصبح الشخص الذي يُريده الله. لأنَّه هدف إلهي، لا أحد سواك يستطيع إحباطه. لكنْ بكل تأكيد قد يأتي الكثير من التشتيت، والانحراف، وخيبة الأمل، والتجارب، والإغراءات والصدمات التي قد تُعطّل مسيرتك. فكل يوم أنت تتصارع مع العالم، والجسد والشيطان، وكل منهم يُريد تعطيلك عن أنْ تكون الشخص الذي يريده الله.

لكن بولس يُذكّرنا أنَّ الضيقات التي تواجهنا هي وسائل تساعدنا على تحقيق هدفنا الأسمى وهو النمو: "وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضاً في الضيقات، عالمين أنّ الضيق ينشأ صبراً، والصبر تزكية والتزكية رجاء؛ والرجاء لا يُخزي لانَّ محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القُدس المعطى لنا" (رومية ٥:٣-٥). يعقوب أيضاً يُقدم تشجيعاً مُماثلاً: "احسبوه كل فرح يا اخوتي حينما تقعون في تجارب تجارب متنوعة، عالمين أنَّ امتحان إيمانكم ينشئ صبراً. وأما الصبر فليكن له عمل تام لكي تكونوا تامّين وكاملين غير ناقصين في شيء" (يعقوب ١:٢-٤).

ربما ظننت أنَّ هدفك كمسيحي هو الهروب من الضيقات. لكنْ هدف الله لك هو أنْ تتصبح ناضجاً في المسيح، أنْ تُصبح الشخص الذي يُريده هو. ويُصادف حدوث الضيقات كأنَّها الخطوات الأولى على هذه الطريق. لذلك يقول بولس "نفتخر" — أي نُظهر فرحاً شديداً — في ضيقاتنا. لماذا؟ لأنَّ الصبر في الضيق هو الباب المؤدي لثبات الشخصية ونقاوتها، الذي هو هدف الله بالنسبة لنا.

لنفترض أنَّ امرأة مؤمنة أتت إليَّ بسبب ضيقة تمر بها وهي أنَّ زوجها قد انفصل عنها، وهي تقول أنَّ هدفها هو استعادته. هل هذا هدف إلهي؟ لا، لأنَّ زوجها يُمكنه إحباطها، لكنَّها رغبة إلهية قد تستمتع بتحقيقها وقد يخيب أملها، بِناءً على ما سيفعله زوجها.

أعظم خدمة تؤديها الضيقات والتجارب لحياتنا هي إظهار أهدافنا الخاطئة.

تحتاج هذه المرأة لبعض الرجاء في حالتها، فإنْ قلت لها: "لا تقلقي سنسترده لكِ"، فإنّي أكون قد أعطيتها هدف يُمكن إحباطه مع كل ما يُصاحب ذلك من مشاعر سلبية. إنْ مُحاولة التلاعب بالزوج ليرجع إليها سينتج عنه نوع من السلوك من جانبها قد يكون هو الذي دفعه للانفصال في المرة الأولى. لكنّي أستطيع أنْ أقول لها: "أريد أنْ أساعدك على عبور هذه الأزمة (تصبري) لتُصبحي الشخص الذي يُريده الله (ثبات الشخصية ونقاوتها). إنْ لم تكوني الزوجة الصالحة قبل هذه الأزمة، فهذه فرصتك للنمو. تستطيعين الخروج من هذه الأزمة شخصاً أفضل مما دخلتي إليها (الرجاء)، في حالة إنْ عاد زوجك أو لم يعد."

بالمناسبة، إنَّ الالتزام بالصبر وتطوير الشخصية في علاقة تُعاني من المشاكل يقود لحل يعود على طرفي العلاقة بالربح. ليس فقط إنَّك ستصبح شخصاً أفضل من خلال هذه العملية، لكنَّها أيضاً افضل طريقة لربح شريك حياتك، أو صديقك أو زميلك. في هذه الحالة يكون محور تركيزك هو أنْ تصبح الشخص الذي يُريده الله في هذه العلاقة، ولا يكون لديك وقت لمُحاولة تغيير الشخص الآخر أو الظروف.

قد تُعلّق: "ماذا لو كان ٩٠٪ من المُشكلة سببها الشخص الآخر؟" ليس

لديك أي قدرة على التحكم في ذلك. لكنَّ بالالتزام بأنْ تُغيّر من شخصيتك فأنت تتعامل بمسؤولية مع ما يُمكنك أنْ تتحكم فيه. قد يكون التغيير الذي سيحدث فيك هو ما يحتاجه الآخر لكي يُغيّر من نفسه ويُصلح العلاقة.

أعظم خدمة تؤديها الضيقات والتجارب لحياتنا هي إظهار أهدافنا الخاطئة، إنَّه في هذه الأوقات الضاغطة، ترفع المشاعر راياتها المُحذرة مُشيرة إلى أهداف مُحبطة، أو أهداف غير مؤكدة أو أهداف مستحيلة مبنية على رغباتنا بدلاً من هدف الله الذي هو: ثبات ونقاوة الطباع والشخصية.

يقول الناس: "زواجي ميؤوس منه"، و"يحلّون" المشكلة بتغيير شركائهم. لكنْ إنْ كنت تظن أنَّ زواجك الأول كان ميؤوس منه، فكن مُتأكداً أنَّ الثاني سيفشل بمُعدل أسرع من الأول. آخرون يظنون أنَّ أعمالهم ميؤوس منها، فيغيّرون العمل ليكتشفوا أنَّ العمل الجديد ميؤوس منه أيضاً. يميل الناس للسعي وراء حل سريع للمشكلات الصعبة، لكنَّ خطة الله هو أنْ تبقى حيث المشكلة وتنمو هناك.

هل هناك طريقاً سهلاً لأصبح الشخص الذي يُريده الله دون المرور بالضيقات؟ صدقني أنا أبحث عن إحداها. لكنْ يجب عليّ الاعتراف أنَّ أكثر الأوقات ظلاماً، وأوقات الاختبارات الصعبة هي التي قادتني إلى حيث أنا اليوم. نحتاج أحياناً لاختبارات قمة الجبل المُنعشة، لكنَّ أرض النمو الخصبة هي دائماً في أسفل وادي الضيقات وليس في قمم الجبال. يقول بولس: "وأما غاية الوصية فهي المحبة" (١تيموثاوس ١:٥). لاحظ أنَّك إذا جعلت هذا هدفك فسيظهر في حياتك ثمر الروح المحبة والفرح (بدلاً من الاكتئاب)، السلام (بدلاً من القلق)، وطول الأناة (بدلاً من الغضب)، الخ.

٨

مقاييس الله للسلوك بالروح

منذ عدة سنوات قبلت دعوة للوعظ في مؤتمر لإحدى الكنائس في نهاية الأسبوع بعد عيد الأم. قبل المؤتمر بشهر اتصل بي الراعي وأخبرني أنَّ مركز المؤتمرات قد اخطأ وحجز لمؤتمرين في نفس الوقت، لذلك فقد تقدّم موعد المؤتمر أسبوعاً، وسألني إنْ كنت أستطيع الحضور أيام الجمعة، والسبت والأحد من أسبوع عيد الأم.

لم أكن أنوي ترك عائلتي في يوم عيد الأم، لكنَّ زوجتي «جوان» اقترحت أنْ أذهب إلى المؤتمر. أخبرتها إنّي لا أريد أنْ أكون بعيداً في يوم عيدها، لكنَّها أصرّت، فذهبت.

في المؤتمر، في وقت الراحة ذهبت لمحل بيع الهدايا الصغير الموجود في المكان، وخطرت لي فكرة رائعة لتعويض أسرتي عن غيابي عنها في عيد الأم. إحدى الهدايا الموجودة في المحل كانت سلة صغيرة جميلة بها خليط لتحضير الفطائر وجَرَّة من مربى التفاح. قررت أنْ أستيقظ مبكراً في صباح الاثنين وأجهّز مأدبة إفطار لذيذة من البيض، والسجق والفطائر «لجوان»، و«هيدي» و«كارل».

استيقظت فجر الاثنين وقضيت وقتاً في التأمل ثم بدأت في إعداد الإفطار. كنت أخلط عجينة الفطائر وأنا أرنم وأشعر بالسعادة، عندما دخل «كارل» وقد بدا عليه النُعاس. تجوّل في المطبخ ثم اختطف علبة «كورن فلاكس» وطبقاً وجلس إلى الطاولة.

– "ماذا، يا «كارل»؟ انتظر دقيقة. لن نأكل «كورن فلاكس» هذا الصباح، سنجلس معاً إلى الطاولة ونتناول إفطاراً شهياً مع بعض الفطائر."

– "لكنّي لا أحب الفطائر يا أبي" قال «كارل» وهو يفتح علبة «الكورن فلاكس».

– "انتظر يا «كارل»"، قلت مُصراً وقد بدأت أشعر بالضّيق. " سنجلس معاً للطاولة ونتناول إفطاراً شهياً مع بعض الفطائر."

– "لكنّي لا أحب الفطائر يا أبي" قال مُكرراً وقد استعد لملء الطبق.

– هنا فقدت أعصابي و صرخت قائلاً: «كارل»، سنجلس معاً للطاولة ونتناول إفطاراً شهياً مع بعض الفطائر!". أقفل «كارل» العلبة ثم ألقاها في الخزانة عائداً إلى غرفته. فجأة تحوّلت فكرتي الرائعة، وأهدافي السامية وصباحي الجميل، إلى وضع مُحرج. فقد كان يجب عليَّ قضاء بعض الوقت في الاعتذار «لكارل» عن ثورتي وغضبي.

أنت أيضاً قد نلت نصيبك مثلي من الألم بسبب الأهداف المُحبَطة، كما وصفنا في الفصل السابق. ربما كان لديك خطة رائعة لفعل شيء مُدهش لخدمة الله، أو كنيستك، أو عائلتك أو صديقاً. ثم تَحَوَّلت خطتك إلى فوضى بسبب اضطرابات الحياة المحمومة التي ليس لك قدرة على التحكم فيها. إما اختناق المرور منعك من الوصول إلى عملك في الوقت المُناسب، أو أنَّ زوجكِ تأخر عن موعد العشاء الخاص الذي أعددته له، أو قرّر ابنك أنْ يُصبح عازف جيتار في أحد الفرق بدلاً من أنْ يُصبح طبيباً كما خططت له، أو أنَّك لم تُصبح عضواً في مجلس الكنّيسة.

عندما تُعلّق قيمتك كشخص على تحقيق خططك الخاصة، فإنَّ حياتك

تُصبح رحلة طويلة من التذبذب العاطفي العنيف. الحل الوحيد للخروج من هذا التذبذب هو السلوك بالإيمان بالحق المُعلن في كلمة الله.

الإرشادات السليمة تقود إلى سلوك سليم

إنَّ ثاني أهم شيء يقوم به إبليس ليبقيك في قيود الظلام الروحي أو ليجعلك تحيا مُحطّم العواطف، هو تشويش مُعتقداتك. لقد فَقدك بالمعنى الأبدي عندما أصبحت ابناً لله. لكنْ لو استطاع تعتيم ذهنك وإضعاف إيمانك مُستخدماً أنصاف الحقائق، فسيُبطل تأثيرك في خدمة الله ويوقف نموك كمسيحي.

لقد تأكدنا من أنَّ الله يُريدك ناجحاً، ومُحققاً لذاتك وسعيداً، الخ. لكنْ من اللازم لصحة نموك الروحي أنْ تكون مُعتقداتك عن النجاح، والشعور بالقيمة، وتحقيق الذات، والرضا، والسعادة، والمرح، والشعور بالأمان والسلام مُتأصلة في الكتاب المقدس وصحيحة. في هذا الفصل أريد تنشيط مُعتقداتك في كل من هذه الجوانب مُستنداً على كلمة الله. قارن بين هذه الأوصاف الثمانية والثماني عبارات التي كتبتها في "اختبار تقدير قيمة الذات" في الفصل السابق. هذه الأوصاف ستُساعدك على إجراء بعض التعديلات الحيوية التي ستقودك إلى الطريق الصحيح.

١- النجاح. المفهوم الرئيسي: أهداف

منذ عدة سنوات جاءت امرأة شابة من الشاطئ الشرقي للولايات المُتحدة إلى «لوس أنجلوس» على الشاطئ الغربي، لقضاء يوم السبت في جلسة مشورة معي. كانت «ماتي» مسيحية لكنَّ حياتها كانت مليئة بالاضطراب، فقد كانت تسمع أصواتاً شيطانية كما كان لديها العديد من المشاكل.

لقد أخبرتني «ماتي» أنَّها أخذت الجزء الأول من ٣يوحنا ٢ كوعد شخصي لها: "أيها الحبيب في كل شيء أروم أنْ تكون ناجحاً وصحيحاً ".

لكنَّها كانت تشكُ: "إنْ كان الله قد وعدني بالرخاء، والنجاح والصحة، فلماذا إذاً حياتي مقلوبة رأساً على عَقِب؟"

قلت لها: "يوجد أكثر من هذا في هذه الآية، أكملي قراءتها".

فأكملت "كما أنَّ نفسك ناجحة ".

سألتها مُباشرة: "كيف حال نفسكِ؟" عندها أخبرتني «ماتي» قصتها المُحزنة. لقد أجهضت ثلاث مرات نتيجة الحمل من علاقات مُحرّمة، كما أنَّها الآن تعيش مع رجل بدون زواج. لكنَّ «ماتي» كانت مُتمسكة باستماتة بوعد قد أساءت اقتباسه، فأصبحت حياتها مُستبيحة. لقد كان ينقصها النجاح بسبب مُعتقداتها الخاطئة عن أهدافها في الحياة.

النجاح مُرتبط ارتباطاً مُباشراً بالأهداف. إذا كنت قد قيّمت مستوى نجاحك "مُنخفض"، فقد تكون عدم قدرتك على بلوغ أهدافك في الحياة سببه إنَّك تعمل من أجل الأهداف الخطأ.

التلخيص الجيد لهدف الله من أجلنا نجده في ٢بطرس ١:٣-١٠

"كما أنَّ قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى، بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة، اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة، لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية، هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة. ولهذا عينه ـ وانتم باذلون كل اجتهاد ـ قدموا في إيمانكم فضيلة، وفي الفضيلة معرفة، وفي المعرفة تعففاً، وفي التعفف صبراً، وفي الصبر تقوى، وفي التقوى مودة أخوية، وفي المودة الأخوية محبة. لأنَّ هذه إذا كانت فيكم وكثرت، تُصيّركم لا مُتكاسلين ولا غير مُثمرين لمعرفة ربنا يسوع المسيح. لأنَّ الذي ليس عنده هذه، هو أعمى قصير البصر، قد نسي تطهير خطاياه السالفة. لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الأخوة أنْ تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين. لأنَّكم إذا فعلتم ذلك، لن تزلّوا أبداً."

لاحظ أنَّ هدف الله يبدأ بالتأكيد على هُويّتك مُستنداً على ما قد قام به الله بالفعل من أجلك. لقد "وهبَ لك كل ما هو للحياة والتقوى"، لقد تم التبرير بالفعل والتقديس قد بدأ فعلاً. أنت الآن شريك للطبيعة الإلهية، هارباً ـ في الماضي ـ من فساد الخَطيَّة. ما أعظمها بداية!

عملك الرئيسي الآن هو أنْ تكتسب طباع الشخصية التي تُحقّق هدف الله ـ الفضيلة: السمو الأخلاقي، والمعرفة، والتعفف، والصبر، والتقوى، والمودة الأخوية والمحبة المسيحية ـ وأنْ تُطبّقها في حياتك. التركيز على هدف الله يقود إلى النجاح الأعظم: النجاح بمقاييس الله. يعد بطرس بأنَّه كلّما زادت هذه الصفات في حياتك من خلال المُمارسة، كلّما كنت نافعاً ومُثمراً، ولن تَزَل أبداً. هذا هو النجاح!

لاحظ أيضاً أنَّ في القائمة السابقة لا يرد ذكر للملكات، أو الذكاء، أو المواهب التي لم تُوزّع بالتساوي على جميع المؤمنين. إنَّ قيمتك الذاتية لا تُحددها هذه الصفات. إنَّ قيمتك مؤسسة على هُويّتك في المسيح وعلى نمو وتطور طباعك الشخصية، اللذين هما في مُتناول جميع المؤمنين. هؤلاء المسيحيون الغير مُلتزمين بأهداف الله لتغيير الشخصية والطباع تصبح حياتهم قصص من الفشل المُحزن مثل «ماتي». بحسب بطرس، لقد نسوا مَنْ هم، فهم غير مُتلامسين مع هُويّتهم الحقيقية ومقاصد الله لهم في المسيح.

ملاحظة أخرى مُفيدة عن النجاح نراها في اختبار يشوع وهو يقود الشعب إلى أرض الموعد. لقد قال له الله: "إنَّما كن مُتشدداً وتشجع جداً لكي تتحفظ للعمل حسب كل الشريعة التي أمرك بها موسى عبدي. لا تمل عنها يميناً ولا شمالاً لكي تُفلح حيثما تذهب. لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك. بل تلهج فيه نهاراً وليلاً لكي تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه. لأنَّك حينئذ تُصلح طريقك وحينئذ تُفلح" (يشوع ١:٧،٨).

هل كان نجاح يشوع مُتوقفاً على أشخاص آخرين أو على الظروف؟

قطعاً لا. النجاح كان مُعلّقاً بالكامل على طاعته. إنْ آمن يشوع بما قاله الله وفعل ما أمره به، فلابد له من النجاح. يبدو هذا بسيطاً جداً، لكنَّ الله أمتحن يشوع مباشرة بإعطائه خطة حربية غير حكيمة إلى حدٍ ما. المشي حول المدينة سبعة أيام، ثم الضرب بالبوق لم يكن تكتيكاً حربياً مُعتمداً في أيام يشوع!

لكنَّ نجاح يشوع كان مشروطاً بالطاعة لله بغض النظر عمّا إذا كانت خطة الله تبدو غبية. كما يُسجّل لنا "يشوع ٦"، نجاح يشوع لم يكن له أي صلة بظروف المعارك، لكنَّه كان وثيق الصلة بالطاعة. اقبل هدف الله لحياتك والتزم به في طاعة له، وستجد نفسك في ملء طريق النجاح.

إذا أردت أنْ تُزيد من أهميتك، ركز طاقتك على نشاطات هامة أي تلك التي ستبقى إلى الأبد.

٢- الشعور بالأهمية. المفهوم الرئيسي: الوقت

الشعور بالأهمية موضوع له علاقة بالزمن، الأشياء القليلة الأهمية هي التي تُنسى مع الزمن. ما سنذكره طوال الأبدية هو في غاية الأهمية. بولس يكتب للكورنثوسيين: "أنْ بقي عمل أحد قد بناه عليه فسيأخذ أجرة" (١كورنثوس ١٤:٣). كما يوصي تيموثاوس: "... روض نفسك للتقوى... إذ لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة" (١تيموثاوس ٨،٧:٤). إذا أردت أنْ تُزيد من أهميتك، ركّز طاقتك على نشاطات هامة أي تلك التي ستبقى إلى الأبد.

«براين» راعٍ لكنّيسة صغيرة، حضر إحدى مؤتمراتي. عندما علم بمرضه بالسرطان كان مُتزوجاً وفي مُنتصف الثلاثينات. وقد أخبره الأطباء بأنَّه لن يعيش أكثر من سنتين.

في أحد الأيام جاء «براين» ليتحدث معي.وقال لي: "منذ عشر سنوات تنبأ أحدهم عليَّ في الكنّيسة قائلا أنّي سأقوم بعمل كبير في خدمة الله. لقد

قدت المئات للمسيح. لكنّي لم أبدأ عملاً كبيراً لخدمة الله حتى الآن. هل تظن أنَّ الله سيشفيني لتتحقق النبوة؟"

قلت له وأنا في غاية الدهشة: "لقد قدت المئات للمسيح وتظن إنَّك لم تقم بعمل كبير لخدمة الله؟ «براين» أنا أعرف قسوس مشهورين في كنائس كبيرة لا يُمكنهم إدّعاء ما أنجزته. كما أعرف بعض كبار اللاهوتيين الذين ربما لم يقودوا شخصاً واحداً للمسيح. إنْ كان هناك مائة شخص مؤمن اليوم فهذا بسببك، وقد أثَّروا على عدد كبير من الناس في علاقتهم بالمسيح، أنا أسمي هذا عمل عظيم لله." («براين» الآن مع الرب، بعدما أكمل خدمته الهامة خدمة ربح المئات للمسيح).

واحد من الأبطال القليلين في حياتي هو «بيلي جراهام» الناس يُهاجمونه من كل اتجاه، لكنَّه بقي أميناً لدعوته في الكرازة بالإنجيل. منذ عدة سنوات رأيته مُصادفة يمر في بَهْو فندق «*Century Plaza Hotel*» في «لوس أنجلوس». لم أقابله من قبل، ولم أستطع تضييع الفرصة فلحقت به قائلاً: "دكتور «جراهم» كنت أود مُقابلتك، ولو إنّني راعٍ حقير."

رد تحيتي بحرارة، ثم قاطعني قائلاً: "لا يوجد مثل هذا الشيء الذي أسميته راعٍ حقير."

لقد كان مُحقاً. لا يوجد شيء اسمه راعٍ حقير أو ابن حقير لله. فنحن في مُهمة عظيمة، نحن نجمع كنوز للأبدية. ما نقوله أو نفعله من أجل المسيح، مهما كان تافهاً أو حقيراً في نظر العالم، فسيبقى إلى الأبد.

٣- تحقيق الذات. المفهوم الرئيسي: إنجاز الدور

تحقيق الذات الحقيقي بالنسبة للمسيحي يُمكن تلخيصه في المقولة الشائعة "أنمو حيثُ غُرست". بطرس يقولها بطريقته: "ليكن كل واحد بحسب ما اخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضاً كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة" (١بطرس ٤: ١٠). إنَّ التحقيق الأعظم لذاتك في الحياة يأتي عندما تكتشف ما

هي مواهبك الفريدة وإمكانياتك، وتستخدمها لبنيان الآخرين وتمجيد الرب.

لقد سمح الرب أنْ أفهم هذا المبدأ الحيوي قبل أنْ أدخل مجال الخدمة، عندما كنت أعمل كمهندس في مجال الفضاء والطيران. كنت أعلم أنَّ الرب يُريدني أنْ أكون سفيراً له في «هانيويل»، لذلك بدأت اجتماعاً صباحياً في صالة البولنج. علّقت الدعوة لاجتماع درس الكتاب المُقدّس في مكتبنا فقط، لم تمر ساعة واحدة حتى نزعها من على الحائط زميل يهودي وأتي بها إليَّ مُعترضاً: "هل تُريد أنْ تأتي بيسوع إلى هنا".

"لا أستطيع أنْ أفعل غير ذلك، كل يوم آتي فيه إلى هنا هو يأتي معي" قلت له مُجيباً، لكنَّهُ لم يتأثر بإجابتي!

واحد من الرجال الذين تعرفوا على المسيح من خلال هذا الاجتماع تحوّل إلى مُبشر ناري يوزع النبذ أيْنَما ذهب. عندما تركت «هانيويل» لألتحق بكلية اللاهوت، أصبح هو قائد اجتماع درس الكتاب.

بعد عدة شهور عندما ذهبت لزيارة أصدقائي في اجتماع درس الكتاب ، سألني: "هل تذكر الزميل اليهودي؟"

"بالتأكيد أذكره"، أجبت مُتذكراً مُقاومته العنيفة لاجتماع درس الكتاب.

"لقد مرض وقارب الموت، لكنّي كنت أزوره في المُستشفى كل ليلة، في النهاية قدته للمسيح."

كنت في قمة النشوة عند علمي إنَّه قد أصبح لي أحفاداً روحيين. كان الشعور بتحقيق الذات في قمته. لقد حدث كل هذا لأنّي بدأت اجتماعاً صغيراً لدراسة الكتاب حيث كنت أعمل، لكي أفعل ما قاله بولس: "أعمل عمل المُبشر، تتم خدمتك " (٢تيموثاوس ٣:٥).

الله عنده مكاناً فريداً للخدمة لكل شخص منا. من المُهم لكي تشعر بتحقيق الذات أنْ تعرف أيْنَ هو مكانك بالضبط. المفتاح هو أنْ تعرف الأدوار التي لا يُمكن أنْ يقوم بها أحد غيرك، ثم تُقرر أنْ تصبح الشخص الذي يُريده

الله في أداء هذه الأدوار. مثلاً، من الخمسة بليون شخص الموجودين في العالم أنت لك دور فريد في منزلك كزوج وأب، أو كزوجة وأم، أو كابن. لقد غرسك الله خصيصاً في هذا المكان، لتخدمه في عائلتك في ظل تلك الظروف.

كما أنَّك الشخص الوحيد الذي يعرف جيرانك كما تعرفهم أنت. أنت تحتل دوراً فريداً كسفير للمسيح في عملك. تلك هي حقول إرساليتك وأنت هو العامل الذي أرسله الله إلى هناك للحصاد. شعورك الأعظم بتحقيق الذات يأتي من قبولك لدورك في المكان الفريد الذي وضعك الله فيه، وتتميمك له بكل طاقتك. بكل أسف كثيرون يفقدون دعوتهم في الحياة وهم يبحثون عن تحقيق ذاتهم في العالم. احصل على تحقيق ذاتك في ملكوت الله بقرارك أنْ تكون سفيراً للمسيح في العالم (٢كورنثوس ٥: ٢٠).

٤- الشعور بالرضا. المفهوم الرئيسي: النوعية

الشعور بالرضا يأتي نتيجة لحياة البر والسعي للارتقاء بمستوى العلاقات، أو الخدمة أو الإنتاج الذي تُشارك فيه. يجب أنْ يكون هدفك هو تحقيق ما قاله بولس وهو راضٍ عن نفسه فيما دعاه الله من أجله: "قد جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعي حفظت الإيمان" (٢تيموثاوس ٤: ٧).

ما الذي يجعلك تشعر بالرضا عن شخص أو عن شيء ما؟ غالباً ما يكون المستوى المرتفع للعلاقة، أو الإنتاج أو الخدمة التي يُقدّمها. كثيراً ما أسأل الناس متى فقدوا شعورهم بالرضا. لا يستطيعون تجنب القول بأنَّه في الوقت الذي انخفضت فيه نوعية العلاقة، أو الخدمة أو الإنتاج.

الشعور بالرضا هو موضوع يتعلق بالنوعية وليس بالكمية. ستحصل على شعور أكبر بالرضا عندما تقوم بأعمال أقل لكنْ بطريقة أفضل، وليس عندما تقوم بأعمال كثيرة لكنْ بطريقة عشوائية أو متسرعة. مفتاح الشعور بالرضا الشخصي ليس في توسيع نطاق مسؤولياتك ولكنْ في تُعميقه عن طريق الالتزام بالنوعية الجيدة.

هذا صحيح أيضاً بالنسبة للعلاقات. إنْ كنت غير راضٍ عن مستوى علاقاتك، فربما يكون السبب أنَّك قد وسّعت نطاق علاقاتك حتى أصبحت سطحية جداً. لقد كتب سليمان: "المُكثر الأصحاب يُخرب نفسه. ولكنَّ يوجد مُحب ألزق من الأخ" (أمثال ١٨:٢٤). قد يكون جيداً أنْ تعرف الكثير من الناس معرفة سطحية، لكنَّك تحتاج إلى أصدقاء حقيقيين مُلتزمين بنوعية عالية من العلاقة بعضهم نحو بعض.

هذا ما قدّمه الرب لنا كمثال. لقد علّم الجموع ودرّب ٧٠ على الخدمة، لكنَّه استثمر أكثر وقته في ال١٢ تلميذ. ومن ال١٢ اختار ثلاثة ــ بطرس ويعقوب ويوحنا ــ ليكونوا معه على جبل التجلي، وعلى جبل الزيتون وفي بستان جثسيماني. وفي آلامه على الصليب، كلّف يوحنا ــ ربما الصديق الأقرب ليسوع ــ بالاهتمام بأمه مريم. هذه علاقة ذات نوعية مرتفعة، نحن جميعاً في احتياج للشعور بالرضا الذي تجلبه العلاقات ذات النوعية العالية.

٥- السعادة. المفهوم الرئيسي: أنْ ترغب ما لديك

مفهوم العالم عن السعادة هو أنْ يكون لديك ما ترغب. «*Madison Avenue*»[١] يقول لنا أنَّنا نحتاج لسيارة جذابة، أو عطر مُثير، أو لأشياء كثيرة أفضل، أو أسرع أو أسهل في الاستعمال مما نمتلكه الآن. عندما نُشاهد أو نقرأ الإعلانات نصبح غير سعداء ونتعجل الحصول على أحدث صيحة من هذه الأشياء المُبهرة. ولا نشعر بالسعادة حتى نحصل على ما نُريد.

لكنَّ مفهوم الله للسعادة يُمكن تلخيصه في المثل البسيط التالي: "ما أسعد الإنسان الذي يرغب ما لديه". عندما تُركّز نظرك على ما لا تملكه ستصبح غير سعيد. لكنْ عندما تبدأ في تقدير ما لديك بالفعل، ستصبح سعيداً كل حياتك. كتب بولس إلى تيموثاوس: "وأما التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة. لأنَّنا لم ندخل العالم بشيء وواضح أنَّنا لا نقدر أنْ نخرج منه بشيء.

(١) «*Madison Avenue*» شارع في قلب نيويورك، هو مركز صناعة الإعلان في أمريكا يطلق هذا التعبير على كل ما له علاقة بصناعة الإعلان في أمريكا (المترجم)

فإنْ كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما" (١تيموثاوس ٦:٦-٨).

في الحقيقة نحن فعلياً نمتلك كل ما نحتاجه لنكون سعداء إلى الأبد. أنت مسيحي، ولك حياة أبدية. أنت محبوب من الآب السماوي الذي وعد بأنْ يملأ كل احتياجك. لذلك ليس من العجيب أنْ يكرّر الكتاب المُقدّس أمره لنا بأنْ نكون شاكرين (١تسالونيكي ٥:١٨). إذا أردت فعلاً أنْ تكون سعيداً تعلّم أنْ تكون شاكراً على ما عندك، لا طامعاً في ما لا تملك.

٦- المرح. المفهوم الرئيسي: العفوية غير المُقيّدة

ما هو كم المرح الذي تحصل عليه كمؤمن؟ بعض الناس يظنون أنَّ المرح هو الذهاب إلى «ديزني لاند». أجل، يوجد الكثير من المرح في «ديزني لاند»، لكنْ غالباً ما أعود من هناك متعباً جداً وقد خسرت ١٠٠ دولار.

المرح هو العفوية غير المُقَيّدة. قد تكون آخر مرة حصلت فيها على قدر من المرح كانت بسبب حدث أو نشاط عفوي وليد اللحظة. الأحداث الكبرى المُكلفة قد تجلب المرح، لكنَّنا قد نُخطط وننفق الكثير ولا نحصل على المرح. كثيراً ما حصلت على الكثير من المرح في معركة عفوية بالوسائد مع أولادي.

المُعطّل الأعظم للمرح هو ميلنا الجسدي للحفاظ على المظهر.

سرّ التمتُّع بالعفوية غير المُقَيّدة هو إزالة القيود. إنَّ المُعطّل الأعظم للمرح هو ميلنا الجسدي للحفاظ على المظهر. فنحن لا نُريد أنْ ينظر إلينا الآخرون كأنَّنا قد خرجنا عن وقارنا أو يظنوا أنَّنا أقل من توقعهم، لذلك نُقيّد عفويتنا بلياقة مُصطنعة. نفعل هذا إرضاءً للناس، لكنَّ بولس يقول أنَّ أي شخص يعيش ليرضي الناس لا يُمكنه أنْ يكون عبداً للمسيح.

أنا أحب جداً فرح الملك داود الغير مُقَيّد، فقد كان يعرف فرح الوجود

في محضر الرب. لقد كان فرِحاً جداً عند إرجاع تابوت عهد الرب فقفز ورقص فرَحاً واحتفالاً أمام الرب. كان يعرف أنَّ هناك فرحاً في محضر الله، لكنَّ «ميكال» زوجته التي لا تُجيد الاستمتاع بالاحتفالات ظنّت أنَّ تصرفه لا يليق بالملوك، وأخبرته بذلك بكلمات قاسية. "فقال داود «لميكال» إنَّما أمام الرب الذي اختارني دون أبيك ودون كل بيته ليقيمني رئيساً على شعب الرب إسرائيل. فلعبت أمام الرب" (٢صموئيل ٦:٢١). وكان أنَّ الرب أدان «ميكال» على هذا الموقف ولم يُدن داود (٢صموئيل ٦:٢٣). ستجد الكثير من المرح في طاعة الرب أكثر بكثير من مُحاولة إرضاء الناس.

٧- الشعور بالأمان. المفهوم الرئيسي: التعلق بالأبدية

مفتاح اختبار الشعور بالأمان في حياتك هو الاعتماد على الأمور الأبدية، وليس على تلك الوقتية. يشعر المسيحيون بعدم الأمان عندما يُحاولون الاعتماد على الأشياء الزمنية التي لا يملكون السيطرة عليها. مثلاً، بعض الناس يتّكلون على أموالهم للحصول على الأمان المادي بدلاً من الاتكال على وعد الله بتسديد كل الاحتياجات. ما هي الأماكن الأكثر أماناً لوضع الأموال منذ عدة سنوات؟ لقد كانت شركات توظيف الأموال، لكنَّ الكثير منها قد فَشَل وانهار الأمان الزائف الذي وضعه الناس فيها.

يأتي الأمان فقط من الارتباط بالأمور الأبدية. قال يسوع إنَّ لنا حياة أبدية ولا يستطيع أحد أنْ ينزعنا من يده (يوحنا ١٠:٢٧-٢٩). كما يُعلن بولس أنَّ لا شيء يستطيع أنْ يفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع (رومية ٨:٣٥-٣٩)، وإنَّنا مختومين بختم الروح القُدس (أفسس ١:١٣،١٤). هل يوجد أمان أكثر من هذا يُمكننا الحصول عليه؟ عندما تضع أمانك في الأشياء ذات القيمة الوقتية أو في العلاقات، فأنت دائماً عرضة لعدم الأمان لأنَّ هذه الأشياء عرضة للفشل. أعظم شعور بالأمان يُمكن اختباره، يأتي نتيجة التمسك بالقيم والعلاقات التي ستبقى بقاء الله نفسه.

٨- السلام. المفهوم الرئيسي: حل الصراعات الداخلية

السلام على الأرض، النوايا الحسنة تجاه البشر، هذا ما يرغبه الجميع. لكنْ لا أحد يستطيع أنْ يضمن لنا السلام الخارجي لأنَّه لا يستطيع التحكم في بقية البشر أو في الظروف. الدول توقّع على اتفاقيات السلام ثم تكسرها بشكل مُخيف. مسيرة لدعاة السلام تواجه مسيرة أخرى من دعاة السلام وينتهوا بضرب بعضهم البعض مستخدمين الشعارات التي كانوا يرفعونها. الأزواج ينشدون السلام في بيوتهم "بشرط أنْ يرتقي الآخر إلى المستوى المطلوب".

المفتاح لاختبار السلام هو معرفة أنَّ السلام بالدرجة الأولى هو أمر داخلي. السلام مع الله هو أمر أنت قد حصلت عليه فعلياً (رومية ١:٥). إنَّه ليس أمراً تصارع لتحصل عليه، لقد حصلت عليه عندما ولدت ثانية. لقد انتهى التمرد على الله وأصبح إنسانك الداخلي في سلام مع الله.

سلام الله هو أمر تحتاج أنْ تُملّكه يومياً على عالمك الداخلي في وسط العواصف الثائرة في العالم الخارجي (يوحنا ٢٧:١٤). يوجد الكثير من الأشياء التي يُمكنها أنْ تُحطّم عالمك الخارجي لأنَّك لا تستطيع التحكم في كل ظروفك وعلاقاتك. لكنَّك تستطيع التحكم في عالمك الداخلي المُكوّن من أفكارك، ومشاعرك وإرادتك، بأنْ تسمح لسلام الله أنْ يملك في قلبك بشكل يومي. قد يكون هناك فوضى من حولك، لكنَّ الله أعظم من كل العواصف. أنا أضع لوحة على مكتبي لتذكرني بأنَّ: "لن يحدث لي شيء اليوم لا نستطيع الله وأنا أنْ نحلّه". العبادة الشخصية، والصلاة والتفاعل مع كلمة الله ستمكنك من الوصول إلى سلام الله (كولوسي ١٥:٣،١٦؛ فيلبي ٦:٤،٧).

عندما أشارك هذه النقاط الثمانية من المُعتقدات المسيحية الحساسة، اسمع الناس يقولون: "حسناً، هذا صحيح، لكنّي مازلت أعتقد....". بما سيعيشون: بما يعترفون أنَّه الحق أم بما "مازالوا يعتقدونه"؟ دائماً الأخير ـ دائماً! ما نعتقده يُحدّد كيف سنسلك. كما يقول أحد لاعبي الجولف: "أعرف أنَّه

يجب عليَّ تغيير قبضتي لكي لا أخطئ الكرة". لكنْ إنْ لم يُحاول فعلياً تغيير طريقة قبضه على العصا، فهو لا يعتقد حقاً بما يقوله. الأفعال تكشف دائماً ما يعتقده الناس حقاً.

بعد أنْ تفحصّت سلوكك الإيماني بمقارنة مُعتقداتك بهذه النقاط الثمانية السابقة، هل اكتشفت بعض الأسباب التي توضح لك لماذا كنت تُخطيء السلوك؟ هل أنت مُستعد لتغيير مُعتقداتك لتُعيد مسيرة إيمانك إلى ملء الطريق الصحيح؟

٩

الانتصار في معركة الذهن

منذ عدة سنوات كانت «شيلي»، زوجة أحد الطلبة في كلية اللاهوت، تحضر كمُستمعة محاضراتي عن الصراعات الروحية. عندما صرنا في منتصف البرنامج تقريباً، استوقفتني يوماً خارج الصف وقالت لي: "أنت لا تدري ما يحدث في حياتي." لقد كانت مُحِقّة، فلم يكن لدي أدنى فكرة عمّا يحدث! لكنّي شجعتها على الاستمرار في حضور المُحاضرات وتطبيق الحقائق التي تتعلمها في حياتها.

في نهاية البرنامج أعطتني «شيلي» الخطاب التالي:

> عزيزي «نيل»،
> أريد أنْ أشكرك مرة ثانية على الطريقة التي استخدمك بها الرب لتغيير حياتي. في العامين الماضيين كانت حياتي صراعاً مُستمراً لمُحاولة السيطرة على ذهني. كنت أجهل مكانتي وسلطاني في المسيح، كما كنت أجهل قدرة إبليس

على خداعي. كنت أعيش في خوف دائم. لقد كانت تنهال على ذهني أفكار عدوانية غاضبة. أصبحت أشعر بالذنب وكنت أتساءل عمّا أصابني. لم أكن أدرك حجم القيود التي في حياتي حتى استمعت لمحاضراتك. لقد تعلّمت دائماً أنَّ الأرواح الشريرة لا يُمكنها التأثير على المؤمن. لكنْ عندما بدأت تصف الشخص الواقع تحت تأثير الأرواح الشريرة، كاد يُغشى عليَّ من الصدمة. لقد كنت تصفني أنا! لأول مرة في حياتي أستطيع أنْ أميِّز هجمات إبليس وأستطيع مواجهته. لم أعد مشلولة من الخوف كما أصبح ذهني أقل اضطراباً. أنا مُتأثرة جداً من هذا التغيير! عندما أقرأ الكتاب المُقدّس الآن، أتعجب من عدم قدرتي على رؤية كل هذا في الماضي. لكنْ كما تعلم لقد كنت مخدوعة. شكراً جزيلاً مرة أخرى.

«شيلي»

كانت «شيلي» مسيحية مؤمنة من زمن بعيد قبل أنْ تستمع لي، لكنَّ سلوكها بالإيمان كان مُحبطاً بسبب عدو الإيمان الأعظم، أي الذهن الواقع تحت تأثير الإيحاء الشيطاني. لقد كانت ابنة الله، لكنَّها كانت مهزومة، كانت ضحية غافلة للمُخادع. لم تكن تفهم هُويَّتها في المسيح وكانت مُدمّرة بسبب عدم المعرفة (هوشع ٤:٦).

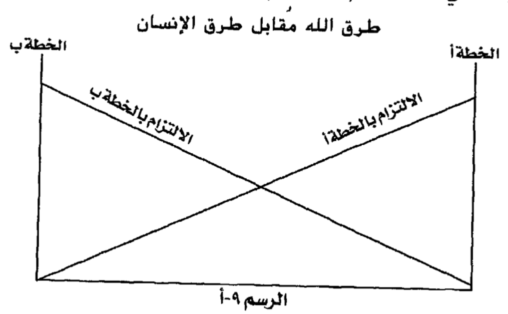
«شيلي» تُمثّل عدداً لا حصر له من المسيحيين الغافلين روحياً والمُنهزمين في حياتهم اليومية. فهم لا يُدركون أنَّ هناك حرباً دائرة للسيطرة على أذهانهم. عندما يُدرك المؤمنون الذين يُعانون من الصراعات الذهنية حقيقة هذا الصراع

يصبح بإمكانهم أنْ يتغيّروا عن شكلهم بتجديد أذهانهم ويختبروا الحرية التي اختبرتها «شيلي».

الإيمان هو طريق الله للحياة، والعقل هو طريق الإنسان في الحياة، لكنْ الإيمان والعقل البشري كثيراً ما يختلفان. ليس لأنَّ الإيمان غير منطقي، ولا لأنّي أدعوك لإهمال مسئوليتك في التفكير. على العكس *الله يُطالبنا* بأنْ نُفكر وأنْ نختار. الله إله منطقي ويعمل من خلال قدراتنا العقلية. لكنَّ المشكلة هي أنَّ قدراتنا العقلية محدودة. فالله يقول: "لأنَّه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم" (إشعياء ٥٥:٩). نحن لا نقدر أنْ نعرف أفكار الله بواسطة المنطق البشري، لذلك نعتمد على الإعلان الإلهي.

نستطيع أنْ نحيا على طريقة الله، أي بالإيمان، والذي أحب أنْ أسميه "الخطة أ". أو أنْ نحيا على طريقتنا، أي السلوك بقدراتنا العقلية المحدودة، والذي أحب أنْ أسميه "الخطة ب". "الخطة ب" مؤسسة على ميلنا لاستخدام المنطق، "أنا لا أرى هذا الأمر كما يراه الله" أو "أنا لا أؤمن بهذا" لذلك نُسيّر الأمور بطريقتنا. يُلح علينا سليمان أنْ نحيا دائما على طريقة *الله* عندما يكتب: "توكل على الرب بكل قلبك وعلى فهمك لا تعتمد. في كل طرقك اعرفه وهو يقوم سبلك" ـ أي "الخطة أ" ـ (أمثال٣:٥،٦).

طرق الله مقابل طرق الإنسان



الرسم ٩-أ

قوة "الخطة أ" في حياتك تتوقف على اقتناعك الشخصي بأنَّ الله دائماً على حق، وعلى مدى التزامك بطاعته. قوة "الخطة ب" تتوقف على حجم الوقت والطاقة التي تصرفها في الانشغال بالأفكار التي تتعارض مع كلمة الله. أنت تعرف حقاً أنَّ طريق الله هي الأفضل وتعتزم أنْ تسلك فيها ١٠٠٪ بالإيمان. لكنْ في اللحظة التي تبدأ بتقبل أفكار أو تصورات تتعارض مع كلمة الله، تكون قد بدأت في العمل حسب "الخطة ب" كطريق للهروب في حال فشل "الخطة أ"، كما يوضح "الرسم ٩- أ".

مثلاً، طريق الله للزواج هو أنْ يكون للإنسان شريكاً واحداً فقط مدى الحياة. لكنْ لنفترض أنَّ زوجة مسيحية بدأت تُفكر هكذا "لا أعلم إنْ كان هذا الزواج سينجح. يجب أنْ أحصل على عمل لأضمن مستقبلي في حال انفصلنا." في اللحظة التي تبدأ فيها ولو بقدر ضئيل الالتزام "بالخطة ب"، لا يُمكنها إلا أنْ تتنازل عن جزء من التزامها القلبي والكلي "بالخطة أ"، أي الالتزام بزواجها. كلّما فكرت أكثر في "الخطة ب"، كلّما زاد احتمال احتياجها لها.

لاوجود "للخطة ب" في زواجي ـ مهما كانت الظروف. أنا ملتزم «بجوان» مدى الحياة. لا أريد أنْ أستقبل فكرة واحدة تتعارض مع التزامي وتكريسي لها. هذه الأفكار خطيرة لأنَّها تستهلك الالتزام أو التكريس المُطلق لخطة الله.

كلما استثمرت وقتاً وطاقة في التأمل في خططك الخاصة، كلما قل الوقت والطاقة التي لديك للسلوك بخطة الله. فتبدأ التَأَرْجُح بين معرفتك واستحسانك لخطة الله والاتكال على فهمك ومعرفتك. يصف يعقوب هذا النوع من البشر ب"رجل ذو رأيين هو متقلقل في جميع طرقه" (يعقوب ١:٨). عندما تستمر في التذبذب بين خطة الله "أ" وخطتك "ب"، يتوقف نموك الروحي، ويتعطّل نضوجك في المسيح، ويُصبح اختبارك المسيحي اليومي مليء بالوهم، والإحباط والهزيمة.

ما هو مصدر أفكار "الخطة ب"؟ هناك مصدران رئيسيان.

أولاً، الجسد الذي فيك مازال يُنتج أفكاراً وتصورات بشرية. الجسد وهذا الجزء منك، الذي تدرّب على العيش مُستقلاً عن الله قبل أنْ تصبح مؤمناً. في ذلك الوقت لم يكن في حياتك أي وجود "للخطة أ"، كنت مُنفصلاً عن الله، جاهلاً بطرقه وقد قررت النجاح والبقاء على قيد الحياة مُعتمداً على إمكانياتك.

عندما ولدت ثانية، أعطاك الله طبيعة جديدة وأصبحت شخصاً جديداً، لكنَّك لم تفقد ذاكرتك. لقد أحضرت إلى حياتك الجديدة في الإيمان كل "الخطة ب" وأفكار وطُرق الجسد. لذلك في الوقت الذي تُريد فيه طبيعتك الجديدة الحياة مُعتمدة على الله واتباع "الخطة أ"، يستمر الجسد في طرح أفكار "الخطة ب" مُحاولاً دفعك للعودة للحياة المُستقلة عن الله.

ثانياً، يوجد شخص نشيط في العالم اليوم، وقد كان مُقاوماً "للخطة أ" منذ جنة عدن. إبليس وجنوده من الأرواح الشريرة مُتداخلين بشكل فعال في محاولة إبعادك عن السلوك بالإيمان، عن طريق خلط تفكيرك بأفكاره وتصوراته. فهو لا يكل في محاولاته لغرس أفكار سلبية، وطرق تفكير عالمية في ذهنك، ليُنتج سلوكيات سلبية وعالمية في حياتك اليومية.

جوهر الصراع في معركة الذهن هو الصراع بين "الخطة أ"، الحياة على طريقة الله بالإيمان، و"الخطة ب"، الحياة على طريقة البشر في استجابة لنزوات العالم، والجسد والشيطان. قد يكون شعورك أنَّك ضحية عاجزة في هذه المعركة، كالكرة بين أرجل اللاعبين. لكنَّك لست عاجزاً على الإطلاق. في الحقيقة، أنت الذي تُقرر من الفائز في الصراع بين "الخطة أ" و"الخطة ب".

الحصون هي الهدف الرئيسي في حربنا

طبيعة المعركة تُقدمها لنا بوضوح ٢كورنثوس ١٠:٣-٥ :"لأنَّنا وإنْ كنا نسلك في الجسد لسنا حسب الجسد نحارب. إذ أسلحة مُحاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون. هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح."

أول شيء تحتاج إلى معرفته هو أنَّ معركة الذهن لا يُمكن دخولها بالبراعة أو الإمكانيات البشرية. لا يُمكنك من ذاتك التفوق عضلياً أو ذهنياً على الجسد أو إبليس، يجب أنْ تكون أسلحتك "قادرة بالله" إذا أردت الانتصار في الصراعات الروحية.

الأهداف الأولى التي يجب تدميرها هي "الحصون" التي في الذهن. الحصون هي طريقة التفكير السلبية التي تدور في أذهاننا سواء بسبب التكرار الزمني أو بسبب اختبار صدمة لمرة واحدة. كيف تم بناء هذه الحصون المُدمِّرة في أذهاننا؟ غالباً ما تكون نتيجة خطوات مُحكمة قد صُمِّمت بدهاء لتقودنا بعيداً عن خطة الله لنا وتوقعنا في أوحال "الخطة ب".

التأثيرات البيئة

لقد صُمِّمت لتحيا في علاقة مع الله وتُتمّم مقاصده، لكنَّك ولدت حيّ جسدياً لكنْ ميت روحياً في عالم عدواني (أفسس ٢:١،٢). قبل أنْ تأتي للمسيح، كان هذا الوسط هو الذي يؤثر في تشكيل ذهنك وسلوكك. كنت تعيش كل يوم في هذا الوسط، وتأثرت به، وكان يتم برمجتك لتتكيف معه وتخضع له.

لقد تعرَّضت لنوعين من المؤثرات العالمية، نوع قصير المدى، وآخر مُمتد وعميق التأثير. المؤثرات القصيرة المدى تتضمن الأحداث الفردية، والمواقف، والأماكن والمُقابلات الشخصية التي تعرضت لها. لقد تأثرت بالكتب التي قرأتها، والأفلام التي شاهدتها، والموسيقى التي سمعتها والأحداث المُصدمة التي اختبرتها أو شاهدتها، كحوادث السيارات أو موت أحد أفراد العائلة. لقد تعلّمت طريقة ـ التي ربما كانت طريقة الله، وربما لم تكن ـ للتعايش مع هذه الاختبارات ولحل الصراعات الناتجة عنها.

المؤثرات المُمتدة والعميقة هي التعرض الطويل المدى لبيئتك، مثل تأثير عائلتك، وأصدقائك، وجيرانك، مُعلميك ومهنتك. قد تكون نشأت مُنفصلاً عن الله وتربّيت في عائلة غير مؤمنة، فاعتنقت فلسفة تُعينك على الصراع من أجل

البقاء، والتكيف والنجاح في هذا العالم بعيداً عن الله.

عندما أصبحت مسيحياً مؤمناً غُفرت خطاياك، لكنَّ استعدادك للتفكير والسلوك بطريقة مُعيّنة، الذي أكتسبته من خلال عملية التكيف مع الوسط الذي عشت فيه، مازال مُتأصلاً في جسدك. في الحقيقة لقد أصبحت مؤمناً مولوداً من الله لكنَّك تستطيع أنْ تحيا بنفس طريقة الحياة التي كنت تحيا بها عندما كنت مُنفصلاً عن الله. لهذا يؤكد بولس على ضرورة أنْ نتغيّر عن شكلنا عن طريق تجديد أذهاننا (رومية ١٢:٢).

التجربة

عندما تجد نفسك مدفوعاً للسلوك بحسب "الخطة ب" بدلاً من خطة الله "أ" لحياتك، فأنت تتعرض للتجربة. هدف كل تجربة هو دفعك للحياة مُستقلاً عن الله وأنْ تُسدد احتياجاتك المشروعة عن طريق العالم أو الجسد أو الشيطان بدلاً من المسيح. إنَّه صراع عظيم، وإبليس يعرف أين يضغط ليُجربك بالاستقلال عن المسيح. لقد لاحظ سلوكك على مدى السنين ويعرف أين هي نقاط ضعفك، وإلى هناك يوجه هجماته. ما تتعرض له من تجارب سيكون فريداً لأنَّه صُمم ليتناسب مع نقاط ضعفك.

التفكير والاختيار

في اللحظة التي تتعرض فيها للتجربة بتسديد احتياجاتك من العالم بدلاً من المسيح، فإنَّك تكون على وَشْك اتخاذ قرار. إنْ لم تختر مُباشرة أنْ "تستأسر كل فكر إلى طاعة المسيح" (٢كورنثوس ١٠:٥) فستبدأ بالنظر إلى التجربة على إنَّها اختيار مُحتمل أنْ تأخذه. وعندما تبدأ الفكرة في الدوران في رأسك، على الفور تبدأ مشاعرك في التأثر ويزداد احتمال سقوطك في التجربة.

لقد قرأت قصة مُصوّرة خفيفة الظل توضح النتائج الخطيرة عندما تنظر للتجربة كاختيار من المحتمل اتخاذه بدلاً من الرفض الفوري والقاطع لها. بطلة

القصة «كاتي» تُصارع في التزامها «بالرجيم». لاحظ كيف تحملها أفكارها غير المنضبطة التي تظهر في كل مشهد من القصة، كقطار سريع:

المشهد ١: سأذهب للنزهة، لكنْ لن أمر بجوار «السوبر ماركت».

المشهد ٢: سأمر بجوار «السوبر ماركت»، لكنْ لن أدخله.

المشهد ٣: سأدخل «السوبر ماركت»، لكنْ لن أتوجه حيث تُعرض حلوياتي المُفضلة.

المشهد ٤: سأنظر للحلوى، لكنْ لن ألمسها.

المشهد ٥: سألمسها، لكنْ لن أشتريها.

المشهد ٦: سأشتريها، لكنْ لن أفتحها.

المشهد ٧: أفتحها، لكنْ لن أشمها.

المشهد ٨: أشمها، لكنْ لن أذوقها.

المشهد ٩: أذوقها، لكنْ لا آكلها.

المشهد ١٠: آكل، آكل، آكل، آكل!

الكتاب المُقدّس يُعلّمنا أنَّ الله قد أوجد لنا طريقاً للهروب من كل تجربة (١كورنثوس ١٠:١٣). كما توضح القصة السابقة أنَّ طريق الهروب هو في المشهد الأول من القصة، تماماً على العتبة. في الواقع لقد خسرت «كاتي» المعركة حين قررت الذهاب في نزهة. إنْ لم تضبط التجربة في المشهد الأول فأنت تأخذ مُخاطرة احتمال سيطرتها عليك. قليلون هم المسيحيون الذين يستطيعون تغيير اتجاههم بعد أنْ يكونوا قد وجّهوا إرادتهم نحو "الخطة ب".

مثلاً، رجل يرى صورة إباحية ويُجَرَّب بالشهوة. لديه فرصة أنْ يكون رد فعله قول كهذا: "علاقتي بالخَطِيَّة قد انتهت. لست مُجبراً على الاستمرار في هذا. أختار الآن أنْ أستأسر هذا الفكر لطاعة المسيح. أنا لن أنظر إليها ولن أفكر فيها." ويفصل نفسه في الحال عن الصورة ويهرب من الشهوة.

لكنْ إنْ تردد على العتبة، وبدأ ينظر إلى الصورة وترك مجالاً للأفكار في

خياله، فإنَّه يُشعل مشاعر تقود لرد فعل في جسده من الصعب إيقافه. يجب عليه أنْ يوقف التجربة في المشهد الأول وإلاّ استحوذت عليه التجربة.

المُمارسة والعادة والحصن

عندما يُشعل التفكير في التجربة رد فعل من المشاعر التي تقودك "للخطة ب"، فستجد نفسك مدفوعاً للتحرك بناء على هذا الاختيار وما يترتب عليه من سلوكيات. قد تندم على أفعالك أو تدّعي أنَّك غير مسؤول عمّا تفعل. لكنَّك مسئول عن أفعالك في هذه المرحلة، لأنَّك فشلت في أنْ تستأسر فكر التجربة عند أول ظهور له على عتبة ذهنك.

يُخبرنا الدارسون للسلوك الإنساني أنَّه عند تكرار مُمارستك لفعل ما لمدة ٦ أسابيع، فإنَّك تكتسب عادة فعله. وإذا داومت علي مُمارسة هذه العادة لمدة أطول فستتحول إلى حصن. بمُجرد تأسيس هذا الحصن من الأفكار وردود الأفعال في ذهنك، فإنَّك عملياً تفقد قدرتك على الاختيار والتصرف بطريقة مُعاكسة لاتجاه التجربة.

إنَّ حصون الذهن مثل المؤثرات البيئية، يُمكن أنْ تكون نتيجة لأمر قصير المدى أو لآخر مُمتد وعميق. مثلاً، امرأة تُصاب بالاكتئاب عند سماعها صوت صفارة الإنذار، السبب أنَّها قد تعرضت للاغتصاب منذ ٢٠ عاماً وصَاحَبَ الحادث صوت صفارة إنذار آتٍ من بعيد. لمدة شهور بعد الحادث كان صوت صفارة الإنذار يُفجّر فيها مشاعر الصدمة. بدلاً من حل الصراع، بدأت تعيش مُكرّرة المأساة في ذهنها، مُعمّقة جراحها العاطفية وأصبحت أسيرة لسلسلة من الأفكار لا تستطيع كسرها. لقد تَكَوّن حصن في ذهنها.

النوع الآخر من الحصون يَتَكَوّن نتيجة لطريقة تفكير طويلة المدى وعميقة. لنتصور مثلاً، ثلاثة أولاد ـ في عمر ١٨و١٣و٩ ـ والدهم أصبح سكيراً. في كل ليلة يعود الأب مخموراً وثائراً، يتمكن الابن الأكبر من الدفاع عن نفسه قائلاً لأبيه: "لو مددت يدك عليَّ سأرد عليك بالمثل".

الابن الأوسط لا يستطيع الدفاع جسدياً عن نفسه لذا يأخذ دور المُساعد في محاولة لتخفيف ثورة الأب، فيستقبله مُحيياً: "مرحباً أبي. كيف حالك؟ هل تُريد أنْ احضر أي شيء؟ هل تُريد أنْ أتصل لك بأي شخص؟"

الابن الأصغر يشعر بالفزع من أبيه، لذلك عندما يرجع الأب للمنزل، يختفي الولد عن الأنظار ويختبئ في الخزانة أو تحت السرير. يبقى بعيداً عن والده تفاديا للصراع.

كلما أستمر الأولاد الثلاثة في رد فعلهم الدفاعي تجاه والدهم العدواني السكير، فإنَّهم يكتسبون اتجاهات سلوكية. بعد مرور عشر سنوات عندما يواجه هؤلاء الرجال الثلاثة سلوكاً عدوانياً، كيف تظنوهم سيسلكون؟ الأكبر سيقاتل، الأوسط سيحاول تهدئة الأمر والأصغر سيهرب. هذه هي الطريقة التي تعلّمها كل منهم لمواجهة السلوك العدواني. طرقهم في التفكير وردود الفعل قد تحوّلت إلى حصون راسخة في أذهانهم.

الشراسة حصن. "الخطة أ" المُعطاة من الله تُنمّي فيك طبع محبة عدوك، والصلاة من أجله وتحويل الخد الآخر له. إذا كنت لا تستطيع التوقف عن أنْ تكون عدوانياً حيال موقف يُهددك، فذلك لأنَّك قد تعلمت التكيّف مع الموقف بهذه الطريقة ورد فعل "خطتك ب" قد أصبح حصناً راسخاً.

الشعور بصغر النفس حصن. "الخطة أ" تقول أنَّك ابن لله، وأنَّك قدّيس لا تقل عن أي شخص آخر. إذا كنت تنسحب من العلاقة مع الناس بسبب مشاعر صغر النفس، هذا لأنَّ العالم، والجسد والشيطان قد حفروا على مر السنين"الخطة ب" في ذهنك.

التلاعب حصن. هل تشعر أنَّه يجب عليك السيطرة على الأشخاص والظروف الموجودين في حياتك؟ هل يستحيل عليك تسليم مشاكلك لله وعدم القلق من نحوها؟ هذا لأنَّك قد اكتسبت في الماضي طريقة للسيطرة على أمورك وهي الآن تسود عليك. إنَّها حصن.

الشذوذ الجنسي حصن. في فكر الله لا يوجد شخص شاذ جنسياً. لقد خلقنا ذكراً وأنثى. لكنْ يوجد سلوك شاذ جنسياً، غالباً ما يُمكن إرجاعه لاختبار جنسي سلبي في الماضي إنْ كان بالمُشاهدة أو المُمارسة. هذه الاختبارات تدفع الأشخاص للشك في أنفسهم من الناحية الجنسية ويبدؤوا في تصديق كذبة عن هُويَّتهم الجنسية.

فقدان الشهية والشره المرضيان هما حصنان. هذه امرأة وزنها ٤٥ كيلوجراماً تقف أمام المرآة مُعتقدة أنَّها سمينة. هل سبق ورأيت خداعاً أكثر من هذا؟ إنَّها ضحية أفكار سلبية عن نفسها تتحكم في كل نشاطاتها المُرتبطة بجسدها أو بنوع الطعام الذي تتناوله.

أي رد فعل يُمكن توقعه بسهولة، ويقوم بتوجيه تفكيرك وسلوكك في الاتجاه السلبي نحو "الخطة ب" هو حصن في ذهنك. أي أفكار أو سلوكيات سلبية لا يُمكنك السيطرة عليها هي نابعة من حصن في داخلك. في مرحلة ما في الماضي قمت بوعي أو بدون وعي بتكوين نمط فكري أو سلوكي مُعيّن وهو الآن يُسيطر عليك. لا تظن أنَّ حمل سلاح الله الكامل الآن سيخرجك ببساطة من هذا المأزق، فهذه الحصون قد تم تأسيسها وتحصينها.

تحتاج إلى استراتيجية لتربح المعركة من أجل ذهنك

إنْ كانت الحصون التي في ذهنك نتيجة لتكيّفك مع بيئتك، إذاً يُمكنك إعادة التكيّف بتجديد ذهنك. أي شيء تعلمته في الماضي، الآن يُمكنك تركه وإزالة عادة فعله من حياتك. العهد الجديد يرسم لنا الطريق الرئيسي لتجديد الذهن، وهو الاستماع إلى الوعظ بكلمة الله، ودراسة الكتاب المُقدّس والتلمذة الشخصية، كل هذه تحميك من أن يصوغك العالم في قالبه الفكري والسلوكي ويُمكّنك من اختبار التغيير عن طريق تجديد الذهن (رومية ١٢:٢).

إذا كانت اختبارات الماضي مُدمّرة لك روحياً ونفسياً، فإنَّ جلسات المشورة ومجموعات الشفاء الداخلي ستُفيدك. لكنْ بما أنَّ الكثير من الحصون

هي أفكار قد ارتفعت ضد معرفة الله (٢كورنثوس١٠:٥)، فإنَّ نقطة البداية هي معرفتك لله كأب مُحب، ولنفسك كابن مقبول منه.

لكنْ ما يدور في ذهنك يتعدى كونه الأفكار الناتجة عن آثار تكيفك السلبي مع الماضي. أنت لا تقف في مواجهة العالم والجسد فقط، لكنْ أيضاً في مواجهة الشيطان الذي يجتهد ليملأ ذهنك بأفكار تتعارض مع خطط الله من أجلك.

لاحظ كيف يستخدم بولس كلمة "فكر أو ذهن"[*neoma* باليونانية] في ٢كورنثوس مُرتبطة بنشاطات إبليس. لقد رأينا سابقاً في ٢كورنثوس١٠:٥ : "... ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح". لماذا يجب علينا أنْ نستأسر هذه الأفكار؟ لأنَّها أفكار إبليس.

في ٢ كورنثوس ٣:١٤ و٤:٣،٤، يوضح بولس أنَّ إبليس مسؤول عن تحجرنا وعمنا الروحيين قبل الإيمان: "بل أغلظت أذهانهم [*neoma*]... إله هذا الدهر قد أعمى أذهان [*neoma*] غير المؤمنين ... ". وفي ٢ كورنثوس ١١:٣ و٢:١٠،١١ يقول بولس أنَّ إبليس يخطط بنشاط ليهزم ويفرق المؤمنين: "ولكنني أخاف أنَّه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تفسد أذهانكم [*neoma*] عن البساطة التي في المسيح ... لأنَّنا لا نجهل أفكاره [*neoma*]".

إنْ استطاع إبليس أنْ يضع فكرة في ذهنك
وهو قادر على هذا، فليس من العسير عليه
أنْ يوهمك أنَّها فكرتك أنت.

استراتيجية إبليس هي أنْ يُقحم أفكاره وتصوراته في ذهنك ويخدعك بالاعتقاد بأنَّها أفكارك أنت. لقد حدث هذا مع الملك داود، "ووقف الشيطان ... أغوى داود ليحصي إسرائيل" (١أخبار الأيام ٢١:١)، العمل الذي حرّمه الله،

لكنَّ داود تحرك بناءً على فكرة من الشيطان. هل دخل إبليس على داود يوماً ما قائلاً: "أريدك أنْ تُحصي إسرائيل"؟ أشك في ذلك. كان داود رجلاً صالحاً وما كان ليُطيع الشيطان. لكنْ ماذا لو دَسَّ الشيطان هذه الفكرة في ذهن داود مُستخدماً ضمير المُتكلم المفرد؟ ماذا لو أتت الفكرة لداود هكذا: "أريد أنْ أعرف ما هو عدد جيشي، أظن أنّي سأحصي القوات"؟

إنْ استطاع إبليس أنْ يضع فكرة في ذهنك ـ وهو قادر على هذا، فليس من العسير عليه أنْ يوهمك أنَّها فكرتك أنت. لو عرفت أنَّها فكرة إبليس، كنت رفضتها، أليس كذلك؟ لكنْ عندما يُخفي اقتراحاته كأنَّها أفكارك، فالاحتمال كبير بأنْ تقبلها. هذا هو خداعه الأول.

لا أعتقد أنَّ يهوذا قد فهم أنَّ تسليمه ليسوع كان فكرة إبليس (يوحنا ٢:١٣). ربما أتته الفكرة كطريقة يُرغم بها يسوع على تَخليص إسرائيل من الرومان. قد يكون حنانيا وسفيرة اعتقدا أنَّ فكرة إبقاء بعض المال من تقدمتهما والحصول على انتباه ومديح الآخرين الذين اعتقدوا أنَّهما قدما كل شيء نابعة منهما. على الأرجح لو علما أنَّها فكرة الشيطان لكانا رفضاها (أعمال ٥:١-٣).

أحد طلاب كلية اللاهوت أحضر لي «تينا» بغرض المشورة. كانت «تينا» تُعاني من مشاكل عاطفية صعبة كنتيجة لخلفيتها الرهيبة. لقد حضرت في سن الطفولة والمُراهقة طقوساً شيطانية تُقدّم فيها الذبائح الدموية وتُغتصب فيها الضحايا، كما تعرضت بشكل مُتكرر للاعتداء الجنسي من والدها، وأخوها وصديق والدها. لقد شاهدت كلبها الصغير وهو يُحرق حياً كذبيحة في العبادة الشيطانية.

كانت طريقتها في الهروب من خلفيتها هو الدخول في مجال السيكولوجي. لقد أنهت دراسة الماجستير وحاولت التقدم لدرجة الدكتوراه، لكنَّ حياتها كانت مُحطّمة.

تكلمت مع «تينا» عن الرب يسوع وعن قدرته على تحريرها إذا فتحت حياتها له. وسألتها في النهاية: "هل تُحبين أنْ تتخذي قراراً باتباع المسيح؟"

هزّت رأسها قائلة: "سأفعل ذلك لاحقاً."

بسبب علمي بقصتها، شككت بما قد يكون دائراً في رأسها. "«تينا» هل تسمعين أفكاراً في رأسك تقول لكِ، «إذا فعلتِ هذا سنقتلكِ»؟"

"نعم"، أجابت «تينا» وقد شحبت من الصدمة والتعجب.

"إنَّ ما تسمعينه في ذهنكِ كذب، وإبليس أبو الكذب." شاركت معها كلمة الله أكثر، في خلال عشر دقائق كانت قد سلّمت حياتها للمسيح.

عندما يتمكن إبليس من دفعك لتصديق كذبة ما، يصبح قادراً على التحكم في حياتك. إذا فشلت في أنْ تستأسر فكرة ما إلى طاعة المسيح، وصدقتها، فسيتحكم إبليس في حياتك.

افضح الكذب وستربح المعركة

قوة إبليس هي الكذب. قال يسوع: "...إبليس...لم يثبت في الحق لأنَّه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب فإنَّما يتكلم مما له لأنَّه كذاب وأبو الكذاب" (يوحنا٨:٤٤). ليس لإبليس سلطاناً عليك إلا ما تمنحه أنت له بسبب فشلك في أنْ تستأسر كل فكر إلى طاعة المسيح وبذلك تُخدع بتصديق كذبه.

ما هو مقدار الخداع الذي يتعرض له المسيحيين اليوم، يُمكنني فقط التخمين. في خدمتي أواجه هذا الخداع تقريباً في كل جلسة مشورة. الكثير من المسيحيين الذين أتحدث إليهم يسمعون بوضوح أصواتاً في أذهانهم، لكنَّهم لا يخبرون أي شخص بهذا خوفاً من أنْ يظن أنَّهم يعانون من مرض عقلي. معظم المسيحيين الذين أقابلهم يعانون من مشكلات في أذهانهم تؤثر سلبياً على أوقات خلوتهم وتأملهم الشخصي. قليلون هم الذين يلاحظون أنَّ هذا التشتيت في الفكر هو انعكاس الحرب الدائرة للسيطرة على ذهنهم، بالرغم من تحذير بولس لنا: "ولكنَّ الروح يقول صريحاً أنَّه في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن

الإيمان تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين" (١تيموثاوس ٤:١).

بما أنَّ الكذب هو سلاح إبليس الرئيسي، فإنَّ دفاعك ضده هو التمسك بالحق. الصراع مع إبليس ليس صدام بين قوتين، لكنَّه مواجهة بين الحق والكذب. تنكسر قوة إبليس عندما تَفضَح كذبه في ضوء الحق الإلهي. لذلك قال يسوع: "وتعرفون الحق والحق يحرركم" (يوحنا ٣٢:٨). ولهذا صلّى: "لست اسأل أنْ تأخذهم من العالم بل أنْ تحفظهم من الشرير... قدّسهم في حقك. كلامك هو حق" (يوحنا ١٥:١٧، ١٧). لذلك أول قطعة يذكرها بولس من سلاح الله الكامل للثبات ضد مكايد إبليس، هي منطقة الحق (أفسس ١٤:٦). ينهزم كذب إبليس أمام الحق كما ينهزم الظلام أمام نور الشمس المُشرقة.

ما هو دورك في هذه الحرب؟ أولاً، يجب عليك أنْ تتغيّر بتجديد ذهنك (رومية ٢:١٢). كيف تُجدد ذهنك؟ بأنْ تملأه من كلمة الله. لكي تربح معركة الذهن عليك أنْ تدع سلام الله يملُك في قلبك، وتَسكن فيك كلمة المسيح بغنى (كولوسي ١٥:٣، ١٦). كلما ملئت ذهنك بالحق الإلهي، كلّما صرت مؤهلاً لتمييز كذب العدو وتمكّنت من أسره.

ثانياً، يُوجّهنا بطرس لأنْ نُعدّ أذهاننا للعمل (١بطرس ١٣:١). اترك التخيلات الغير مُثمرة. من الخطر أنْ تتخيل نفسك تفعل أشياءً دون أنْ تفعل أي شيء في الواقع، لأنَّك ستفقد تلامسك مع الواقع. لكنْ إذا تخيّلت نفسك تُطيع الحق، فستدفع نفسك في اتجاه الحياة المُثمرة ـ طالما تُحقّق ما تخيّلته.

ثالثاً، *استأسر كل فكر إلى طاعة المسيح* (٢كورنثوس ٥:١٠). مارسْ حسم الموقف من على العتبة، إنهِ الفكر في المشهد الأول. قيّم كل فكر بمقارنته بالحق ولا تعطِ أي مكان للكذب.

رابعاً، التفت إلى الله. عندما تبدأ أفكار من العالم، أو الجسد أو الشيطان تدفعك نحو "الخطة ب" في تحدٍّ "للخطة أ"، تعال بهذه الأفكار للرب في الصلاة (فيلبي ٦:٤). عندما تفعل هذا فإنَّك تعترف بسلطان الله عليك وتكشف

أفكارك بنور حـقـه. ولن تكون ذو رأيين "وسـلام الله ... يحـفظ قلبك وفكرك [*neoma*] في المسيح يسوع" (فيلبي ٤:٧).

الاختبـار التالي مثال لما يُمكن أنْ يحدث للمؤمن عندما يهدم حصون الذهن بقوة الحق الإلهي.

«جيني» شابة جميلة وموهوبة في منتصف العشرينات. مؤمنة نشطة منذ ١٣ عاماً، وتُرنم مع فريق ترنيم مُحترف، تؤلف الموسيقى وتقود التسبيح في كنيستها، كما تقود مجموعة تلمذة.

مؤخراً حضرت «جيني» إحدى مؤتمراتي، ما لم أكن أعلمه عندما رأيتها جالسة مبتسمة في مقعدها، أنَّها تعاني من الشره المرضي "البوليميا"، لقد كانت مُقَيّدة بحصن الأكل والخوف لمدة ١١ عاماً. عندما تكون وحدها في المنزل لساعات كان يستحوذ عليها خداع إبليس عن الطعام، وعن مظهرها وعن قيمتها الذاتية. كانت تخاف جداً، عندما كان يضطر زوجها للمبيت خارج المنزل، كانت تنام على الكنبة والأضواء جميعها مُضاءة. كانت قد خضعت للمشورة لكنْ دون جدوى. كل ذلك الوقت كانت تعتقد أنَّ الأفكار التي تدفعها للقيء الإرادي هي أفكارها الخاصة الناتجة عن صدمة في طفولتها.

عندما كنت أتكلم في المؤتمر عن هدم الحصون، تصادف أنَّي كنت أنظر إليها ـ دون قصد بكل تأكيد ـ عندما قلت: "كل الأشخاص الذين عرفتهم وكانوا يعانون من خلل في النظام الغذائي، كانوا ضحية لحصن مؤسس على كذب إبليس."

"لا تعرف كم أثَّرت هذه الجملة على حياتي" أخبرتني في اليوم التالي، "كنت أصارع نفسي كل هذه السنين، وفجأة عرفت أنَّ عدوي ليس أنا بل إبليس. لقد كانت هذه أعمق حقيقة سمعتها. كأنَّي كنت عمياء لمدة ١١ عاماً ثم فجأة أبصرت. لقد بكيت طوال طريقي إلى المنزل. عندما عادت الأفكار القديمة

ليلة أمس رفضتها ببساطة وتمسكت بالحق. لأول مرة منذ ١١ عاماً أستطيع النوم دون أنْ أتقيأ."

بعدها بأسبوعين أرسلت لي «جيني» هذا الخطاب:

عزيزي د. «أندرسون»
لا أستطيع أنْ أخبرك كل الأمور الرائعة التي فعلها الرب معي من خلال الحق الذي شاركته في مؤتمرك. لقد اختلفت علاقتي بالرب. الآن وقد عرفت عدُوِّي وانتصاري عليه في المسيح، أصبح امتناني حقيقي لمخلِّصنا القوي والرحيم. لا أستطيع سماع الترانيم دون أنْ أبكي. لا أستطيع أنْ أقود الآخرين في التسبيح دون أنْ أبكي من الفرح. لقد حررني الحق في مسيري مع المسيح. الآن الآيات تقفز من الصفحات، لم تعد غامضة بالنسبة لي كما كانت. أستطيع أنْ أنام ليلاً دون خوف، حتى عندما لا يكون زوجي في المنزل. أستطيع أنْ أبقى في المنزل في سلام حتى والمطبخ مليء بالطعام. عندما تأتي التجربة أو تظهر إحدى الأكاذيب في ذهني، أستطيع أنْ أطفئها سريعاً بالحق. لأول مرة في حياتي أشعر بخصوصية علاقتي بالرب. إنَّها ليست نتيجة لكلمات الراعي أو مُحاولة لتقليد شخص آخر، إنَّها علاقتي أنا. لقد بدأت أفهم قوة الروح القُدس، وإنِّي لا أساوي شيئاً بدون الصلاة. لا أشعر بالاكتفاء من الصلاة.

شكراً لتـقـديمك رسـالة مملوءة من قـوة الرب والحق.

المُخلصة في المسيح

«جيني»

إذا كنت تظن أنَّ اختبار حصول «جيني» على الحرية التي في المسيح هو اختبار فريد، أنت مُخطئ. الانتصار في معركة الذهن هو حق لكل مَنْ هو في المسيح.

١٠

يجب أنْ تكون صادقاً لكي تكون صالحاً

لقد قابلت «ديزي» مُباشرة بعد انتهائي من الخدمة في مؤتمر ومدرسة للخدام في كنيسة كبيرة جداً. كان عمرها ٢٦ عاماً، أنهت دراستها الجامعية ومُصرّح لها بالتدريس، لكنَّها كانت تشبه «الهيبز» في الستينات كانت حافية القدمين وترتدي «جينز» ممُزق، وتحمل كتاباً مُقدّساً بدا عليه كثرة الاستعمال.

كانت «ديزي» تحضر اجتماع دراسة الكتاب للسيدات في كنيستنا. وبسبب مشكلاتها الكثيرة طلبت المشورة عدة مرات من قائدة الاجتماع. التي شعرت بعدم كفاءتها لتقدم المشورة لها عندما علمت أنَّ «ديزي» قد دخلت مستشفى الأمراض النفسية عدة مرات خلال الخمس سنوات الماضية لمعاناتها من انْفصَام الشخصية والبرانويا. فسألتني إنْ كنت أحب رؤية «ديزي». وبالرغم من أنّي لم أتلقى أي تدريب رسمي في هذا المجال، إلاّ إنّي وافقت على مُقابلتها.

عندما أخبرتني «ديزي» بقصتها، كانت تجد صعوبة في تذكر تفاصيل السنوات الأخيرة من حياتها. حاولت إعطائها بعض الاختبارات النفسية البسيطة، لكنَّها لم تستطع التعامل معها. عندما أوشكنا على إنهاء المُقابلة كنت قد أصبحت يائساً لأنّي لم أستطع مُساعدتها.

قلت لها: "أريد أنْ أقابلك مرة ثانية، لكنْ حتى ذلك الحين أريدك أنْ تكوني تحت سلطان هذه الكنيسة."

بمُجرد أنْ قلت هذا قفزت «ديزي» مُسرعة ناحية الباب قائلة: "يجب أنْ أخرج من هنا".

بتلقائية قلت لها: "«ديزي» هل يسوع هو السيد على حياتك؟"

استدارت فجأة عند الباب وزمجرت مُكشّرة عن أسنانها: " أسأل أنت يسوع من هو السيد على حياتي؟" ثم خرجت مُسرعة.

تبعتها إلى البهو الخارجي وأنا مُستمر في سؤالها إذا ما كان يسوع هو السيد على حياتها. وفي كل مرة كانت تجيب بأنْ أسأل أنا يسوع من هو السيد على حياتها. أخيراً أمسكت بها وسألتها مُجدداً: "«ديزي» هل يسوع هو السيد على حياتك؟"

عندما تواجهنا هذه المرة كانت ملامحها قد تغيّرت بالكامل وأجابت "نعم".

"هل يُمكن أنْ نعود لمكتبي ونُناقش ما حدث؟" سألتها وأنا غير مُتأكد ممّا سأفعله بالتحديد.

أجابت: "بالتأكيد".

عندما عدنا إلى المكتب سألتها: "هل تعلمين أنَّ هناك معركة دائرة للسيطرة على ذهنك؟" أشارت "نعم". "هل تكلم أحد معك عن هذا الأمر من قبل؟"

قالت: "لم يتطرق أحد من جميع الذين تكلمت معهم لهذا الموضوع. فهم إما كانوا يجهلون ما يحدث في داخلي أو خائفين من مواجهته والتعامل معه."

"حسناً، سنتكلم عنه وسنتعامل معه" قلت مؤكداً لها. "هل أنتِ مُستعدة أنْ نقوم بهذا معاً؟" وافقت «ديزي».

ابتدأنا نتقابل أسبوعياً. لقد افترضت أنَّ مشاكلها كانت نتيجة لانحراف

الجانب الأخلاقي لكنّي لم أجد شيء يُذكر، ثم سألتها هل حدث واشتركت في مُمارسة السحر، لم تقرأ ولا حتى كتاب عن الموضوع. عندها ابتدأت أتساءل ما يُمكن أنْ يكون مصدر صراعها الروحي الواضح.

ثم في يوم بدأنا نتكلم عن عائلتها، وبدأت تصف والدها طبيب الأطفال المشهور الذي طلّق أمها وهرب مع مُمرضة. والدة «ديزي» وباقي أقاربها كانوا يُصرّحون بكراهيتهم للزوج الهارب وغضبهم منه علناً. لكنْ «ديزي» المؤمنة الوحيدة في العائلة فكرت في أنَّها يجب أنْ تكون شهادة جيدة، فقرّرت أنْ تكون الابنة المُحبة وتُحاول القيام بالمُصالحة. فبقيت صامتة في حين أنَّ عواطفها كانت تُمزقها في الداخل.

"لنتكلم عن والدك،" قلت مُقترحاً عليها.

"لن أتكلم عن والدي، إذا تكلمت عنه سأغادر المكان،" أجابت بطريقة قاطعة.

"لحظة واحدة يا «ديزي» إنْ لم تستطيعي أنْ تتكلمي عن والدك هنا، فأَيْنَ يُمكنك ذلك؟ إنْ لم تتعاملي مع هذه المشاعر هنا فأَيْنَ ستتعاملين معها؟"

لقد اكتشفت مقطعين من الكتاب المُقدّس ساعداني على تفهم مُشكلة «ديزي» التي تُفسد حياتها. الأول هو أفسس٤:٢٦،٢٧ "اغضبوا ولا تخطئوا. لا تغرب الشمس على غيظكم ولا تعطوا إبليس مكاناً." فغضب «ديزي» المُتراكم تجاه والدها لم تُصرّح به أبداً من قبل. ولأنَّها كبتت غضبها بدلاً من أنْ تتعامل معه فقد أعطت لإبليس مكاناً في حياتها.

المقطع الثاني هو ١بطرس٥:٧،٨ : "مُلقين كل همكم عليه [الله] لأنَّه هو يعتني بكم اصحوا واسهروا لانَّ إبليس خصمكم كأسد زائر يجول مُلتمساً من يبتلعه هو." فبدلاً من أنْ تلقي الهموم الآتية عليها بسبب والدها على الرب حاولت «ديزي» أنْ تُظهر الروحانية بإخفاء تلك الهموم. ولأنَّها لم تُسلّم صراعها الداخلي للرب فقد أصبحت فريسة سهلة لإبليس.

بدأت «ديزي» تواجه مشاعرها المكبوتة تجاه والدها وتتحرك في اتجاه الغفران له، الأمر الذي كان محور مشكلتها. في خلال شهور قليلة تقدّمت هذه الشابة التي كان الأطباء النفسانيين قد فقدوا الأمل منها، تقدُماً ملحوظاً وأصبحت جزء من فريق خدمة الأطفال في كنيستنا.

مشاعرك تكشف عن اتجاهاتك الفكرية

إنَّ مشاعرك تلعب دوراً هاماً في عملية تجديد ذهنك. بشكل عام مشاعرك هي نتيجة لأفكارك. إنْ كنت تُفكر بطريقة خاطئة، أي إذا لم يكن ذهنك قد تجدد ولا ترى الله وكلمته بالطريقة الصحيحة، فسيظهر ذلك في مشاعرك. وإذا فشلت في الاعتراف بهذه المشاعر فستصبح هدفاً سهلاً للشيطان كما كانت «ديزي».

واحدة من أفضل الصور الكتابية عن علاقة الاتجاهات الفكرية والمشاعر موجودة في سفر مراثي إرميا ٣، لاحظ أنَّ تعبير إرميا عن اليأس ناتج عن رؤيته الخاطئة بأنَّ الله ضده وأنَّه سبب مشكلاته المادية: "أنا هو الرجل الذي رأى مُذلة بقضيب سخطه. قادني وسيرني في الظلام ولا نور. حقا أنّه يعود ويرد عليّ يده اليوم كله. أبلى لحمي وجلدي. كسر عظامي. بنى عليَّ أحاطني بعلقم ومشقة. أسكنني في ظلمات كموتى القدم" (الآيات ١-٦).

استمع لمشاعره من الخوف وقلة الحيلة: "سيج عليَّ فلا أستطيع الخروج. ثقل سلسلتي. أيضاً حين اصرخ واستغيث يصدّ صلاتي. سيج طرقي بحجارة منحوتة. قلب سبلي. هو لي دب كامن أسد في مخابئ... ميّل طرقي ومزقني. جعلني خرابا.... وقلت، بادت ثقتي ورجائي من الرب" (الآيات ٧-١١،١٨).

لو كان رجاءك في الله، وهذه الكلمات هي الوصف الصادق لله، فبالتأكيد ستشعر أنت أيضاً بالاكتئاب والوحدة. ماذا كانت مشكلة إرميا؟ كانت رؤيته لله غير صحيحة. لم يكن الله هو سبب متاعبه. الله لم يدفعه للسلوك في الظلام. الله ليس وحشاً برياً يختبئ ليبتلع الناس. لكنَّ إرميا لم يكن يُفكر بطريقة صحيحة، لم يكن يرى أو يُحلّل ظروفه بطريقة صحيحة، لذلك لم يكن

يشعر بمشاعر جيدة أو يتخذ ردود فعل صحيحة.

لكنَّ المدهش أنَّ إرميا بدأ يُغني على نغمة أخرى: "ذكر مذلتي وتيهاني أفسنتين وعلقم. ذِكراً تذكر نفسي وتنحني فيَّ. أردد هذا في قلبي. من أجل ذلك أرجو. إنَّه من إحسانات الرب أنَّنا لم نفن. لأنَّ مراحمه لا تزول. هي جديدة في كل صباح. كثيرة أمانتك... نصيبي هو الرب قالت نفسي. من أجل ذلك أرجوه" (الآيات ١٩-٢٤).

ياله من تحول عظيم! هل تغيَّر الله؟ هل تغيَّرت ظروف إرميا؟ لا. لكنَّ رؤيته لله تغيَّرت وبالتالي تغيرت مشاعره.

ليست الظروف هي ما يُشكِّل حياتك، بقدر ما تشكلها رؤيتك لظروفك. أحداث الحياة لا تُقرر مَنْ أنت، لكنَّ الله هو الذي يُقرِّر هُويّتك، كما أنَّ تفسيرك لأحداث الحياة يؤثِّر على مهارتك في مواجهة ضغوطات الحياة. نحن دائماً مُجرّبون بأنْ نقول: "لقد أغضبني كثيراً!" أو "لم أكن مكتئباً إلى أنْ رأيته!" ذلك كأنْ تقول: "ليس لي أي تحكم في مشاعري أو إرادتي." في الحقيقة نحن نتمتع بقدر قليل من التحكم في مشاعرنا، لكنْ لنا سيطرة كاملة على أفكارنا، وأفكارنا تُحدد مشاعرنا وردود أفعالنا. لذلك من المهم جداً أنْ تملأ ذهنك بمعرفة الله وكلمته. أنت تحتاج أنْ ترى الحياة من وجهة نظر الله وتتفاعل معها بناء على ذلك.

إنْ كان ما تؤمن به لا يعكس الحق إذاً ما تشعر به لا يعكس الحقيقة. القول لشخص ما أنَّه لا يجب عليه أنْ يشعر بالطريقة التي يشعر بها، هو نوعاً من الرفض الخفي لهذا الشخص. فالإنسان يستطيع أنْ يفعل القليل حيال ما يشعر به، لكنَّ المشكلة الحقيقية هي أنَّ لديه اتجاه فكري خاطئ عن ظروفه الأمر الذي يولِّد في مشاعره هذه الأحاسيس.

مثلاً، لنفرض أنَّ حلمك بامتلاك المنزل الذي تسكن فيه في يد جهة عقارية تدرس طلبك بمنحك قرض لهذا الغرض. كل أصدقائك يصلّون من أجلك لكي

تحصل على القرض. لكنَّك تعود يوماً لتجد رسالة تنتظرك على ماكينة تسجيل الرسائل على الهاتف، محتواها أنَّك لن تحصل على القرض لعدم تطابق الشروط. في لحظات أَيْنَ ستكون عاطفيا؟ في القاع بالتأكيد.

الآن نفترض أنَّك تستعد لإخبار زوجتك بأنَّ حلم امتلاك المنزل مازال حلماً. ثم تستمع إلى الرسالة التالية والتي تُخبرك أنَّ الرسالة الأولى كانت خطأ وأنَّ حالتك مُطابقة للشروط! الآن أَيْنَ أنت عاطفياً؟ في القمة! ما اعتقدته في أول الأمر لم يكن يعكس الحق لذلك ما شعرت به لم يكن يعكس الحقيقة.

تصوّر لو مرّ عليك الشخص الذي ترك لك الرسالتين ليُهنئك قبل استماعك لرسالته الثانية على الماكينة. هو يتوقع أنَّ تكون في قمة السعادة، لكنْ بدلاً من ذلك يجدك مُكتئباً. "لما أنت مُكتئب؟ كان يجب أنْ تفرح." سيكون تشجيعه لك بلا معنى إلى أنْ يُخبرك الحقيقة عن القرض.

الترتيب في الكتاب المُقدّس هو أنْ تعرف الحق أولاً وتؤمن به ثم تسلك بحسبه وتترك مشاعرك لتكون نتيجة لطاعتك للحق. هذا ما كان الله يُحاول أنْ يقوله لقايين في تكوين٤:٥-٧، عندما تُصدّق مشاعرك بدلاً من أنْ تُصدّق الحق، كيف سيكون سلوكك؟ سيكون متناقضاً بنفس القدر الذي تتضارب به مشاعرك. لكنْ عندما تُصدّق الحق وتسلك به، فإنَّ مشاعرك ستعكس الحقيقة. قال يسوع: "إنْ علمتم هذا فطوباكم إنْ عملتموه" (يوحنا ١٣:١٧). المعرفة والعمل يأتيان أولاً.

إنَّ مشاعرنا أكثر من مُجرد شيء يتعقبنا لكنَّها تلعب دوراً هاماً في حياتنا اليومية.

لا تهمل الإشارات المُحذّرة التي تصدرها مشاعرك

لقد كنت أمارس الرياضة عندما كنت شاباً وآثار الجراح على ركبتي تُثبت ذلك. أول مرة خضعت فيها لعملية في ركبتي كانت بسبب قطع في العصب بقيت لعدة شهور بدون أي إحساس بما يُحيط بساقي. أحياناً كنت أجلس لمُشاهدة

التليفزيون ودون أنْ أشعر أضع كوباً من القهوة الساخنة على ركبتي. لم أكن أستطيع الشعور بأي شيء لكنْ لم يكن يمضي وقتاً طويلاً حتى أشم رائحة جلدي وهو يحترق! لفترة كان عندي دائرة بنية صغيرة على ركبتي، كنتيجة لعدم قدرتي على الشعور بأي شيء في تلك المنطقة.

إنَّ مشاعرك هامة في عملها بالنسبة لنفسك تماماً مثلما يعمل إحساسك الجسدي بالنسبة لجسمك. لا يوجد شخص عاقل يتمتع بالآلام الجسدية لكنَّك إنْ لم تشعر بالألم فأنت في خطر من الإصابات أو العدوى الخطيرة. أيضاً إنْ لم تشعر بالغضب، وبالحزن وبالفرح، الخ، فنفسك ستتعرض للمخاطر. المشاعر هي المؤشّر الذي وضعه الله ليعرّفك أنَّ هناك شيئاً يحدث في داخلك. هي ليست جيدة وليست شريرة، فهي مُحايدة من الناحية الأدبية، هي جزء طبيعي من تكوينك البشري. تماماً مثلما تستجيب للتحذيرات التي يُمثلها الألم الجسدي، يجب عليك أنْ تتعلم كيف تستجيب للمؤشرات النفسية.

شبّه أحدهم المشاعر بالضوء الأحمر في السيارة الذي يخبرك أنَّ هناك خلل في المحرك. توجد طرق كثيرة يُمكنك أنْ تستجب بها لتحذير ذلك الضوء الأحمر. يُمكنك أنْ تُخبئه بقطعة شريط لاصق، وتقول: "لا أرى الضوء الأحمر الآن، لذلك لا يجب عليّ أنْ أفكر في المشكلة." أو يُمكنك أنْ تسحق الضوء بالمطرقة قائلاً: "هذا درس لك لكي لا تُضيء في وجهي مرة أخرى!" أو يُمكن الاستجابة للضوء بالطريقة التي قصدها المُصنعون وهي أنْ تفتح غطاء مُحرك السيارة وتصلح الخطأ.

لديك نفس الاختيارات الثلاثة كرد فعل لمشاعرك. يُمكنك إخفاء مشاعرك، أو إهمالها أو التصلب والقسوة، هذا اسمه *الكبت المُتعمد*. أو يُمكنك أنْ تستجيب بالانفجار بالثورة والغضب الأهوج مطلقاً لسانك بكلمات قاسية وتدخل في عراك، وهذا ما أسميه *التعبير العشوائي*. أو أنْ تنظر لتعرف ما يحدث في داخلك، وهذا أسميه *الإقرار*.

الكبت المتعمد *Suppression*

أحد أعضاء كنيستنا له أبناً كان قد ترك المنزل ليذهب لدراسة الهندسة في الجامعة. تعرض «داچ» لنوع من الانهيار وهو في السنة الثالثة من دراسته الجامعية. قرار الأبوان عودته للمنزل لكنَّ كانت حالة «داچ» تزداد سوء. لم يكونا يدريان ما يجب فعله، لذا وضعاه في مستشفى للأمراض النفسية ـ رغماً عن إرادته ـ لمدة ثلاثة أسابيع تحت المُلاحظة. لم يغفر «داچ» أبداً لوالديه وضعهما له في المستشفى.

عندما قابلته بعد أربعة سنوات، كان «داچ» شاباً غاضباً مملوء بالمرارة. كان يعمل بعض الوقت كرسام هندسي، لكنَّ أبويه كانا يتكفلان بالجزء الأكبر من معيشته. كان يسمع أصواتاً في رأسه. كان يمضي الكثير من الوقت في الخارج يتكلم إلى الأشجار. كان يبدو وكأن لا أحد يستطيع مُساعدته. سألني أبويه إنْ كنت أريد مُقابلته فوافقت.

أمضيت ثلاث شهور مع «داچ» مُحاولاً أنْ أجعله يقبل نفسه وأنْ يتحكم في مشاعره. سألته كيف يشعر حيال أبويه.

قال: "أنا أحبهما." لكنْ «داچ» كان يبغض والديه وهما كانا يشعران بذلك.

من المهم أنْ تفتح قلبك لله وأنت مازلت تستطيع ذلك،
لأنَّك إنْ كتمت مشاعرك لمدة طويلة
فستُعاق علاقتك معه.

– "لماذا تحب أبويك؟" سألته ضاغطاً عليه.
– "لأنَّ الكتاب المُقدّس يُوصينا أنَّ نحب آبائنا."

مهما حاولت أنْ أطرح احتمال كراهيته لهما، كان يُنكر دائماً. أخيراً

سألته : "هل توافق معي أنَّ المسيحي قد يشعر بمشاعر الكراهية أحياناً؟"

وافق قائلاً: "ربما. لكن ليس أنا."

من الواضح أنّي اقتربت كثيراً بأسئلتي من مشكلة «داج» لأنَّها كانت المرة الأخيرة التي تحدث فيها معي.

الكبت المُتعمد هو إنكار واعٍ للمشاعر (الكبت غير المتعمد *Repression* هو الإنكار غير الواعي). هؤلاء الذين يكبتون مشاعرهم، ويتجاهلون أحاسيسهم ويختارون أنْ لا يتعاملوا معها. كما أوضحت من اختبار «داج» و«ديزي» الكبت هو رد فعل غير صحي تجاه ما تشعر به.

الملك داود لديه ما يقوله عن التأثير السلبي لكبت مشاعره في علاقته بالله: "لما سكت بليت عظامي من زفيري اليوم كله....لهذا يُصلّي لك كل تقي في وقت يجدك فيه. عند غمارة المياه الكثيرة إياه لا تُصيب" (مزمور٣٢:٣،٦). لا يقول داود أنَّ الله ينسحب بعيداً عنّا. لكنْ عندما ترتفع فوقك الظروف الغير مُتوقعة وتبدو لك أكبر من الله، لن يمضي وقتاً طويلاً حتى تغلبك مشاعرك. عندما ترتفع المشاعر المكبوتة في داخلك لتصبح مثل المياه الغامرة لن تلتفت إلى الله، لأنَّ مشاعرك هي التي تتحكم فيك. لذلك من المهم أنْ تفتح قلبك لله وأنت مازلت تستطيع ذلك، لأنَّك إنْ كتمت مشاعرك لمدة طويلة فستُعاق علاقتك معه.

كما يُعلّق داود على تأثير الكبت المُتعمّد على العلاقات البشرية: "قلت: أتحفظ لسبيلي من الخطأ بلساني. احفظ لفمي كمامة فيما الشرير مقابلي. صمتّ صمتاً سكتّ عن الخير فتحرك وجعي" (مزمور٣٩:١،٢).

لا تكتم مشاعرك، الكبت ليس جيداً لك أو للآخرين أو لعلاقتك بالله.

مطرقة التعبير العشوائي

طريقة أخرى غير صحية للتفاعل مع المشاعر، وهي أنْ تنفجر في غضب أهوج أو تدخل في عراك مُطلقاً لسانك بكلمات قاسية ومُخبراً أي شخص وكل شخص بما تشعر به بالضبط. الرسول بطرس كان مثالاً لهذا النوع، لقد كان مثل

أبطال أفلام العنف، لم يكن لديه أيّة مشكلة في أنْ يُخبر أي شخص بما يدور في رأسه أو بما يشعر به. لكنَّ تعبير بطرس العشوائي عن مشاعره أوقعه في مشكلات أكثر من مرة، في لحظة ينطق بأعظم اعتراف على مدى الزمان: " أنت هو المسيح ابن الله الحي" (متى ١٦:١٦) بعدها بدقائق يقول ليسوع أنَّه لا يفهم ما يفعل وكان على يسوع أنْ ينتهره: "اذهب عني يا شيطان!" (الآيات٢٢،٢٣).

كما لم يفهم بطرس جوهر ما حدث على جبل التجلي، عندما اقترح أنْ تُقام ثلاث مظال لتكريم موسى، وإيليا والسيد المسيح. أيضاً بطرس هو الذي قطع أذن عبد رئيس الكهنة أثناء القبض على يسوع في البستان. وأيضاً هو بطرس الذي وعد أنْ يتبع يسوع إلى أي مكان حتى إلى الموت، لكنْ بعدها بساعات قليلة أقسم أنَّه لم يعرف يسوع قط. إنَّ تحوّل بطرس ليُصبح قائد الكنيسة في العهد الجديد هو دليل واضح على قوة الروح القُدس المُغيّرة.

قد يكون التعبير العشوائي عن مشاعرك صحي بالنسبة لك لكنَّه في الغالب ليس صحياً بالنسبة لمن حولك. قد تقول بعد انفجارك في موجهة غضب: "الآن أشعر بارتياح بعد أنْ أزحت هذا الحمل من على صدري". لكنْ في أثناء ذلك تكون قد دمرت شريك حياتك أو أولادك. يقول يعقوب مُحذراً: "إذاً يا أخوتي الأحباء ليكن كل إنسان مُسرعاً في الاستماع مُبطئاً في التكلم مُبطئاً في الغضب. لأنَّ غضب الإنسان لا يصنع بر الله" (يعقوب ١:١٩،٢٠). كما ينصحنا بولس: "اغضبوا ولا تخطئوا" (أفسس٤:٢٦). إذا أردت أنْ تغضب ولا تخطيء أغضب على طريقة يسوع أي اغضب على الخَطيَّة. أقلب الموائد وليس الصيارفة.

الإقرار المُنفتح

كانت «نانسي» طالبة جامعية قادت سيارتها من المدينة التي تدرس فيها إلى «لوس أنجلوس» لتتحدث إليَّ عن علاقتها الصعبة مع أمها. لكنَّنا انتهينا إلى الحديث عن عدم قدرة «نانسي» على التعبير عن الغضب والسخط اللذين تشعر

بهما في هذه العلاقة. وقد علّقت على ذلك: "إنَّ زميلتي في الحجرة تنفجر أحياناً عاطفياً لتُنفّس الضغط الذي بداخلها. أنا أيضاً لدي مشاعر عميقة، لكنّي لا أعتقد أنَّه يُمكنني كمسيحية التنفيس عنها."

فتحت كتابي المُقدّس على المزمور ١٠٩ وقرأت لها الآيات التالية:

"يا إله تسبيحي لا تسكت،لأنَّه قد انفتح عليَّ فم الشرير وفم الغش. تكلموا معي بلسان كذب. بكلام بغض أحاطوا بي وقاتلوني بلا سبب. بدل محبتي يخاصمونني. أما أنا فصلاة. وضعوا عليَّ شراً بدل خير وبغضاً بدل حبي. فاقم أنت عليه شريراً وليقف شيطان عن يمينه. إذا حوكم فليخرج مذنباً وصلاته فلتكن خَطِيَّة لتكن أيامه قليلة ووظيفته ليأخذها آخر. ليكن بنوه أيتاماً وامرأته أرملة. ليته بنوه تيهاناً ويستعطوا ويلتمسوا خبزاً من خربهم. ليصطد المرابي كل ما له ولينهب الغرباء تعبه. لا يكن له باسط رحمة ولا يكن مُترأف على يتاماه. لتنقرض ذريته. في الجيل القادم ليُمح اسمهم (الآيات١-١٣).

على الفور سألت مُتعجبة: "كيف يُمكن لكلمات مثل هذه أنْ توجد في الكتاب المُقدّس؟ كيف يُمكن لداود أنْ يطلب كل هذه الشرور من أجل عدوه؟ كيف يُمكن أنْ يُكلّم الله بهذه الطريقة؟ إنَّها كراهية خالصة."

"إنَّ كلمات داود لم تُدهش الله. فالله يعرف ما يُفكر ويشعر به داود قبل أنْ يتفوه به. ببساطة كان داود يُعبّر عن ألمه وغضبه بصدق لإلهه الذي يفهم ما يشعر به داود ويقبله على حالته."

بعد لحظات من التفكير سألت «نانسي» هل من المقبول أنْ أفعل ما أفعله؟"

- "ماذا تفعلين؟"

ردَّت وقد بدا عليها الخجل: "حسناً، عندما يزيد الضغط في داخلي، أذهب بسيارتي إلى مكان بعيد وأصرخ، وأشكو، وأصيح وأضرب الأرض

بقدمي. وعندما أعود إلى غرفتي أكون في حالة جيدة."

شجّعت «نانسي» على أنْ تسكب جراحها وكراهيتها أمام الله بدلاً من أنْ تسكبهما بطريقة مُدمّرة على أمها أو زميلتها في الحجرة. كما ذكّرتها أنَّ داود كان صادقاً في التعبير عن احتياجه لله بنفس قدر صدقه في التعبير عن مشاعره. فقد أنهى المزمور بالصلاة: "أعنّي يا رب إلهي. خلّصني حسب رحمتك. أحمد الرب جدا بفمي وفي وسط كثيرين أسبحه" (الآيات ٢٦،٣٠).

أعتقد أنَّ الطريقة التي عبَّر بها داود و«نانسي» عن مشاعرهما هي طريقة صحية. ربما تكون صلواتك في أوقات الضغط النفسي ينقصها النبل. لكنَّها حقيقية وصادقة أمام الله. إذا جاء وقت صلاتك وكنت تشعر بالغضب، والاكتئاب أو الإحباط، ثم أتيت أمام الله وتفوهت بباقة من الكلمات التقية ــ المبتذلة ــ كأنَّ الله لا يعرف ما تشعر به، هل تظنه يكون راضياً؟ قطعاً لا، إلا إذا كان قد غيّر رأيه عن رياء الفريسيين. لقد حاول الفريسيون أنْ يَبدو مظهرهم الخارجي في غاية الصلاح، لكنْ في داخلهم كانوا أبعد ما يكونوا عن الصلاح. لم يكونوا صادقين، كانوا مُخادعين. قال يسوع لتلاميذه: "إنْ لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات" (متى ٥:٢٠). في نظر الله إنْ لم تكن صادقاً فأنت لست صالحاً.

الإقرار بمشاعرك يتضمن أيضاً أنْ تكون صادقاً وحقيقياً أمام بعض الأصدقاء الموثوق بهم. لا يجب أنْ تُنفس عن غضبك في أي مكان وأمام أي شخص. هذا يكون تعبير عشوائي وستتعرض لمُخاطرة جرح الآخرين أكثر من مُساعدة نفسك ــ وهذا خطأ. قد تكون إحدى الطرق الكتابية أنْ يكون لك ثلاثة أصدقاء تستطيع أنْ تثق بهم وأنْ تُشاركهم بعمق ما تشعر به. كان بولس في رحلاته يصطحب برنابا وسيلا أو تيموثاوس ليستند عليهم. في بستان جثسيماني، عبّر يسوع عن حزنه للدائرة القريبة منه بطرس، ويعقوب ويوحنا.

علم النفس يُخبرنا أنَّه من الصعب على الإنسان أنْ يستمر في صحة عقلية جيدة إنْ لم يكن لديه على الأقل شخص واحد يكون صادقاً عاطفياً أمامه. إنْ كان لديك أثنين أو ثلاثة من تلك النوعية فإنَّها بركة عظيمة.

الصدق العاطفي: كيف يُقدَّم وكيف يُستقبل

في بداية خدمتي الرعوية أتتني مُكالمة تليفونية في منتصف الليل من النوع الذي يخشاه أي راعي: "لقد تعرض ابننا لحادث ولا يتوقعون له الحياة. هل تسمح بالمجيء للمستشفى؟"

وصلت للمستشفى في حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل. جلست مع الأهل في غرفة الانتظار مُتمنياً ومُصلياً من أجل أفضل النتائج لكنّي كنت أخشى أسوأها. في الساعة الرابعة تقريباً خرج الطبيب وأخبرنا الخبر السيئ: "لقد فقدناه."

كرد فعل طبيعي كانت العائلة مُحطّمة. لكنّي كنت مُتعباً جداً ومُنهكاً عاطفياً، فبدلاً من أنْ أقدّم لهم كلمات تعزية، جلست هناك باكياً معهم. لم أكن أعلم ماذا أقول. في طريقي للمنزل كنت أشعر بالفشل والخجل لأنّي فشلت في مُساعدتهما في وقت شدتهما.

بعد الحادث بوقت قليل تركا أهل الشاب المُتوفى المنطقة. لكنْ بعد خمس سنوات تقريباً جاءا لزيارة الكنيسة ولاصطحابي للغذاء. وقالا لي: "يا «نيل» لن ننسى أبداً ما فعلته من أجلنا عند موت أبننا".

"ماذا فعلت؟" سألتهما وأنا مازلت أشعر بالتقصير نحوهما، "لقد شعرت بألمكما لكنّي لم أعرف ماذا أقول."

"لم نكن نحتاج إلى الكلمات؛ بل إلى حبك. لقد علمنا أنَّك تُحبنا لأنَّك بكيت معنا."

واحدة من التحديات التي تواجهنا في مجال المشاعر هي أنْ نتعلم كيف نتفاعل مع الآخرين عندما يعبّرون بصدق عن مشاعرهم. لقد وجدت قاعدة

مُـفـيـدة في حـديث أيوب مع أصـدقـائه. قـال أيوب: "كـلام اليـائس للريح" (أيوب٦:٢٦). مـا يُريد أيوب أنْ يوصله هو أنَّ الكلمـات غيـر مُـهـمّـة في لحظات الانفـعال العـاطفي. لا تَرُدُّ على تعبيّـر شـخصٍ مـا عن عواطفه بـالكلام؛ رد على المشـاعر بالمشـاعر. عندمـا شلّ الحزن مريم، واستقبلت مـارثا يسوع بـخبر موت لعازر، بكى يسوع (يوحنا١١:٣٥). لقد أوصى بولس: "فرحاً مـع الفرحين وبكاء مـع الباكين" (رومية ١٢:١٥).

لا تَرُدُّ على تعبيّر شخصٍ ما عن عواطفه بالكلام؛
رد على المشاعر بالمشاعر

الأكثر من ذلك، لا تأخذ بجدية الكلمات التي يُعبّر بها الشـخص بصـدق عن مشاعره. مثلاً، لنفرض أنَّ عائلة مسيحية تعرفها فقدت طفلاً وهو في المهد، فـيسـألوك بغضب: "لماذا فعل الله هذا بنا؟" لا تُجاوب على هذا السـؤال. أولاً، لأنَّك لا تعـرف الإجـابة. ثانيـاً، لأنَّ سـؤالهم هو رد فـعل عـاطفي، وليس سـؤالاً واعياً. كل كلماتهم هي إظهار لمدى الألم. رُدْ على مـشـاعرهم بأنْ تشـعر مـعـهم وبأنْ تُظهر لهم الاهتمـام، وليس بالإجابات. ابكِ مع البـاكين، فليس مطلوب منك أنْ تُعلّم الباكين.

بالرغم من أنَّ الكلمات ليست هي المحور الأول في التـعبير عن العواطف، لكنَّك تستطيع أنْ تُبقي على عـلاقات حـميمـة بأنْ تُحسن التـعبـير اللفظي عن مشـاعرك لمن حـولك. مثلاً، تمر بيوم صـعب جداً في العمل، فتتصل بزوجتك في المنزل وتقول لهـا: "حبيبتي، اليوم صـعب جداً، لن أكون في المنزل قبل السـاعة السـادسة مسـاءً، وعندي اجتمـا ع في الكنيسـة السـاعة السـابعة. هل يُمكن أنْ أجد العشـاء جاهزاً عند حضوري؟" فترد هي: "بالتأكيد."

عندمـا تصل لبـاب المنزل تكون في قـمـة الإرهاق الجسـدي والضـغط

النفسي بنسبة ١٠\٨ تدخل لتُفاجأ بأنَّ زوجتك لم تُجهّز العشاء كما طلبت منها، فتنفجر غاضباً: "أردت أنْ يكون العشاء جاهزاً في الساعة السادسة. لذلك اتصلت بك!"

هل زوجتك هي فعلاً السبب لانفجارك العاطفي؟ في الواقع لا. فقد كان يومك صعب في العمل، وقد صرت مُتْعَباً، وجوعاناً ومضغوطاً. كل ذلك ليس خطأها. أي شيء كان يُمكن أنْ يكون مادة لتفريغ غضبك. ببساطة كان يُمكنك أنْ تركل الكلب. لكنَّك تُقدّر زوجتك وتحسبها مُستحقّة لأنْ تكون صادقاً معها عاطفياً.

لا تنسى المحبة في وسط شغفك بالصدق في التعبير عن مشاعرك. عند علمك أنَّ العشاء ليس جاهزاً كما طلبت يُمكنك أنْ تقول: "حبيبتي لقد وصلت إلى نهاية إمكانياتي الجسدية والعاطفية من كثرة الإجهاد." هذا النوع من الصدق العاطفي الغير مُباشر يُحقق هدفين هامين. الأول، عدم إلقاء اللوم على زوجتك، يُشعرها بالحرية ويُعرفها أنَّك لست غاضباً منها. الثاني، بما أنَّها ليست في حاجة للدفاع عن نفسها، فهي حرّة لتسديد احتياجاتك. ويُمكنها أنْ تقول لك: "سيكون العشاء جاهزاً في خلال ٢٠ دقيقة. استرح قليلاً، وسأبقي الأولاد بعيداً، ستكون في الاجتماع في الوقت المُحدد."

لنفرض أنَّكِ الزوجة وكان يومكِ عصيباً في المنزل. يأتي زوجكِ إلى المنزل وهو بادي المرح ويسألكِ أنْ كنتِ انتهيت من تجهيز العشاء. فتنفجري فيه: "ماذا تعني: هل العشاء جاهز؟ هل تظن إنَّ كل ما عليَّ فعله هو أنْ أطبخ لك؟ كان الأولاد فوق رأسي طول اليوم و..." أجل، هذا صدق عاطفي، لكنَّكِ تحترقين وتأخذين زوجك معك.

بدلاً من ذلك يُمكنكِ أنْ تقولي بصدق: "حبيبي، لقد كان يوماً صعباً. لقد تعطلّت الغسالة، والأولاد كانوا فظيعين، لقد وصلت لنهايتي." صراحتكِ الغير مُباشرة تُبقي زوجكِ حراً في عدم الحاجة للدفاع عن نفسه وتفتح له الطريق في

أنْ يقول: "هيا، إنَّه وقت لتناول العشاء في الخارج!"

عندما نأتي للتعبير عن المشاعر أمام الدائرة القريبة منا، الصدق هو أفضل وسيلة، لكنْ كن واثقاً أنَّك تتكلم بالصدق في المحبة (أفسس٤:١٥).

خط إرشادي آخر للإقرار بمشاعرك وللتعبير عنها هو أنْ تعرف إنَّك محدود؛ كن واعياً إنَّك عندما تكون مُضطرباً عاطفياً بنسبة ٧ أو ١٠\٨ ـ غاضباً، أو مشدوداً، أو قلقاً أو مكتئباً ـ فإنَّ ذلك ليس الوقت المُناسب لاتخاذ القرارات في الموضوعات الهامة. قد تدفعك مشاعرك لاتخاذ قرار فاصل في الأمر الذي تُصارع فيه لكنَّك قد تندم إنْ أنت ذهبت في قرارك أبعد من اللازم. ستقول أشياء تندم عليها فيما بعد أو ستجرح شخصاً ما؛ من الأفضل جداً أنْ تعترف بمحدودية إمكانياتك العاطفية وتقول: "إذا أكملنا هذا الحديث فسأفقد أعصابي. هل يُمكن تأجيل الحديث لوقت آخر؟"

أعلم أيضاً أنَّ هناك الكثير من العوامل الجسدية التي تؤثر على إمكانياتك العاطفية. إذا كنت جوعاناً، أجّل أي حديث مُحتمل أنْ يقود لمجهود نفسي إلى ما بعد تناولك للطعام. إذا كنت مُتعباً خذ قدراً كافياً من النوم. كما يجب على النساء أنْ ينتبهن إنَّه توجد أوقات خلال الشهر يكون فيها أسهل عليهن التواصل العاطفي الإيجابي أكثر من باقي الأوقات. كما يجب على الأزواج تَفَهُّم التغييرات التي تمر بها زوجاتهم على مدار الشهر.

إنَّ العملية الهامة لتجديد ذهنك تتضمن كيفية تعاملك مع مشاعرك بأنْ تحسن التعامل مع أفكارك، والمُلاحظة والإقرار بصدق وبمحبة بمشاعرك تجاه الآخرين. استجابتك الصحيحة لمشاعرك خطوة هامة في عدم السماح لإبليس أنْ يأخذ مكاناً في حياتك.

١١

شفاء الجراحات العاطفية الآتية من الماضي

كان «دان» و«سيندي» زوجان رائعان يستعدان للخدمة في حقل الإرساليات. لكنْ وقعت لهما مأساة، فقد تعرضت «سيندي» للاغتصاب، هذا الحادث مزّق الزوجين. كانت الصدمة شديدة جداً دفعتهما لترك منطقتهما حيث وقع الحادث. كانت «سيندي» تُحاول جاهدة العودة لحياتها الطبيعية والتخلص من الذكريات والمشاعر الرهيبة لكنّها لم تستطع.

بعد مرور ستة أشهر على حادث الاغتصاب، حضر «دان» و«سيندي» مؤتمراً لكنّيسة حيث كنت أعظ. خلال المؤتمر دعتني «سيندي» وهي تبكي. "يا «نيل»، أنا لا أستطيع التغلب على ذلك الشيء. أعلم أنَّ الله قادر على تحويل كل الأشياء للخير، لكنْ كيف سيفعل هذا؟ في كل مرة أفكر فيما حدث أبكي بشدة."

قلت لها: "انتظري لحظة يا «سيندي» أنتِ لم تفهمي جيداً. الله سيجعل كل الأشياء تعمل معاً للخير، لكنَّه لا يُحول أمراً سيئاً إلى أمر صالح. ما حدث لكِ كان سيئاً للغاية. الشيء الجيد الذي يُعطيك إياه الله هو أنْ يُريكِ كيف يُمكنكِ عبور هذه الأزمة والخروج منها شخصاً أفضل."

"لكنّي لا أستطيع الانفصال عن تجربتي،" قالت باكية. "لقد تمّ اغتصابي

وسأكون ضحية ذلك كل حياتي."

"لا يا «سيندي» الاغتصاب حدث لكِ، لكنَّه لم يُغيّر هُويّتك، ولا يجب أنْ يتحكم في حياتكِ. لقد كنتِ ضحية لمأساة رهيبة بغيضة. لكنْ إذا نظرتِ لنفسكِ فقط كضحية لحادث اغتصاب، فلن تستطيعي التغلب على مأساتكِ وستبقين كل حياتك مُقيّدة. أنتِ ابنة لله. لا يستطيع أحد صالحاً كان أم شريراً أنْ يسلبك ذلك."

الحوادث السيئة تحدث للأشخاص الصالحين

قد لا تكون قصتك بنفس حدّة مأساة «سيندي»، لكنَّنا جميعنا تعرضنا لعدد من الخبرات الجارحة والمؤلمة. قد تكون تربيت بين أهل كانوا يُسيئون إليك جسدياً، أو عاطفياً أو جنسياً. قد تكون تعرضت للفزع الرهيب وأنت طفل. ربما تكون قد تعرضت في الماضي لعلاقة سببت لك الألم الشديد: صداقة مُحَطمة، أو موت أحد الأحباء في وقت غير مُتوقع أو الطلاق. أياً كان عدد الصدمات المؤلمة عاطفياً في ماضيك، فقد غرست في نفسك قيوداً عاطفية تُحد من نضوجك وتُعطّل حريتك في المسيح.

بعكس المشاعر اليومية المتغيّرة نتيجة لطريقة تفكيرنا اليومي، فإنَّ القيود العاطفية من الماضي تكون ثابتة ومُستقرة. سنوات التعرض لنفس الظروف ولنفس الاختبارات في الحياة، حفرت في داخلك مشاعر عميقة تُنتج رد فعل مُحدد عندما يُطرح موضوعاً ما. في الواقع، كشخص بالغ أنت لست مُحايداً بالنسبة لأي موضوع.

مثلاً، لقد تفاعلت عاطفياً مع موضوع الاغتصاب عندما قرأت قصة «سيندي». لو كنت أنت أو أحد أحباءك مَنْ تعرّض لمثل هذا الحادث في الماضي، مُجرد ذكر موضوع الاغتصاب سيولّد فيك مشاعر ألم بنسبة ٨ أو٩ \ ١٠ لو استخدمنا مقياساً عاطفياً مقداره ١٠ درجات. ستشعر مُباشرة بالغضب، والكراهية والخوف أوقد تشعر بالغضب المُقدّس. لكنْ إنْ كنت قد قرأت فقط عن

موضوع ضحايا الاغتصاب ولم تتعرض أنت لهذه المحنة، أو لم تُقابل أو تقم بالمشورة لأحد الضحايا، فإنَّ انفعالك العاطفي في هذا المجال سيكون أخف كثيراً، ربما يكون ٢ أو٣\١٠ لكنَّك لست مُحايد.

أمر بسيط جداً مثل ذكر اسم شخص يُمكن أنْ يبعث رد فعل عاطفي. لو أنَّ جدك الرقيق المُحب اسمه «بيل»، قد يكون رد فعلك هو تفضيل أي شخص اسمه «بيل» لكنْ إنْ كان مُدرسك الطاغية اسمه «بيل»، فرد فعلك الأول تجاه أي شخص اسمه «بيل» قد يكون سلبي. إذا قالت لك زوجتك: "لنسمي ابننا الأول «بيل»." قد تنفعل ويكون رد فعلك: "على جثتي!"

أنا أسمي هذه المشاعر الطويلة المدى، الكامنة تحت السطح: *المشاعر الأولية*. إنَّ حدّة مشاعرك الأولية تحددها الخبرات التي تعرضّت لها في الماضي. كلّما كانت هذه الخبرات جارحة، كلّما ازدادت حدّة مشاعرك الأولية.

لاحظ تسلسل الأحداث:

أحداث الحياة السابقة

(يُحدد حدّة المشاعر الأولية)

⬇

الحدث الحالي (الباعث)

(يُفجّر المشاعر الأولية)

⬇

المشاعر الأولية

⬇

التقييم العقلي

(مرحلة التعامل مع الواقع)

⬇

المشاعر الثانوية

(نتيجة لعملية التفكير والمشاعر الأولية)

الكثير من هذه المشاعر الأولية تبقى ساكنة في داخلك وتأثيرها يكون ضئيلاً جداً على حياتك حتى يحدث أمراً يُفجّرها. هل طرحت مرة موضوعاً للحديث أغضب شخصاً آخر وجعله يخرج ثائراً من الحجرة؟ ثم تعجبت: "ما الذي أثاره إلى هذه الدرجة؟" ما أثاره هو اختبار في ماضيه تم تنشيطه بواسطة الموضوع الذي طرحته. إنَّ مُجرد لمس المحور العاطفي قد يجعل عينا شخص يمتلئان بالدموع. الباعث هو أي شيء في الأحداث الحالية يربطه هو بالصراع الذي مَرَّ به في الماضي.

معظم الناس يحاولون التحكم في مشاعرهم الأولية عن طريق تحاشي الأشخاص والأحداث التي تُحرك فيهم تلك المشاعر. لكنَّك لا تستطيع الحياة في عزلة كاملة بعيداً عن أي شيء قد يُحرك فيك رد فعل. أنت مُعرّض لرؤية شيء ما على التليفزيون، أو لسماع حديث يأتي بذكريات الاختبار المؤلم إلى ذهنك. لذلك يجب عليك أنْ تتعلّم كيفية علاج الصراعات القديمة وإلاّ ستتراكم في داخلك القيود العاطفية وستدفعك للانسحاب من الحياة، وسيتحكم ماضيك في حياتك أكثر كلّما قلّت فرصتك في مُعالجته.

تعلّم مُعالجة المشاعر الأولية

لا يُمكنك التحكم في شعور أولي متى تم بعثه. ليس من المُفيد أنْ تشعر بالذنب بسبب أمر لا سلطان لك عليه. لكنَّك تستطيع تقييم الظروف الحالية التي فجّرت هذا الشعور والتحكم فيها. مثلاً، لنفترض أنَّك قابلت رجلاً اسمه «بيل». وكان يُشبه «بيل» الذي أعتاد ضربك عندما كنت طفلاً. بالرغم من أنَّه ليس نفس الشخص، فشعورك الأولي تجاهه سيقفز إلى ٥\١٠ لكنَّك تُذكّر نفسك سريعاً بأنَّه ليس هو ذاته «بيل» الذي كان يضربك، وتهدئ نفسك حتى تصبح٢\١٠ وهكذا تتعامل مع الواقع. المشاعر الناتجة عن هذه العملية أسميها المشاعر الثانوية.

أنت لم تستخدم فقط هذه العملية آلاف المرات بل لقد ساعدت الآخرين

أيضاً على فعلها. يثور أحدهم فتُمسك به وتُهدئه. أنت تُساعده أنْ يهدأ بدفعه للتفكير. لاحظ كيف يحدث ذلك في المرة القادمة وأنت تُشاهد مُباراة لكرة القدم عندما يفقد أحد اللاعبين أعصابه، ويُمسك به لاعب آخر ويقول له: "سيطردك الحكم، وقد نخسر المُباراة." فيرى اللاعب الثائر الأمر بموضوعية وقد يشعر أنْ ما يفعله يبدو ساذجاً.

بشكل عام العلاج النفسي القائم على مواجهة الواقع يتعامل مع المشاعر الثانوية، لكنَّ العلاج القائم على التحليل النفسي يتعامل مع المشاعر الأولية. بعض المسيحيون يُصرون على أنَّ الماضي غير مُهم ولا تأثير له. إذا كانوا يتكلمون عن الحقيقة المُجردة فأنا أوافق معهم. الحقيقة هي الحقيقة، ماضٍ، وحاضر ومُستقبل. لكنْ إنْ كانوا يتكلمون عما يختبره البشر فعلياً، فأنا لا أوافق. معظم الأشخاص الذين يُصرون على أنَّ الماضي ليس له تأثير على المؤمن، يُعانون من صراعات كبيرة في ماضيهم لم يسمحوا لها أنْ تظهر على السطح. إما هذا أو إنَّهم محظوظون لدرجة أنَّ ماضيهم خال تماماً من الصراعات. هؤلاء الذين تعرضوا لجراحات عميقة في الماضي وتعلّموا كيفية مُعالجتها في المسيح، يعلمون إلى أي حد يمكن أنْ يكون الماضي مُدمراً للحياة الحالية.

معظم الناس الذين قدمت لهم المشورة كانوا يُعانون من جراحات عميقة. البعض قد أسيء لهم بشدة أثناء الطقوس الشيطانية لدرجة أنَّهم فقدوا القدرة الواعية على تذكّر هذه الأحداث. البعض الآخر يتحاشون أي شيء قد يبعث هذه الذكريات. جميع هؤلاء الأشخاص قد تم شحنهم عاطفياً بنسبة ١٠\١٠ ـ والكثيرون منهم مازالوا في هذه الحالة من الإثارة، وهم غير قادرين على مُعالجة هذه الاختبارات السابقة، لقد صَمّموا على الاستمرار في الحياة مُستخدمين الملايين من الطرق الدفاعية. بعضهم يحيا في رفض وإنكار لما حدث له، والبعض يُفسره تفسيراً عقلانياً غير حقيقي أو يُحاولون كبت مشاعر الألم

عن طريق الإفراط في الطعام أو المُخدرات أو الجنس.

مُحاولة تخطي الله في عملية الشفاء الداخلي بإعطاء العقاقير أو التنويم المغناطيسي يوقع البعض في مستنقع من اليأس لن يُمكنهم الخروج منه.

هذه ليست طرق الله فهو يفعل كل شيء في النور. عندما تعلّم ذلك يُمكنك الاعتماد على الله في أنَّه سيُظهر صراعاتك الداخلية القديمة على السطح في الوقت المُناسب لكي تكون كل الأمور في النور ويتم علاجها. لقد لاحظت أنَّه عندما تكون الجراحات أكثر عمقاً، فإنَّ الله يجعل الشخص ينضُج إلى الدرجة التي يكون فيها قادراً على مواجهة حقيقة ماضيه. لقد صليت مع كثيرين ليُعلن الله أي أحداث في ماضيهم تسببت في تقيّدهم - واستجاب الله هذه الصلوات. لماذا لا نُصلي هكذا دائما في جلسات المشورة؟ إنّي مُندهش من قدر إهمالنا "للمُشير العجيب" في المشورة المسيحية.

أنا شخصياً ضد برامج العلاج التي تُجرى تحت تأثير العقاقير أو التنويم المغناطيسي، مُتخطية ذهن المريض بهدف استرجاع ذكريات مكبوتة في اللاوعي. كل ما قرأته في الكتاب المُقدّس يحث المؤمنين أنْ يكونوا نشطين ذهنياً لا سلبيين. مُحاولة تخطي الله في عملية الشفاء الداخلي بإعطاء العقاقير أو التنويم المغناطيسي يوقع البعض في مستنقع من اليأس لن يُمكنهم الخروج منه.

أعتقد أنَّ رد الله على الجراحات المكبوتة في اللاوعي موجود في مزمور ١٣٩: ٢٣، ٢٤: "اختبرني يا الله واعرف قلبي امتحني واعرف أفكاري وانظر إنْ كان فيَّ طريق باطل واهدني طريقا أبدياً." الله يعرف الجراح المُختفية في داخلك التي قد لا يكون في استطاعتك رؤيتها. عندما تسأل الله أنْ يمتحن قلبك، فإنَّه سيُظهر المناطق المُظلمة في ماضيك ويأتي بها للنور في الوقت المُناسب.

أنظر إلى ماضيك في ضوء هُوِيّتك الجديدة

إذاً ما هي طريقة الله لعلاج مشكلاتك القديمة. بطريقتين: أولاً، لقد أعطى لك امتياز تقييم خبراتك الماضية في ضوء هُوِيّتك الحالية بالمقابل لهُوِيّتك وقت تعرُضك لتلك الخبرات. إنَّ حدّة مشاعرك الأولية حددتها كيفية رؤيتك للحدث عند وقوعه. تذكر أنَّ مشاعرك هي نتيجة للطريقة التي أدركت بها الحدث وليس للحدث ذاته. أرفض الاعتقاد أنَّك نِتَاج خبراتك السابقة. كمسيحي، بالدرجة الأولى أنت نِتَاج عمل المسيح على الصليب. حرفياً أنت خليقة جديدة في المسيح. الأشياء العتيقة، بما فيها جراحات الماضي، قد مضت. "أنت" القديم قد انتهى، والآن يوجد "أنت" الجديد. لكن الجسد، الذي هو مُحصلة تعامُلك مع تلك الأحداث بحسب طُرق العالم وبدون المسيح، مازال باقياً. لكنَّك قادر على جعله غير مؤثر ومنعه عن العمل.

الأشخاص الذين أسيء إليهم في الماضي بقيت عواطفهم مُعلقة عند درجة انفعال قريبة من الـ ١٠ عندما يُنشط حدث حالي المشاعر الأولية الكامنة، فإنَّهم يُصدقون ما يشعرون به بدلاً من تصديق الحقيقة. مثلاً، الأشخاص الذين تعرضوا للإيذاء اللفظي من والديهم يعانون من صعوبة في الإيمان بأنَّهم محبوبون مجاناً وبدن شروط من الله الآب. مشاعرهم الأولية تُأكد لهم أنَّهم ليسوا محبوبين من الذين في مقام الوالدين.إنْ كان قد قيل لهم كل حياتهم أنَّهم لا يساوون شيء، فمن الصعب عليهم تصديق أنْ لهم قيمة عالية في المسيح. إنَّهم يصدقون ما يشعرون به ويصبح سلوكهم خارج المسار الصحيح. الإيمان والسلوك بالحق هو الذي يحررنا.

الآن وقد صرت مسيحياً مؤمناً، تستطيع أنْ تنظر لهذه الأحداث من وجهة نظر جديدة أساسها "مَنْ أنت" اليوم أي هُوِيّتك الجديدة في المسيح. قد يكون في داخلك صراع بسبب السؤال: " أَيْنَ كان الله عندما حدث لي كل هذا؟" لا تهتم بما كان يحث في ذلك الوقت. الحقيقة هي: أنَّه في حياتك الآن، ويُريد أنْ

يُخلصك من ماضيك. هذا هو الإنجيل، الخبر السار بأنَّ المسيح قد جاء ليحرر المقيدين. رُؤيتك لتلك الأحداث من منظور هُوِيّتك في المسيح هو الذي يُحرك عملية علاج مشاعرك المجروحة.

مُرسلة عزيزة عليّ، كانت تتصارع مع ماضيها لأنَّها صُدمت باكتشافها أنَّ والدها كان شاذ جنسياً. سألتها كيف يُمكن لاكتشافها أنْ يؤثر على ميراثها الحقيقي في المسيح. فبدأت بالحديث عن عائلتها الجسدية ثم توقفت فجأة. فقد استوعبت أنَّ لا شيء يُمكن أنْ يؤثر على ميراثها في المسيح. يُمكنها الآن مواجهة مشكلات أسرتها الأرضية بدون أنْ يُدمرها ذلك عاطفياً. لقد استراحت عندما علمت مقدار الأمان الذي تتمتع به في علاقتها بالله، الذي هو أبوها الحقيقي. المشاعر الناتجة عن ذلك صحيحة لأنَّ رُؤيتها لذاتها مبنية على الحق.

أغفر للذين جرحوك في الماضي

الخطوة الثانية لعلاج الصراعات القديمة هي أنْ تغفر للذين أساءوا إليك. بعد أنْ شجعت «سيندي» على التعامل مع مشاعر الصدمة الناتجة عن اغتصابها، قلت لها: "«سيندي» أنتِ تحتاجين أيضاً أنْ تغفري للرجل الذي اغتصبك." كان رد فعلها هو رد فعل الكثير من المؤمنين الذين عانوا آلاماً جسدية، أو جنسية أو نفسية على أيدي آخرين. "كيف يُمكن أنْ أغفر له؟ ما فعله كان خطأ."

ربما تكون قد سألت نفس السؤال. لماذا تغفر للذين أساءوا إليك في الماضي؟ أولاً، لأنَّ ذلك وصية إلهية. بمجرد انتهاء يسوع من الصلاة التي علمها كمثال ـ والتي تتضمن التضرع لله بطلب الغفران ـ علق قائلاً: " فإنَّه إنْ غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي. وان لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم" (متى ٦:١٤،١٥). يجب أنْ نبني علاقتنا مع الآخرين على نفس المبادئ التي أسس الله عليها علاقته معنا، التي هي المحبة، والقبول والغفران (متى ١٨:٢١،٣٥).

ثانياً، الغفران ضروري لتفادي الوقوع فريسة لإبليس. لقد اكتشفت من

خلال خدمتي في المشورة أنَّ عدم الغفران هو المدخل رقم واحد الذي يستخدمه إبليس لاختراق حياة المؤمن. بولس يُشجعنا على الغفران المتبادل: "لئلا يطمع فينا الشيطان لأنَّنا لا نجهل أفكاره (٢كورنثوس ٢:١١). عدم الغفران هو دعوة مفتوحة لقيود إبليس في حياتنا.

ثالثاً، يجب أنْ يكون الغفران هو مبدأ للتعامل الأساسي بين المؤمنين، فبولس يكتب:"ليُرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث. وكنوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفقوين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح (أفسس٤:٣١،٣٢).

ما هو الغفران؟

الغفران لا يعني النسيان. الأشخاص الذين يحاولون الغفران عن طريق نسيان ما تعرضوا له من إساءة يفشلون دائما في فعل الأمرين، الغفران والنسيان. دائماً ما نقول أنَّ الله لم يعد يذكر خطايانا (عبرانيين ١٠:١٧). لكن الله كلي العلم. فبالرغم من أنَّه لا يُمكن أنْ ينسى، إلاَّ أنَّه يفصل نفسه عن خطايانا التي اعترفنا بها وغفرها لنا، بقراره عدم استخدامها أبداً ضدنا (مزمور ١٠٣:١٢). يُمكنك أنْ تغفر دون أنْ تنسى.

الغفران لا يعني تسامحك مع الخَطيِّة. «إزابيل» زوجة وأم شابة حضرت إحدى مؤتمراتي، وفيه أخبرتني بأنها تنوي أنْ تغفر لأمها تلاعبها الدائم مُحاولتها لجذب أنتباهها. لكنَّها أكملت باكية: "لكنَّ ماذا أفعل عندما أراها الأسبوع المقبل؟ فهي لم تتغير، بلا شك ستحاول الوقيعة بيني وبين عائلتي كما كانت تفعل دائماً هل من المفروض أنْ أدعها تُدمر حياتي؟"

بالطبع لا، فالغفران لشخص ما لا يعني قبولك لظُلْم خطاياه المستمرة. لقد شجعت «إزابيل» على مواجهة أمها في محبة لكنْ بحزم، وعلى أنْ تقول لها أنَّها لن تقبل تلاعبها المدمر. من الجيد أنْ تغفر خطايا الماضي لشخص ما وفي نفس الوقت أنْ تأخذ موقف تجاه خطاياه القادمة.

الغفران لا يُطلّب بالانتقام أو التعويض عن الآلام. قد تقول:"تعني أنْ أعفو عنهم وأدعهم يفلتون من قبضتي؟" نعم، أفلتهم من قبضتك عالماً أنَّ الله لن يفلتهم من قبضته. قد تشعر أنَّ ذلك ظلم قاسي، لكنَّك لست قاضي غير مُتحيز. الله هو القاضي العادل الذي يقضي بالحق (رومية ١٢:١٩) دورك هو أنْ تبسط الرحمة و تترك تحقيق العدل في ذلك الموقف لله.

الغفران هو قرار بالاستمرار في الحياة مُتحملاً نتائج خَطِيَّة شخص آخر. في الواقع، أنت مُجبر على الحياة مُتحملاً نتائج خَطِيَّة المعتدي إنْ غفرت أو لم تغفر له. مثلاً، لنفترض أنَّ شخصاً ما في كنيستك أتى إليك قائلاً: "لقد شهرت بكَ، هل تغفر لي؟" لن تستطيع سحب الشائعات، وستعاني نتائجها بغض النظر عن رد فعلك تجاهها. لكنْ يُمكنك الاختيار بين أنْ تحيا في مرارة وعدم غفران أو في سلام وغفران بأنْ تُقرر عدم استغلال الخطأ ضد الشخص الذي شهر بك. الاختيار الأخير هو الذي بحسب فكر الله.

أثنتا عشرة خطوة للغفران

ربما تقول: "لا أستطيع أنْ أغفر لذلك الشخص لأنَّه جرحني بشدة." نعم، الألم حقيقي. لم يستطع أي شخص أنْ يغفر فعلياً لآخر دون أنْ يُقر أولاً بالجرح والكراهية التي يكنها له. إلى أنْ تغفر لذلك الشخص، فسيستمر في إيذائك لأنَّك لم تُحرر نفسك من الماضي. الغفران هو الطريق الوحيد للتخلص من الألم.

يُمكنك أتبا ع هذه ال١٢ خطوة البسيطة لاجتياز عملية الغفران للشخص الذي أساء إليك في الماضي والتحرر من قيود الماضي ومتابعة الحياة:

١- أكتب على ورقة أسماء الأشخاص الذين أساءوا إليك. أذكر كتابة وبالتحديد نوع الإساءات التي وجهوها إليك (مثلاً: الرفض، الحرمان من المحبة، الظُلم، الإيذاء جسدي، أو لفظي، أو جنسي أو عاطفي، الخيانة، الإهمال، الخ).

من مئات الأشخاص الذين أكملوا هذه القائمة معي في مكتب المشورة، ٩٥٪ وضعوا الأب أو الأم كرقم واحد أو اثنين في القائمة. ثلاثة من الخمسة

أسماء الأولى في أغلب القوائم كانوا الأقارب المقربين. أكثر شخصين يتم نسيانهما هما الله وأنت نفسك. لا يحتاج الله أنْ نغفر له، لكنْ أحياناً توقعاتنا الخاطئة عن الله تقودنا إلى الغضب منه أو المرارة تجاهه. نحتاج أنْ نطلق الله من توقعاتنا ومشاعرنا الخاطئة تجاهه. كما يحتاج بعض منا أنْ يغفروا لأنفسهم الضعف والخطايا التي قد غفرها لنا الله من زمن بعيد.

٢- واجه الجُرح والكراهية. أكتب ما تشعر به تجاه الأشخاص وما فعلوه بك. أذكر أنَّ اعترافك بحقيقة مشاعرك ليس خَطِيَّة. الله يعرف جيداً ما هو شعورك، إنْ أقريت أو لم تُقر به. إذا خبأت مشاعرك فستفوت عليك فرصة الغفران. يجب أنْ تغفر من قلبك.

توقع نتائج إيجابية للغفران في شخصيتك أنت.
في الوقت المناسب ستتمكن من التفكير في الأشخاص
الذين جرحوك بدون أنْ تشعر بالمرارة،
أو الغضب أو السخط.

٣- أعرف معنى الصليب. إنَّ صليب المسيح هو الذي يجعل الغفران مشروعاً ومقبول أدبياً. لقد أخذ المسيح كل خطايا العالم ـ بما فيها خطاياك وخطايا الذين أساءوا إليك ـ ومات "مرة واحدة" (عبرانيين ١٠:١٠). القلب يصرخ : "هذا ليس عدلاً! أين العدل؟" إنَّه في الصليب.

٤- قرر أنَّك ستحمل أثقال خَطِيَّة كل الأشخاص (غلاطية٦:١،٢). هذا يعني أنَّك لن تنتقم في المستقبل مُستخدماً ضدهم المعلومات التي لديك عن خطاياهم (لوقا٦:٢٧،٣٤؛ أمثال١٧:٩). الغفران الحقيقي يعني التبادل بينك وبين المُخطئ إليك، مثل غفران المسيح لنا، نحن أخطأنا وهو أحتمل العقاب بدلاً منا.

٥- قرر أنْ تغفر، الغفران هو أزمة للإرادة، هو اختيار واعي بإطلاق الآخر وتحرير نفسك من الماضي. قد لا تشعر بالرغبة في فعل ذلك، لكنَّها لحظة حرجة بالنسبة لإرادتك. لأنَّ الله يأمرك بالغفران، فأنت تستطيع أنْ تغفر. ربما يكون الآخر مُخطئ حقاً وموضوع تحت التأديب الكنسي أو حتى يقضي عقوبة قانونية. لكنَّ ليس هذا ما يعنيك بالدرجة الأولى؛ مسئوليتك هي إطلاقه من رغبتك في الانتقام منه. خذ هذا القرار الآن؛ مشاعر الغفران ستأتي في وقتها.

٦- خذ قائمتك أمام الله وصلي هكذا: "أنا أغفر *(لفلان)* لأنَّه *(الإساءة)*."إذا استمريت تشعر بالمرارة تجاه ذلك الشخص لبعض الوقت، قد تحتاج إلى مُشير مسيحي أو صديق مخلص يُصلي معك لأجل هذا الأمر (يعقوب ٥:١٦).

٧- مزق القائمة. أنت الآن حرّ لا تخبر الشخص المُسيء بما فعلت. غفرانك أمر بينك وبين الله فقط! الشخص الذي تحتاج أنْ تغفر له قد يكون ميت.

٨- لا تتوقع أنَّ قرارك بالغفران سينتج عنه تغيرات كبيرة في الأشخاص الآخرين. على العكس صلي من أجلهم (متى ٥:٤٤) حتى يجدوا هم أيضاً حرية الغفران (غلاطية ٥:١٣،١٤).

٩- حاول أنْ تتفهم الأشخاص الذين غفرت لهم؛ فهم أيضاً ضحايا.

١٠- توقع نتائج إيجابية للغفران في شخصيتك أنت. في الوقت المناسب ستتمكن من التفكير في الأشخاص الذين جرحوك بدون أنْ تشعر بالمرارة، أو الغضب أو السخط. سيُمكنك التواجد معهم دون أنْ تأخذ رد فعل سلبي تجاههم.

١١- أشكر الله على الدروس التي تعلمتها والنضوج الذي اكتسبته كنتيجة للألم وقرارك بالغفران للذين جرحوك (رومية ٨:٢٨،٢٩).

١٢- تقبل الجزء الذي يخصك في المسئولية عما حدث لك. أعترف

لله والآخرين (١يوحنا ١:٩) وأعلم أنَّ إذا كان لأحد عليك شيء، يجب أنْ تذهب لهذا الشخص (متى ٥:٢٣،٢٦).

لمسة ثانية

إحدى أكبر الأزمات الشخصية التي واجهتها في الخدمة كانت تدور حول موضوع الغفران وأحد أعضاء مجلس الكنّيسة سأدعوه «كالفن». كنت أصارع في علاقتي مع هذا الرجل فسألته إنْ كان من الممكن أنْ نتقابل أسبوعياً. كان عندي هدف وحيد، هو مُحاولة إقامة علاقة هادفة معه.

بعد حوالي أربع أشهر من اجتماعي الأسبوعي «بكالفن»، سألت مجلس الكنّيسة إنْ كان من الممكن أنْ أقود فريق سياحي من الكنّيسة للأراضي المقدسة. رفع «كالفن» يده قائلاً: "أنا أعترض لأنَّه إذا كان الراعي هو قائد الفريق فسيذهب مجاناً، فيكون ذلك كأنّنا نعطيه علاوة." بعد أنْ أكدت «لكالفن» وللمجلس أنّي سأتكفل بمصاريفي ولن أخذ عطلة إضافية للقيام بالرحلة، وافقوا.

بالرغم من الحمل الذي كنت أحمله في قلبي بسبب صراعي مع «كالفن»، فقد كانت رحلتي للأراضي المقدسة اختبار روحي رائع بالنسبة لي. في أثناء الرحلة سكبت قلبي بما يختص «بكالفن» لعدة ساعات أمام الرب. كنت أجلس هناك في كنيسة جميع الأمم، ناظراً إلى الحجر الذي يُقال أنَّ عرق المسيح نزّل فوقه كالدم وهو يصلي في البستان ويستعد ليحمل خطايا العالم. ثم أنهيت قائلاً لله إنْ كان المسيح قد استطاع حمل خطايا كل العالم، فبالتأكيد أنا أستطيع تحمل خطايا شخص واحد.

بعد رجوعنا بأسبوعين حول «كالفن» هجومه على راعي الشبيبة. وكان ذلك يكفي. فقد استطعت التعامل مع مُقاومة «كالفن» لي، لكنَّ مُحاولته لتدمير راعي الشباب أوصلتني للنهاية. وقررت تقديم استقالتي.

قبل أسبوع من ميعاد قراءتي للاستقالة أمام شعب الكنّيسة، أصبت

بحُمّى شديدة، وفقدت صوتي بالكامل وكنت مطروح على ظهري لا أستطيع الحركة. وبدأت أقرأ في الأناجيل حتى وصلت إلى مرقس ٨:٢٢- ٢٦ حيث شفى يسوع الرجل الأعمى. ولاحظت أنَّه بعد لمسة يسوع الأولى له قال الرجل: "أبصر الناس كأشجار..." (الآية٢٤). فجأة عرفت أنّي كنت أرى «كالفن» بهذه الطريقة، كشجرة كبيرة، كعائق يسد طريقي وأنَّ أغصانه تجرحني في كل مرة أقابله.

ثم لمس يسوع الرجل الأعمى مرة أخرى فبدأ يرى الناس كبشر وليس كأشجار. صليت باكياً: "يا رب، أنا أيضاً أحتاج إلى لمسة ثانية، الآن أرى أنَّك وضعت «كالفن» هنا لتحول نظري إلى هدفك من أجلي أنْ أكون الراعي الذي تريده". قررت في تلك اللحظة أنْ أغفر «لكالفن» تماماً.

الأحد التالي ذهبت للكنّيسة، لا للاستقالة لكنَّ للوعظ. كان صوتي لا يزال مُتعب، كنت تقريباً لا أستطيع الكلام. كانت وعظتي من مرقس ٨:٢٢-٢٦ عن جنوحنا للاستقلال بدلاً من الاعتراف بحاجتنا الكبرى لله والآخرين. واعترفت للشعب باستقلاليتي واحتياجي لأنْ يلمسني الرب لأرى الناس كبشر وليس كعوائق لأهدافي.

بعد نهاية العظة دعوت كل من يحتاج للمسة ثانية من الرب أنْ ينضم إلى عند المنبر. رنمنا ترنيمة واحدّة، بعدها اندفع الناس للأمام حتى امتلأت مُقدمة الكنّيسة. فتحنا الأبواب الجانبية وخرج الناس للصلاة في الحديقة المُحيطة. عدد قليل جداً هم الذين لم يتقدموا للصلاة. كانت نهضة!

مَنْ تتوقع كان من القليلين الذين لم يتقدموا؟ ربما كان «كالفن» لم يتغير لكنّني أعرف أنّي تغيرت. لقد استمريت في اتخاذ موقف ضد ما أعتقد أنَّه خطأ لأنّي لم أكن أنوي التهاون مع الخَطيِّة. لكنْ لم يعد رد فعلي مملوء بالمرارة. أشكر الله أنَّه طرحني على ظهري ليُغير رؤيتي «لكالفن» وليجعلني الراعي الذي يُريده.

١٢

علاج الرفض الموجود في علاقاتك

لقد تعرضت «روبي» في سنوات عمرها ال٤٠ للرفض أكثر من أي شخص سمعت عنه. لقد رفضتها أمها غير المُتزوجة قبل ولادتها، إذ أجهضتها وهي جنين في الشهر السادس لكنَّها عاشت بفضل معجزة، ثم تركتها لأبيها الذي تركها بدوره لأمه التي كانت متورطة في خليط غريب من العبادات والمُمارسات السحرية. لذا نشأت «روبي» في جو من الاختبارات الشيطانية الرهيبة.

تزوجت «روبي» وهي في سن ال١٤ لتهرب من منزل جدتها. في سن ال٢١ كان لديها خمسة أولاد، قد أقنعهم والدهم بأنَّها امرأة سيئة. بعد فترة تركها الكل، الزوج والأطفال الخمسة. بسبب شعورها بالرفض من الجميع قامت «روبي» بعدة مُحاولات فاشلة للانتحار. في تلك الفترة قبلت المسيح، لكنَّ الذين يعرفونها كانوا متخوفين من أنْ تحاول الانتحار مُجدَّداً، فكانوا يُشجعونها: "لا تُحاولي الانتحار، تمسكي بالحياة، فالأمور ستتحسن." لكنَّها كانت تسمع أصواتاً في رأسها تستهزئ بها وتدفعها للانتحار، كما كان هناك حضور روحي شرير ومُخيف يُخيِّم على منزلها.

حضرت «روبي» وهي في هذه الحال مؤتمراً لمدة أسبوع كنت أقوده في

كنيستها. في مساء الأربعاء تكلمت عن الغفران، وشجعت الحاضرين على كتابة أسماء الأشخاص الذين يجب أنْ يغفروا لهم، في منتصف المُحاضرة غادرت «روبي» المكان بسبب إحساسها بما يشبه أزمة الرّبو. في الواقع كان إبليس يُحاول جاهداً منعها من اختبار الحرية التي في المسيح التي كنت أتكلم عنها.

بعد ظهر الخميس جلست على انفراد مع «روبي» وأحد الرعاة لنقدم لها المشورة ونصلي من أجلها. عندما ابتدأنا بالكلام عن الغفران أخرجت «روبي» قائمة الأسماء التي كانت قد كتبتها ـ أربع صفحات من اسماء الأشخاص الذين قد جرحوها أو رفضوها على مر السنين! لا عجب إنْ كان لإبليس كل هذا النجاح في حياتها. في الحقيقة لقد رفضها الجميع.

قدناها في خطوات الغفران وخرجت من المكتب وهي حرة بالكامل. لقد عرفت لأول مرة أنَّ الله يُحبها ولن يرفضها أو يتركها أبداً. لقد عادت إلى منزلها فرحة ومُتحمسة، الأصوات الشريرة التي كانت في داخلها والحضور الشرير في منزلها قد تبدو.

لم يتعرض الكثيرون منا لهذا النوع من الرفض الشاذ الذي تعرضت له «روبي». لكنَّ جميعنا يعرف معنى التعرض للنقد أو الرفض أحياناً حتى من الأشخاص الذين نُريد أنْ نرضيهم بكل طاقتنا. لقد ولدنا وتربينا في جو عالمي يختار الأفضل ويرفض مَنْ هم في المرتبة الثانية. وبما أنَّه لا يوجد مَنْ يستطيع أنْ يكون الأفضل دائماً، فقد تعرضنا جميعنا للإهمال أو الرفض مرات من الأهل، أو المدرسين أو الأصدقاء.

الأكثر من ذلك، لأنَّنا مولودين في الخَطِيَّة فإنَّ الله نفسه كان رافضاً لنا إلى أنْ قَبِلنا في المسيح وقت خلاصنا (رومية ١٥:٧). من ذلك الوقت أصبحنا هدفاً لإبليس المُشتكي على الأخوة (رؤيا ١٢:١٠)، والذي لا يكف عن الكذب مُحاولاً إقناعنا أنَّنا لا نساوي شيئاً بالنسبة لله أو للآخرين. في هذه الحياة علينا جميعاً أنْ نحيا تحت آلام وضغط الرفض.

عندما تتعرض للنقد أو الرفض

الأفكار والمشاعر الناتجة عن الرفض، التي نُعاني منها جميعاً، يُمكنها أنْ تصبح عائقاً رئيسياً للنمو والنضوج إنْ لم نتعلم كيفية التعامل معها بطريقة إيجابية. للأسف بدلاً من أنْ نأخذ موقفاً إيجابياً، تعلمنا جميعنا منذ بدء حياتنا أنْ نستجيب للرفض باستخدام واحدة من الحيل الدفاعية الثلاث التالية (أنظر الرسم ١٢– أ). حتى المؤمنون معرضون لاتخاذ رد فعل دفاعي تجاه الرفض الذي يتعرضون له في الأسرة، أو المدرسة أو المجتمع بشكل عام.

اختراق النظام

نسبة صغيرة من البشر تُدافع عن نفسها ضد الرفض بالدخول في الصراع وتتعلّم المنافسة والتخطيط للتقدّم على الجميع. هؤلاء هم الأشخاص الذين يملكون القوة، ويكتسبون القبول، ويصارعون من أجل اكتساب قيمتهم بواسطة إنجازاتهم. فهم يشعرون دائماً أنَّهم مدفوعون للارتفاع فوق كل الظروف لأنَّ النجاح هو جواز مرورهم ليكونوا مقبولين. هؤلاء يتميزون بالميل للكمال، والانعزال العاطفي، والقلق والتوتر.

روحياً: الأشخاص المدافعين عن أنفسهم باختراق النظام يرفضون الخضوع لله كما أنَّ علاقتهم الشخصية معه ضعيفة. هؤلاء الأشخاص مُكرسين للتحكم والتلاعب بالآخرين والظروف ليُحققوا مصلحتهم الشخصية، لذلك يصعب عليهم تسليم زمام حياتهم لله. في كنائسنا يتحايل هؤلاء للوصول إلى منصب رئيس مجلس الكنيسة أو العضو الأكثر تأثيراً في اللجنة. أهدافهم ليست خدمة الله من خلال هذه المواقع لكنْ التحكم في المناخ المُحيط بهم لأنَّ قيمتهم كأشخاص تعتمد على ذلك. الأشخاص "المُخترقي النظام" هم من أكثر الناس شعوراً بعدم الأمان.

من المُحزن أنَّ استراتيجية التحكم في الآخرين بغرض الدفاع عن النفس

فهم الرفض

رومية ١٥: ٧

الظن أو الشعور بالرفض أو بعدم المحبة

⬇

التصميم على إرضاء الآخرين للحصول على استحسانهم

⬇

حدوث المزيد من الرفض، ينتج عنه اختيار واحد من المواقف الثلاثة

⬇

اختراق النظام *

يصبح الشخص جزءاً من النظام ويتعلم المنافسة أو التخطيط "للتفوق على الآخرين" ويصبح "مَن يجب إرضاءه"

في الغالب ينتج المزيد من الرفض بسبب تقلص القدرة على الأداء مع مرور الزمن

الاستسلام للنظام *

يستمر الشخص في الاجتهاد لإرضاء الآخرين لكنه يبدأ بالاعتقاد أنه يستحق الرفض وعدم المحبة

ينتج المزيد من الرفض لأن القبول لا يأتي لمن يرفضون أنفسهم

التمرد على النظام *

الشخص يُحارب النظام ويقول: "أنا لا أحتاج أو أريد محبتك." والبعض يرتدون أو يتصرفون بطرق تعبر عن تمردهم

ينتج المزيد من الرفض لأن المتمرد يدفع الآخرين للدفاع عن النظام الذي يتمرد عليه

النتائج العاطفية

⬇ اختراق النظام:

عدم القدرة على التعبير عن المشاعر
الإنعزال العاطفي
الميل للكمال
القلق

⬇ الاستسلام للنظام:

الشعور بالقلق وصغر النفس الذاتية
الاستبطان (فحص المرء أفكاره ودوافعه ومشاعره).
إدانة الذات

⬇ التمرد على النظام:

يتمنى لو لم يولد
عدم الانضباط
عدم المسئولية
كراهية الذات
المرارة

الموقف ورد الفعل تجاه الله

⬇ اختراق النظام: يرفض الخضوع لله، علاقته الشخصية ضعيفة بالله

⬇ الاستسلام للنظام: يعكس صورة الأب الأرضي وتصرفاته على الله، لا يستطيع الثقة بالله

⬇ التمرد على النظام: يرى الله كطاغية ويتمرد عليه

*النظام الأسري هو الأكثر تأثيراً يليه النظام المدرسي ثم النظام الاجتماعي بشكل عام.

الرسم ١٢-أ

لا تنتج غير تأجيل رفض الآخرين المحتوم، ففي آخر الأمر ستتقلص قدرت الشخص على التحكم في أسرته، ومخدُوميه وكنيسته، ويأخذ مكانه شخص أصغر وأقوى في قدرته على التحكم في الآخرين. البعض يُمكنه التغلب على أزمة مُنتصف العمر هذه، لكنَّ الكثيرين مِمَنْ ينجحون في الاحتفاظ بمراكزهم إلى سن التقاعد لا يتمتعون بنتائج ما حققوه. تُظهر الدراسات أنَّ أصحاب الإنجازات الأقوياء يعيشون في المتوسط ثمانية أشهر بعد تقاعدهم، لأنّه لم يعد لديهم القدرة على التحكم في عالمهم لذا يموتون.

الخضوع للنظام

قال لي شاب في المدرسة الثانوية: "أيها القس، أنا فاشل"، وأكمل شارحاً لي كيف أنَّه أراد أنْ يكون لاعب كرة لكنَّه طُرد من الفريق. وبدلاً من أنْ يكون رياضياً تحت الأضواء، كان عليه أنْ يقبل الجلوس كعضو في فريق المُشجعين. وكيف أنَّ المُشجعين يعتبرون بالنسبة للاّعبين من الخاسرين في الحياة.

معظم الناس اليوم يفعلون مثل هذا الشاب، يستجيبون للرفض بالاستسلام للنظام. فيستمرون في بذل الجهد لمُحاولة إرضاء الآخرين، لأنَّ فشلهم يدفعهم للاعتقاد بأنَّهم فعلاً غير محبوبين ومرفوضين. النظام يقول أنَّ الأفضل، والأقوى، والأكثر جمالاً والأكثر موهبة هو وحده جزء من اللعبة. ومَنْ لا تنطبق عليه هذه المواصفات ـ أي غالبيتنا ـ هو خارج اللعبة، ونضطر للخضوع لمقاييس المجتمع الخاطئة في الحكم على قيمتنا الشخصية. نتيجة لذلك الكثير من البشر يتألم من الشعور بعدم قيمة الذات، وصغر النفس وإدانة الذات.

هؤلاء الأشخاص أيضاً يُعانون من مشاكل في علاقتهم مع الله، فهم يميلون لإلقاء اللوم على الله بسبب حالتهم ويجدون صعوبة في الثقة به، فهم يصرخون: "لقد جعلتنا مُشجعين حقيرين بدلاً من أنْ تجعلنا لاعبين ناجحين، إذا أعطيناك مكاناً في باقي مجالات حياتنا كيف نتأكد من أنَّك لن تجعلنا أيضاً من الخاسرين؟"

بالاستسلام لمقاييس النظام الخاطئة، لا يُمكن لهؤلاء الأشخاص النظر إلى المستقبل إلا بمزيد من التوقع للرفض. لقد قبلوا الكذبة إلى درجة أنَّهم يرفضون أنفسهم. لذلك أي قبول أو نجاح يأتي في طريقهم يكون موضع شك وتساؤل على أساس ما يشعرون به فعلياً عن أنفسهم.

التمرد على النظام

يتزايد هذا القطاع من المجتمع منذ ١٩٦٠ هؤلاء هم المُتمردون الذين يستجيبون للرفض بالقول: "لا أحتاجك، ولا أحتاج محبتك". لكنَّهم في داخلهم يتوقون لأنْ يكونوا مقبولين، لكنَّهم يرفضون الاعتراف باحتياجهم، وهم يُحاولون التقليل من شأن مُقاوميهم، ويلبسون ويتصرفون بطرق تُظهر اعتراضهم على ما ألفه مجتمعهم.

إذا وُجه إليك النقد... وكان النقد صحيحاً
فإنَّ أي مُحاولة منك للدفاع ستكون في أحسن الأحوال
مُجرد تبرير مقنع منطقياً لكنَّه غير حقيقي،
أو على أسوء تقدير سيكون كذب.

يتميز المتمردون بالشعور بالمرارة وكراهية الذات، ويتمنون لو لم يولدوا. هم غير مسؤولون وغير ملتزمون. هم يرون الله وكأنَّه طاغية، أو شخص آخر يريد سحقهم.

الدفاع هو عدم الدفاع

هناك سببان لعدم احتياجك لرد فعل دفاعي تجاه العالم في نقده وتقييمه السلبي لك.

الأول، إذا كنت على خطأ فأنت لا تملك دفاعاً. إذا وُجه إليك النقد بسبب

قولك أو فعلك لأمر خطأ، وكان النقد صحيحاً، فإنَّ أي مُحاولة منك للدفاع ستكون في أحسن الأحوال مُجرد تبرير مُقنع منطقياً لكنَّه غير حقيقي، أو على أسوء تقدير سيكون كذب. يجب أنْ يكون رد فعلك في تلك الحالة هو: "أنت على حق؛ أنا مُخطئ"، واتخاذ خطوات لتحسين شخصيتك وسلوكك.

الثاني، إذا كنت على صواب فأنت لا تحتاج إلى دفاع. يُشجعنا بطرس على اتباع مثال يسوع "الذي إذْ شُتم لم يكن يشتم عوضاً وإذْ تألّم لم يكن يُهدد بل كان يُسلم لمَنْ يقضي بعدل" (١بطرس ٢:٢٣). إذا كنت على صواب، فأنت لا تحتاج للدفاع عن نفسك. القاضي العادل الذي يعلم مَنْ أنت وماذا فعلت، هو الذي سيُبرّئك.

في بداية خدمتي الرعوية كنت مسؤولاً عن مجموعة من المُتطوعين في خدمة الشباب في كنيستنا، وكانت «أليس»، المسئولة عن خدمة الفتيات، من بينهم. كانت مؤمنة رائعة ولها مواهب عديدة، لكنْ للأسف لم يكن من بينها حسن الإدارة التي تُمكّنها من إتمام العمل. كانت تُصارع في خدمتها شاعرة باليأس وبأنَّها ليست في المكان الصحيح. ولأنَّ الأمور لم تكن جيدة، كانت تحتاج «أليس» لشخص تُفرغ فيه غضبها، ووقع عليَّ الاختيار. "أُريد أنْ أراك" قالت لي يوماً وهي مُنفعلة، فحددنا موعداً.

عندما جلسنا معاً وضعت ورقة على الطاولة. قائلة: "«نيل» لقد كتبت كل صفاتك الحسنة والسيئة." نظرتُ إلى الورقة ورأيت عمودين، كان هناك نقطة واحدة في عمود الصفات الجيدة، لكنَّ عمود الصفات السيئة كان مملوءاً على وجهي الورقة حتى نهايتها. قرأت النقطة الجيدة أولاً، ثم قرأت كل النقاط السيئة واحدة فواحدة.

الجانب الترابي مني كان يُريد أنْ يرد بالدفاع تجاه كل واحد من اتهاماتها. لكنَّ الجانب الروحي ظل يُلح عليَّ "أغلق فمك يا «اندرسون»"، فجلست أستمع لها باهتمام حتى أفرغت ما لديها.

في النهاية قلت لها: "«أليس» يبدو أنَّكِ احتجتِ إلى شجاعة كبيرة حتى تأتي وتُشاركيني بهذه القائمة. ما الذي تقترحين عليَّ فعله؟"

كان سؤالي مُفاجأة بالنسبة لها وبدأت تبكي قائلة: "كل هذا ليس أنت يا «نيل»، بل أنا." في الواقع، لم يكن هذا أيضاً حقيقي، كان هناك بعض الحقيقة في كل من الانتقادات التي وجهتها لي. لو دافعت عن نفسي تجاه أي واحدة منها، لازدادت «أليس» تصميماً على إقناعي بمدى خطئي، لكنَّ انفتاحي في تلقي نقدها أعدّ الطريق لتَحوّل الحديث لمُناقشة يأسها في الخدمة. بعد هذه الجلسة بأسبوعين استقالت من خدمة الشابات، وهي الآن تتمتع بوقت رائع في خدمة الرب في المجال المُناسب لمواهبها.

إذا استطعت تعلّم عدم اتخاذ رد فعل دفاعي عندما يُعري شخصاً ما عيوب شخصيتك أو يُهاجم تصرفاتك، قد تستطيع تحويل الموقف إلى فرصة لخدمة هذا الشخص. لست مُجبراً للرد على الرفض الموجه إليك باختراق النظام، أو الاستسلام للنظام أو التمرد على النظام. إنَّ النظام الذي يتّبعه العالم لتحديد قيمتك كشخص، ليس هو ما يُحدد قيمتك. كتب بولس: "فكما قبلتم المسيح يسوع الرب اسلكوا فيه متأصلين ومبنيين فيه وموطدين في الإيمان..." (كولوسي ٢:٦،٧). إنَّ ولاءك هو للمسيح ربّك، وليس للعالم.

يُكمل بولس: "انظروا أنْ لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح" (الآية ٨). يوجد في الخارج نظام عالمي مؤثر، لكنَّك لا تحتاج للاستجابة لهذا النظام لأنَّك لست من هذا النظام، أنت في العالم لكنَّك لست من هذا العالم (يوحنا ١٧:١٤-١٦)، أنت في المسيح. إذا وجدت نفسك تستجيب للرفض برد فعل دفاعي، دع هذا يُذكرك بضرورة التركيز على الأمور التي تبني وتُوطّد إيمانك.

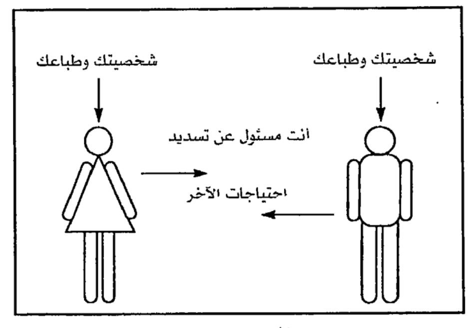
عندما تتعرض لتجربة نقد أو رفض الآخرين

الرفض طريق مزدوج الاتجاه، أي يُمكنك أنْ تحصل عليه كما يُمكنك أنْ تعطيه. لقد تكلمنا عن رد فعلك تجاه الرفض الذي تتعرض له من النظام العالمي. الآن لنتكلم عن رد فعلك عندما تتعرض لتجربة نقد أو رفض الآخرين.

عندما كنت راعياً تلقيت مُكالمة تليفونية بائسة من النوع الذي لا يرغب ولا حتى رجال الشرطة تلقيه. "قسيس يجب أنْ تأتي إلى هنا الآن وإلاّ قتلنا بعضنا البعض" قال الزوج، وكنت أسمع صراخ زوجته في الخلفية.

عندما وصلت أقنعت «فرِد» و«سو» بالجلوس إلى الطاولة في مواجهة بعضهما للتحدث عن مشاكلهما. جلست في الطرف الآخر من الطاولة. صرخا لعدة دقائق كل واحد على الآخر طاعناً إياه بالاتهامات والشتائم.

في النهاية قاطعتهما قائلاً : "توقفا! «سو» لماذا لا تضعين القهوة على النار. وأنت يا «فرِد» أحضر ورقة وقلم. وليحضر كل منكما كتابه المُقدّس." عندما اجتمعنا على الطاولة مرة أخرى رسمت لهما رسم مُبسط (أنظر الرسم ١٢ – ب).وشاركتهما من كلمة الله.



الرسم ١٢-ب

طلبت من «فرد» قراءة رومية ٤:١٤ :"مَنْ أنت الذي تدين عبد غيرك. هو لمولاه يثبت أو يسقط. ولكنَّه سيثبت لأنَّ الله قادر أنْ يثبته."

قلت لهما: "هذه الآية تتكلم عن إدانة ونقد شخصية إنسان آخر أمام الله كل واحد منكما مسئول عن طباعه الشخصية." أشارا بموافقتهما.

ثم سألت "سو" أنْ تقرأ فيلبي ٣:٢ :"لا شيئا بتحزب أو بعجب بل بتواضع حاسبين بعضكم البعض افضل من أنفسهم."

أكملت قائلاً: "هذه الآية تتحدث عن مسئولية كل واحد منكما أمام الله عن تسديد أحتياجات الآخر". وافقا أيضاً علي هذا بدون تعليق.

"هل لاحظتما ما كنتما تفعلانه في الساعتين الأخيرتين؟ بدلاً من أنْ يتحمّل كل منكما مسئوليته عن طباعه الشخصية، كان كل منكما يُمزّق شخصية شريكه. بدلاً من تسديد احتياج الآخر، كنتما مبتلعين من أنانيتكما، ولا عجب أن كان زواجكما مُتعثّر. لقد حولتما خطة الله «أ» بالنسبة للعلاقات إلى كارثة الخطة «ب»!" قبل أنْ أغادرهما صليا مكرسين نفسيهما للتركيز على مسئولياتهما بما يتوافق مع كلمة الله.

ما هو نوع العائلات والكنائس التي سنحصل عليها إنْ تحمّل كل منا مسئوليته عن صفاته الشخصية وفكر في تسديد احتياجات مَنْ يحيا معهم؟ سنُشابه السماء. لكنْ بدلاً من أنْ نُكرّس أنفسنا لتنمية وتطوير شخصياتنا وتسديد احتياجات الآخرين، نخضع لحث إبليس لنا على نقد شخصية الآخرين والسعي في أنانية لنُسدد احتياجاتنا الخاصة. سنشجع بعضنا بعضاً على النمو والنضوج إنْ نحن طبّقنا الأمر الأول.

التركيز على المسئوليات

طريقة أخرى خدعنا بها إبليس في علاقتنا الشخصية وهي إغراءنا بالتركيز على حقوقنا بدلاً من مسئولياتنا. مثلاً، قد ينفجر زوج في زوجته غاضباً لأنَّه يشعر أنَّ من حقه أنْ تخضع له. أو تتذمر زوجة على زوجها لأنَّها تتوقع منه أنْ

يكون قـائداً روحـيـاً، أو يُهـدد الآباء الأبناء لأنَّهم يرون أنَّ من حـقـهم المُطالبـة بالطاعة، أو يتذمر الأعضاء في الكنيسة المحلية عندما يشعرون أنَّ حقوقهم قد أنتُهكت من قبل الراعي، أو المجلس أو أعضاء آخرون.

في ترتيب الله، تتميمنا لمسئولياتنا هو محور اهتمامنا وليس تأكيدنا على حقوقنا. ليس من حق الأزواج الحصول على زوجات خاضعات، لكنَّ من واجبهم أنْ يكونوا أزواجاً مُحبين ومُهتمين. القيادة ليست حق يُطالب به لكنْ مسئولية ضخمة يجب تتميمها.

بالمثل، فـالزوجـات ليس من حـقـهن الحـصـول على أزواج روحـيين لكنَّ مسئولياتهن أنْ يكنّ خاضعات ومُتعاونات. ليس حق الأباء تربية أبناء خاضعين، لكنَّ مسئوليتـهم تربيتهم في تأديب الرب وإنذاره. أنْ يكون الشخص عضو في جسد المسيح وفي كنيسة محلية فهذا امتياز عظيم وليس حقاً يُستغل. هذا الامتياز تأتي معه المسئولية الكبرى في السلوك كابن لله، ومحبة البشر. عندما نقف أمـام المسيح لن يسـألنا إنْ كنا قـد حـصلنا على كـامل حـقـوقنا، لكنَّه سيكافئنا على حسن قيامنا بمسئولياتنا.

لا تلعب دور الضمير

لقد تربيت في جو يتمتع بمستوى أخلاقي عالٍ، حتى أنّني كنت أذهب للكنيسة، لكنّني لم أكن مسيحياً. في تلك الأيام كنت أستمتع جداً بشرب البيرة، خاصة في الأيام الحارة بعد قص الحشائش. عندمـا قبلت المسيح وأنا شاب، كنت عضو في كنيسة تُعلّم بضرورة الامتناع نهائياً عن تناول أي مشروب يحتوي على الكحول. لم أكن سكيراً لذلك حذفت هذه القاعدة واحتفظت بشرب البيرة.

بعد عامين بكّتني الرب على شربي للبيرة، مع التبكيت أتت القوة للطاعة، فأقلعت عن شربها. المشكلة الوحيدة هي أنّني كنت قد اشتريت أربعة صناديق بيرة. بعد عام عندما نقلت إلى كلية اللاهوت أعطيتها للشباب الذين ساعدوني في النقل وتركتهم ليصارعوا هم مع ضميرهم!

أحياناً نُجرِّب بلعب دور الروح القدس أو الضمير في حياة الآخرين في مواضيع غير واضحة في الكتاب المُقدّس مثل: "المسيحيون لا يشربون الكحول ولا يُدخنون"؛ "يجب أنْ تقضي يومياً ٣٠ دقيقة على الأقل في الصلاة وقراءة الكتاب المُقدّس"؛ .... أنا مُقتنع بأنَّ الروح القُدس يأتي بالتبكيت في الوقت المناسب في الموضوعات المُتعلّقة بالضمير، فهذا جزء من عملية التقدّيس التي يُشرف هو عليها بالكامل.

عندما نُحاول أنْ نلعب دور الروح القُدس فنحن لا نوصل إلاّ النقد والرفض للآخرين. عملنا هو أنْ نُحيط الآخرين بالقبول وندع الروح القُدس يعمل عمله في الوقت المناسب.

تأديب نعم، دينونة لا

هل هناك أوقات يجب على المسيحيين أنْ يواجهوا فيها بعضهم البعض فيما يختص بالسلوكيات؟ نعم. الله يُطالبنا بمواجهة وإصلاح مَنْ يتعدّون بوضوح الحدود الكتابية. علّم يسوع: "وإنْ اخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما، إنْ سمع منك فقد ربحت أخاك. وإنْ لم يسمع فخذ معك أيضاً واحدا أو اثنين لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة" (متى ١٦،١٨:١٥).

لكنْ دعني أنبّهك لفرق هام في هذا المجال وهو أنَّ التأديب يتعلق بمواجهة سلوكاً تُلاحظه ـ أي ما كنت أنت شاهد عيان عليه (غلاطية ٦:١)؛ لكنَّ الدينونة تتعلق بالشخصية. لقد أُوصينا بمواجهة الآخرين فيما يتعلق بالخطايا التي نراها في سلوكهم، لكنّه غير مسموح لنا بإدانة الطباع الشخصية للآخرين (متى ٧:١؛ رومية ١٤:١٣). تهذيب السلوك هو مسئوليتنا، لكنْ إدانة الشخصية هو عمل الله.

مثلاً، لنفترض أنَّك أمسكت ابنك وهو يكذب، وتقول له: "أنت كذاب". هذه دينونة، أنت تُهاجم شخصيته. لكنْ إنْ قلت له: "ما تقوله كذب"، هذا تهذيب، فأنت تضعه أمام مسئوليته عمّا لاحظته من سلوك خطأ.

أو لنقل أنَّ صديقاً مسيحياً اعترف لك بالتلاعب في دفع ضرائبه. إذا واجهته كلص فأنت تُدين شخصيته وهذه ليست مسئوليتك. تستطيع فقط مواجهته على أساس ما تراه: "بالغش في دفع ضرائبك أنت تسرق الحكومة وهذا خطأ".

يجب مُواجهة الناس بمسئولياتهم عن سلوكهم،
لكنْ غير مسموح لنا مُطلقاً بتشويه شخصياتهم أو سمعتهم.

تأديبك لشخص ما يجب أنْ يكون مبنياً على أمر قد رأيته أو سمعته شخصياً، وليس على ما تفترضه أو تسمعه من الآخرين. إذا واجهت سلوكه ولم يستجب لك، عليك في المرة التالية أنْ تأتي باثنين أو ثلاثة شهود ـ ليس على مواجهتك له، لكنْ على خَطيِّته. لكنْ إنْ كنت أنت شاهد العيان الوحيد فواجهه على انفراد، ودع الأمر عند هذا الحد. في كل مرة يراك فيها سيُذكّره الله بخَطيِّته. في النهاية إما يتغيّر أو يرحل.

الكثير مما نُسميه تأديب ما هو إلاّ قتل للشخصية. نحن نقول لأولادنا الغير خاضعين: "أنت غبي"؛ "أنت طفل سيئ"؛ "أنت بلا نفع". ونقول لأخوتنا وأخواتنا المؤمنين عندما يسقطون: "أنت لست مسيحياً صالحاً"؛ "أنت لص"؛ "أنت شهواني وعِرْبيد". مثل هذه الكلمات لا تُصلح ولا تبني، لكنَّها تهدم الشخصية وتعطي شعوراً بالرفض للشخص ولمشكلته. ابنك ليس كذاباً، إنَّه ابناً لله لكنَّه قال كذبة. صديقك المؤمن ليس لصاً، لكنَّه ابناً لله أخذ شيئاً ليس من حقه. المؤمن الذي ضبط في موقف لا أخلاقي ليس مُنحرفاً، لكنَّه ابناً لله ساوم على طهارته. يجب مُواجهة الناس بمسئولياتهم عن سلوكهم، لكنْ غير مسموح لنا مُطلقاً بتشويه شخصياتهم أو سمعتهم.

عبِّر عن احتياجك بلا دينونة

إنْ كانت لك حقوقاً مشروعة، لكنَّها لم تُستوفى، هل يجب أنْ تُخاطر بالمُطالبة بها وكأنَّك تُبدي النقد أو الرفض للآخر؟ نعم، لكنْ عبِّر عن حقوقك دون الطعن في شخصية الآخرين. مثلاً: تشعر أنَّك غير محبوب في علاقة ما، لذلك تقول: "لم تعد تُحبني". أو تشعر أنَّ زوجتك لا تُقدرك، فتقول: "أنتِ تجعليني أشعر كأنّي بلا قيمة". أو تشعر بازدياد المسافة بينك وبين صديق ما، لذلك تقول له: "أنت لم تتصل أو تكتب لي أبداً". لقد عبَّرت عن احتياجك لكنَّك طعنت الآخر في أثناء ذلك. أنت تستولي على دور الضمير في حياة هذا الشخص، ولأنَّك طرحت احتياجاتك كأنَّها مشكلة الآخر فغالباً ما سيكون رد فعله هو الدفاع عن نفسه، مما يُزيد من توتر العلاقة.

ماذا لو عبرت عن احتياجاتك هكذا : "لم أعد أشعر أنّني محبوب"؛ "أشعر كأنّني بلا قيمة"؛ "اشتقت إليك فنحن لسنا على اتصال دائم"؟ بتغيير صيغة الاتهام "أنت ..." إلى "أنا ..."، أنت تُعبِّر عن احتياجاتك دون أنْ تلوم أي شخص. أسلوبك الخالي من الدينونة يسمح لله بالتعامل مع ضمير الآخر ويُحوِّل الخلاف المُحتمل إلى فرصة للخدمة، كما أنَّ الشخص الآخر يكون حراً في التجاوب مع احتياجاتك بدلاً من الدفاع عن نفسه ضد هجومك.

لدى جميعنا احتياجات رئيسية لأنْ نكون محبوبين، ومقبولين ومهمين. عندما لا تُسدد هذه الاحتياجات من المهم جداً أنْ نُعبِّر عن ذلك بطريقة إيجابية لأفراد عائلاتنا ولَنْ نحن في شركة مسيحية معهم ونترك لهم الفرصة ليخدمونا في هذه المجالات. أؤمن أنَّ أساس جميع التجارب هو احتياجات رئيسية غير مُسددة. عندما يمنعك كبرياؤك من أنْ تقول: "لا أشعر أنّني محبوب"، أو عندما تدفع الآخرين بعيداً بقولك: "أنتم لم تعودوا تحبونني"، فإنَّ احتياجك للحب لا يُسدد. لذلك يأتي إبليس بالبديل كتجربة: "زوجتك لا تُحبك كما يجب. لكنْ هل لاحظت بريق الإعجاب في عيني سكرتيرتك؟"

المصدر الأول الذي يُسدد الله بواسطته احتياجاتك ويحفظك طاهراً هو المؤمنون الآخرون. المشكلة هي أنَّ الكثيرين يذهبون إلى مدارس الأحد، أو للكنيسة أو لدرس الكتاب وهم يرتدون أقنعة مُزيَفَة. يُريدون إظهار القوة والتّماسك، لكنَّهم يحرمون أنفسهم من فرصة تسديد احتياجاتهم في دفء وأمان الشركة المسيحية، ويحرمون مجتمعهم من فرصة خدمة احتياجاتهم ـ التي هي واحدة من الأسباب الرئيسية التي جمعنا الله في الكنيسة من أجلها. بإنكارك شركة المؤمنين تفقد امتياز تسديد احتياجاتك المشروعة، وتكون في استقلال عن الله وتصبح مُعرّضاً للحصول على احتياجاتك من العالم، أو الجسد أو الشيطان.

ذات مرة علّق أحد الرعاة ساخراً: "لو لا الناس لكانت الخدمة مهنة جيدة". قد تكون قلت شيئاً مُشابها: "لو لا الناس لكان النمو في المسيح أمراً سهلاً". لكنَّنا نعلم أنَّ اتباع المسيح يتضمن البعدين الرأسي والأفقي ـ محبة الله ومحبة الناس. من المهم أنْ تعرف أنَّ الله يعمل في حياتنا من خلال العلاقات المُلزمة. ما هو أفضل مكان لتعلّم طول الأناة، واللطف، والغفران وروح الفريق، الخ، هل هو مكان العمل؟ العلاقات المُلزمة قد تكون في غاية الصعوبة إنْ لم نتقبّل مسئولياتنا في النمو ومحبة الآخرين. لكنْ هل يُمكنك الالتزام بهذا؟ تذكر أنَّ: لا أحد يُمكنه تحديد هُويّتك غيرك أنت والله ورد فعلك تجاهه.

واحد من تلاميذي قدّم لي هذه الأبيات مُصراً أنَّها وصفاً لي، أتمنى أنْ يكون مُحقاً، أشاركها معكم لأنّي أؤمن أنَّها تُقدّم نظرة مُفيدة لعلاقاتنا الشائكة أحياناً كمسيحيين:

الناس غير منطقيين وغير مُبالين ولا يُفكرون
سوى في أنفسهم، لكنْ حبهم على كل حال.
عندما تعمل الخير ويتّهمك الناس بالأنانية
والدوافع الخفية،افعل الخير على كل حال.

عندما تنجح ستربح أصدقاء مُزيّفين وأعداء
حقيقيين، لكنْ انجح على كل حال.
الخير الذي تفعله اليوم سيُنسى غداً،
لكنْ افعل الخير على كل حال.
الأمانة والصدق يجعلانك عرضة للجراح، لكنْ
كن أميناً وصريحاً على كل حال.
الأشخاص العظماء ذوي الأفكار العظيمة قد
يقتلهم الأشخاص الصغار
ذوي الأفكار الصغيرة،
لكنْ لتكن أفكارك عظيمة على كل حال.
الناس يظلمون الخاسرين ويتبعون الرابحين،
لكنْ حارب من أجل الخاسرين على كل حال.
ما تقضي سنوات في بنائه قد يُدمّر في ليلة،
لكنْ ابنِ على كل حال.
الناس يحتاجون للمُساعدة، لكنَّهم قد
يُهاجمونك إنْ ساعدتهم،
لكنْ ساعد الناس على كل حال.
أعط العالم أفضل ما عندك
وسيعطيك الركل في الوجه، لكنْ أعط العالم
أفضل ما عندك على كل حال.(i)

أي شخص يستطيع أنْ يجد عيوب في شخصية أو سلوك مؤمن آخر. لكنَّنا نحتاج لنعمة الله لنرى خلف بطرس المُندفع صخرة كنيسة أورشليم. هناك حاجة لنعمة الله لنرى خلف شاول المُضطهد بولس الرسول. أنت تحيا يوماً بيوم مع أشخاص يكونون أحياناً أقل من مستوى القداسة في سلوكهم اليومي ـ ويرونك بنفس الصورة ـ أقول "لتكثر لكم النعمة والسلام" (٢بطرس١:٢).

(i) المؤلف والمصدر غير معروف

١٣

البشر ينمون أفضل معاً

في شهر يناير من كل عام يكون لي امتياز اصطحاب ٢٤ طالباً من كلية اللاهوت إلى مركز «چوليان» بالقرب من «سان دي ياچو، بكاليفورنيا»، حيث نعيش وندرس معاً لمدة أربعة أسابيع. صديقي «يدك داي» الذي أسس مركز «چوليان» برؤية تعليم المسيحيين في جو من العلاقات الحميمة، يأتي بمجموعات من المؤمنين للحياة والدراسة معاً لمدة ١٢ أسبوع، لكنَّه في شهر يناير ينضم إليَّ في مُحاضرات مختصرة لتعليم طلبة اللاهوت.

لأقدّم بُعد العلاقات أبدأ فترة الخلوة بتقسيم الطلبة إلى مجموعات من ثلاثة أشخاص، لأضعهم في جو مُطمئن وأمرنّهم على إقامة علاقات هادفة. وغالباً ما أنهي الاختبار بسؤالهم أنْ يُحددوا شعور واحد اختبروه، الرد المعتاد يكون "الفرح"، "القبول"، "السلام"، الخ، لكنَّ البعض يعترفون بالخوف إلى حد ما.

ذات مرة أدهشني شاب اسمه «داني» عندما ردّ بأنَّ شعوره هو "الملل". لم يتعلم «داني» كيفية التواصل مع الآخرين. كان يُريد السلام مع مَنْ حوله لكنَّه لم يكون يُريد مُجتمَعَاً يتفاعل معه. كان يعتبر مُحاولاتي لبنيان الألفة والعلاقات بين الطلبة مضيعة للوقت. على مر الأيام تقارب الطلبة الباقون، لكنَّ «داني» ظل

بعيداً ومتحفظاً.

بعد أسبوعين بدأت مقاومة «داني» تنهار، فقد بدأ يرى أنَّ النمو والنضوج الروحيين يحدثان بشكل أفضل في مُجتمع من الناس يعرفون ويقبلون بعضهم بعضاً. وعندما فتح «داني» قلبه أخيراً لزملائه الطلبة، بدأ يستفيد فعلاً من المُحاضرات.

بعد الشهر الذي أمضاه في مركز «چوليان»، عاد «داني» برؤية جديدة إلى مجموعة رجال الأعمال التي كان يُتلمذها وقال لهم: "لقد تقابلنا على مدى عام حتى الآن، لكنّني لا أعرف ما الذي يُثير حماسكم، أو ما هي حياتكم العائلية، كذلك أنتم لا تعرفون شيئاً عني. يجب أنْ نتحرك أبعد من مُشاركة المعلومات ونبدأ في مُشاركة حياتنا مع بعض." لقد تعلّم «داني» سر بولس في التلمذة:"هكذا إذ كنا حانّين إليكم كنا نرضى أنْ نعطيكم لا إنجيل الله فقط بل أنفسنا أيضاً لأنكم سرتم محبوبين إلينا" (١تسالونيكي ٢:٨).

العلاقات : نبض النمو والنضوج

أكثر سؤالين يُوجهان لي عن خدمة التلمذة هما "أي منهاج تستعمل؟" و"أي برنامج تتبع؟" ردي هو إنْ لم يكن منهجك الأساسي هو الكتاب المُقدّس وإنْ لم يكن برنامجك في الأساس قائماً على العلاقات فما تفعله ليس تلمذة.

إنَّ منهاج التلمذة ليس المشكلة، فهناك الكثير من المناهج الدراسية المُشجّعة على النمو الروحي المبنية على الكتاب المُقدّس. الحلقة المفقودة في التلمذة هي في الأغلب التفاعل الشخصي. فكثيراً ما نتسرّع بدفع كتاب بين يدي شخص ما ونقول له: "هذا سيعرفك ما يجب عليك فعله لكي تنمو في المسيح". لكنّنا نبطئ في أنْ نُلزم أنفسنا بشخص ما ونقول له: "لنُشارك بعضنا البعض ما يفعله المسيح في حياتنا ولنُساعد بعضنا على النمو فيه".

التلمذة هي نشاط مُكثّف لشخصين أو اكثر لمُساعدة بعضهما البعض على اختبار علاقة أعمق مع الله. دعوة يسوع الرئيسية لتلاميذه نراها في كلماته

"تعالوا إليَّ" (متى ١١:٢٨) وفي "هلم ورائي" (متى ٤:١٩). يُسجل لنا مرقس: "أقام اثني عشر ليكونوا معه وليرسلهم. ليكرزوا ويكون لهم سلطان على شفاء الأمراض وإخراج الشياطين" (مرقس ١٤:٣،١٥). لاحظ أنَّ علاقة يسوع مع تلاميذه فاقت تكليفه لهم. التلمذة هي كيان قبل أنْ تكون فعل، نضوج قبل أنْ تكون خدمة، طباع شخصية قبل أنْ تكون مهنة.

كل مسيحي بما فيهم أنت، هو تلميذ ومُعلّم في سياق علاقاته المسيحية. لديك امتياز ومسئولية عظيمة بأنْ تكون مُعلّماً وتلميذاً لما يعني أنْ تكون في المسيح، والحياة بالروح والحياة بالإيمان. قد يكون لك دور في عائلتك، أو في كنيستك أو مجتمعك المسيحي يضع عليك مسئولية مُحددة في تلمذة الآخرين، كدور الزوج/الأب، أو الراعي، أو مُدرّس في مدارس الأحد أو قائد مجموعة تلمذة، الخ. لكنْ حتى وإنْ كنت شخصاً مرسوماً لتلمذة الآخرين فأنت لن تكف أبداً عن أنْ تكون تلميذاً يتعلم وينمو في المسيح من خلال علاقاتك. وبالعكس، قد لا يكون لك الصفة "الرسمية" للقيام بتلمذة أي شخص، لكنَّك لن تكف أبداً عن أنْ تكون "مُتلمذاً". لديك فرصة مُساعدة أولادك، وأصدقائك والمؤمنين الآخرين على النمو في المسيح من خلال اهتمامك بهم والتزامك بعلاقات هادفة معهم.

بالمثل كل مسيحي في سياق علاقاته المسيحية هو مُشير ومُتلقي مشورة معاً. تذَكّر أنَّ الفرق بين التلّمذة و المشورة هو أنَّ التلّمذة تنظر إلى المستقبل لتولّد نمواً ونضوجاً روحيين؛ والمشورة تنظر إلى الماضي لتُصلح المشكلات وتُقوّي مناطق الضعف. إنَّ دورك أو مستوى نموك يُحتّم عليك القيام بالكثير من المشورة المسيحية، لكنْ يبقى هناك أوقاتاً تحتاج فيها لمشورة المسيحيين الآخرين. أو قد تكون مؤمناً جديداً أو خلفيتك مملوءة بالمشاكل وتتلقّى مشورة مُكثّفة، لكنْ كن يقظاً للفرص التي يمنحها لك الله لتُقدّم المشورة النافعة للمؤمنين الآخرين الموجودين حولك.

في هذا الفصل الأخير أود تزويدك بخطوط عريضة للتلمذة والمشورة التي نتشارك فيها جميعاً في المجتمع المسيحي. إنْ كنت مُعلماً أو مُشيراً "رسمياً" أو إنْ كنت "مُجرد" مسيحي في طور النمو لكنَّك مُلتزم بمُساعدة الآخرين على النمو في النضوج والحرية التي في المسيح، خطوات التلمذة ومفاهيم المشورة التالية ستُعطيك بعض الإرشادات العملية لخدمة المحبة.

خطوات التلمذة

أرى ثلاثة مستويات يقترحها بولس في كولوسي ٢:٦-١٠ على مَنْ يتطلّع لخدمة التلمذة "الرسم ١٣ - أ" يُلخص هذه الخطوات:

"المستوى أ" مُرتبط بمُساعدة الأشخاص في الموضوعات الأساسية الخاصة بتحديد وفهم هُويّتهم في المسيح. يعلن بولس إتمام العمل الخاص بمَنْ نحن في المسيح: "أنتم مملوؤون فيه..." (٢:١٠).

"المستوى ب" يتعامل مع موضوع النمو في المسيح، الذي يُشير إليه بولس ب"متأصلين ومبنيين فيه" (الآية ٧).

"المستوى ج" يعكس موضوع سلوكنا اليومي في المسيح، المبني على هُويّتنا ونضوجنا. يُعلّمنا بولس: "فكما قبلتم المسيح يسوع الرب اسلكوا فيه" (الآية ٦).

وصولاً للنجاح، يجب أنْ يُبنى كل مستوى على المستوى الذي يسبقه. لا يُمكن لشخص مسيحي أنْ يسلك بشكل فعّال (المستوى ج)، إنْ لم يتقدّم في النضوج (المستوى ب)، كما أنَّه لا يستطيع الاقتراب من النضوج إنْ لم يفهم هُويّته في المسيح (المستوى أ).

لاحظ أيضاً أنَّ هناك خمسة أبعاد تطبيقية في كل مستوى وهي البعد الروحي، والذهني، والعاطفي، والإرادي والعلاقات. في كل مستوى هناك نقطة صراع وخطوة نمو. نقطة الصراع توضح كيف تتداخل الخَطيَّة والعالم والجسد والشيطان في عملية التلمذة. تذَكّر أنَّ الشيطان كرّس نفسه لخداع وإفشال

وتعطيل هُوِيّة المؤمن ونموه وسلوكه في المسيح. نقطة الصراع تُظهر عمل إبليس الذي يجب التعامل معه واستبداله بخطوة النمو المُناسبة.

أرجو أنْ نفهم أنَّه ليس هناك حدود فاصلة كتابياً بين مستويات التلمذة الثلاثة أو الأبعاد التطبيقية الخمسة كما يُحتم الجدول، الجدول مُصمّم فقط لتوضيح موضوعات رئيسية مُحدّدة يجب علاجها والتعامل معها ليتمكن المؤمنون من النمو ـ ولنساعد بعضنا بعضاً على النمو ـ والازدياد في الثقة ويصبحون خداماً فعالين لله.

المستوى أ: الهُوِيّة

نقطة الصراع في هذا المستوى هو عدم خلاص الشخص (إنْ لم يكن قد ولد من الله) أو عدم الثقة في الخلاص (إنْ كان قد ولد ثانية). ليس عملك هو إعطاء يقين الخلاص؛ الله هو الذي يفعل ذلك (رومية ٨:١٦؛ ١يوحنا ٥:١٣). دورك هو إعلان هُوِيّتهم كأبناء لله.

ذهنياً: الناس يدخلون ملكوت الله وليس لهم معرفة حقيقية بالله. هناك شيء يجب أنْ يعرفوه عن الله لكي يقدروا أنْ يؤمنوا به وليصبحوا ما يُريدهم هو أنْ يكونوا (هوشع ٤:٦). إنْ لم تتجدّد أذهانهم ولم يكن لهم مُعتقدات سليمة، فسيُحاولون تسديد احتياجاتهم الأساسية بطرق خاطئة أي مُستقلة عن الله.

عاطفياً: الصراع على هذا المستوى هو الخوف. الخوف يدفع الناس لفعل ما لا يجب فعله ويمنعهم من فعل ما يجب عليهم. عندما يتحرك الناس بدافع الخوف من شخص أو من أي شيء غير الله، فإنَّهم يكونون غير أحرار، لكنَّ الحرية هي ميراثنا في المسيح. إبليس يُقيّد بالخوف، لكنَّ خوف الله يُحرّر من كل خوف آخر الحرية التي في المسيح هي موضوع كتابي " مُحطم القيود The Bondage Breaker "[1]

الإرادة: لقد تعلّم البشر الحياة في تمرد إرادي واستقلال عن الله. فهم

---

(١) يصدر قريباً.

إما يتطلعون لأنْ يكونوا رقم واحد أو يعيشون في اعتماد مريض على الأهل أو شريك الحياة أو شخص آخر أو هيئة ما. معظم البشر يُريدون الجلوس في كرسي القضاء فوق مَنْ هم في سلطة فوقهم. النمو في هذا البعد يتضمن فهم وتطبيق الخضوع الكتابي لله كأب مُحب وأيضاً للآخرين.

العلاقات: بما أنَّ معايير العالم لقبول الآخرين مبنية على حسن الأداء، فإنَّ معظم البشر قد اختبروا الشعور بالرفض منذ طفولتهم. لكنَّ ملكوت الله مبني على محبة الله وقبوله غير المشروطين (تيطس ٣:٥). لذلك فأساس العلاقات ليس هو "إعطاء الآخرين ما يستحقون" ـ الذي يُساوي الدينونة ـ لكنْ ما يحتاجون ـ الذي هو الرحمة. صديقي «ديك داي» يُشير إلى ذلك بقوله أنَّ بنيان الآخرين لا يبدأ بالسلطة التي تُطالب بالالتزام، لكنَّه يبدأ بالقبول الذي يعقبه الدعم لشخصية الآخر. عندما يشعر البشر بأنَّهم مقبولون ومدعومون فإنَّهم يخضعون بإرادتهم للسلطة.

لهذا فإنَّ الهدف الأول للتلمذة هو تأكيد الهُوِيّة التي في المسيح، وهذا يتضمن:

- قيادة الآخرين للمسيح وتعريفهم بيقين الخلاص الكتابي الذي لهم فيه.
- قيادتهم لمعرفة حقيقية بالله ولهُوِيّتهم في المسيح، وبدء تعليمهم طرق الله.
- تغيير دوافعهم الأولية من خوف البشر والظروف إلى خوف الله.
- مُساعدتهم على رؤية الطرق التي مازالوا يلعبون بها دور الإله في حياتهم، أو تمردهم على الله.
- كسر دفاعاتهم ضد الشعور بالرفض بقبولهم ودعمهم.

التلمذة تتطلب ضبط الذهن، مَنْ لا يُريدون تحمل مسئولية ضبط أفكارهم لا يُمكن تلمذتهم

المستوى ب: النضوج

بناء الآخرين في المسيح هو عملية التقدّيس، ويبدأ في البعد الروحي بمُساعدتهم على التمييز بين السلوك بالجسد والسلوك بالروح. كلّما اختاروا السلوك بالجسد كلّما طال استمرارهم في عدم النضوج. وكلّما اختاروا السلوك بالروح كلّما أسرعوا بالنضوج. من المهم جداً لهذه العملية أنْ يفهم المؤمن أنّ الظروف الخارجية لا تُحدد هُويّته، ولا سلوكه ولا مستقبله. فقط الله وتفاعل الشخص مع الله هما الذين يُحددان هذه الأمور.

ذهنياً: عندما يقبل المسيحيون خداع إبليس أو فلسفات العالم فلن يمكنهم النمو (كولوسي ٢:٨). هناك معركة حول الذهن، ويجب علينا كشف حيل إبليس واستأسار كل فكر إلى طاعة المسيح (٢كورنثوس ٥:١٠). التلمذة تتطلب ضبط الذهن، مَنْ لا يُريدون تحمل مسئولية ضبط أفكارهم لا يُمكن تلمذتهم.

عاطفياً: المشاعر هي نتيجة لحياة الشخص الفكرية، إذا كانت أفكار الشخص ومُعتقداته عمّا سيجعله أكثر نجاحاً، أو أهمية أو سعادة، الخ، خاطئة، فإنَّه سيكون فريسة للمشاعر السلبية. الغضب، والقلق والاكتئاب غالباً ما تكون نتيجة لُمعتقدات خاطئة. العامل الرئيسي لصحة عقلية ونفسية هو المعرفة الحقيقية لله، والقبول لطرقه والتيقن من غفرانه.

الإرادة: يحتاج المسيحيين لاختبار ضبط النفس الذي هو من ثمار الروح القُدس، بدلاً من الخضوع لأهواء الجسد.

العلاقات: الغفران هو مفتاح النضوج. إنَّه المادة اللاصقة التي تجمع معاً العائلات والكنائس. إبليس يستخدم عدم الغفران أكثر من أي عجز بشري آخر ليوقف نمو الأشخاص والخدمات. الشخص الذي لا يغفر يعيش تحت نير الماضي أو الشخص الذي لا يُريد أنْ يغفر له، فهو ليس حراً أنْ يتحرك في المسيح.

الهدف الثاني في التلمذة هو قبول هدف الله الذي هو التقدّيس والنمو

التلمذة في المسيح
مستويات الصراع والنمو

	المستوى أ	المستوى ب	المستوى ج
	الهوية كامل في المسيح (كولوسي ١٠:٢).	**النضوج** مبني في المسيح (كولوسي ٧:٢).	**السلوك** يسلك في المسيح (كولوسي ٦:٢).
روحياً	**الصراع:** غير مُخلَّص أو عدم التأكد من الخلاص (أفسس ١:٢-٣)٠	**الصراع:** السلوك بالجسد (غلاطية ١٩:٥-٢١).	**الصراع:** غير حساس لقيادة الروح القدس (عبرانيين ١١:٥-١٤).
	النمو: ابن لله (١يوحنا ١:٣-٣؛ ١:٥-١٣).	**النمو:** السلوك حسب الروح (غلاطية ٢٢:٥، ٢٣).	**النمو:** مُقاد بالروح (رومية ١٤:٨).
ذهنياً	**الصراع:** ذهن مُظلم (أفسس ١٨:٤).	**الصراع:** معتقدات وفلسفات خاطئة في الحياة (كولوسي ٢).	**الصراع:** الكبرياء (كورنثوس ١:٨).
	النمو: تجديد الذهن (رومية ١٢:١٢؛ أفسس ٢٣:٤).	**النمو:** مُفصلاً كلمة الحق بأستقامة (٢تيموثاوس ١٥:٢).	**النمو:** كامل ومستعد لكل عمل صالح (٢تيموثاوس ١٦:٣، ١٧).

	المستوى أ	المستوى ب	المستوى ب
عاطفياً	**الصراع:** الخوف (متى ١٠:٢٦-٣٣).	**الصراع:** الغضب (أفسس ٣١:٤)، القلق (١بطرس ٧:٥). الأكتئاب (٢كورنثوس ١:٤-١٨).	**الصراع:** الفشل والألم (غلاطية ٩:٦).
	النمو: الحرية (غلاطية ١:٥).	**النمو:** الفرح، السلام، الصبر (غلاطية ٢٢:٥).	**النمو:** الرضى (فيلبي ١١:٤).
الإرادة	**الصراع:** التمرد (١تيموثاوس ٩:١).	**الصراع:** عدم ضبط النفس، قيود (١كورنثوس ١:٣-٣).	**الصراع:** السلوك بلا ترتيب (٢تسالونيكي ١١،٧:٣) .
	النمو: الخضوع (رومية ١:١٣،٢).	**النمو:** ضبط النفس (غلاطية ٢٣:٥).	**النمو:** ترويض النفس للتقوى (١تيموثاوس ٧:٤،٨)
العلاقات	**الصراع:** الرفض (أفسس ١:٢-٣).	**الصراع:** عدم الغفران (كولوسي ١:٣-٣).	**الصراع:** الأنانية (فيلبي ١:٢-٥؛ ١كورنثوس ٢٤:١٠).
	النمو: القبول (رومية ٨:٥؛ ٧:١٥).	**النمو:** الغفران (أفسس ٣٢:٤).	**النمو:** المودة الأخوية (رومية ١٠:١٢؛ فيليبي ١:٢-٥).

الرســـم ١٣-أ

في مشابهة المسيح. هذا يتضمن:

- مساعدة الأشخاص على السلوك بالروح وبالإيمان.
- إرشادهم في تدريب أذهانهم على تصديق الحق.
- مُساعدتهم على التخلي عن تذبذبهم العاطفي وتركيز أفكارهم على الله بدلاً من ظروفهم.
- تشجيعهم على تنمية ضبط النفس.
- مُساعدتهم على حل مشاكلهم الشخصية بالغفران للآخرين وبطلب الغفران.

المستوى ج: السلوك

يرغب معظم المسيحيون بدء رحلة التلمذة من هذا المستوى بدلاً من المستوى "أ" أو "ب". هم يسألون: "ما الذي يجب عليَّ عمله لكي أنمو كمسيحي؟" لكنْ المفروض أنْ يسألوا: "ماذا يجب أنْ أكون؟" أحد أكبر نقاط الفشل في الخدمة المسيحية هو توقع أنْ يسلك الأشخاص كمسيحيين (المستوى ج) قبل أنْ يصبحوا مسيحيين ناضجين (المستوى أ و ب). عندما نفعل هذا فنحن نطلب من الناس السلوك بطريقة لا تتوافق مع نظرتهم لهُويّتهم، أو مع مستوى نضوجهم، وهذا مستحيل. لكنْ كمؤمنين، يجب علينا تأكيد هُويّتهم في المسيح، ونموهم في النضوج، بعد ذلك يُمكننا الذهاب إلى بُعد أعمق في تلمذتهم بدعوتهم بالتشبه بالمسيح في سلوكهم اليومي.

الأشخاص الناضجين روحياً هم هؤلاء الذين صارت لهم الحواس مُدرّبة على التمييز بين الخير والشر (عبرانيين ٥:١٤). التمييز هو من الأمور التي أسيء فهمها بشكل مُحزن. التمييز الكتابي ليس مُجرد عملية عقلية؛ لكنَّه أيضاً عملية روحية. الله بالروح القُدس يُرشد المؤمن الناضج لقبول الروح الذي منه أو إلى رفض الروح الغريبة. التمييز الروحي هو خط الدفاع الأول في الحرب الروحية.

إنَّ ازدياد المعرفة قد يدفع إلى الانتفاخ لذلك فالكبرياء هو خطر مُحتمل في العملية الذهنية، لكنْ مهما ازدادت معرفة المؤمن لله وطرقه فلن يصل أبداً إلى مرحلة لا يعود يحتاج فيها لله. إذا وصل المسيحيون إلى مرحلة الاتكال على فهمهم الخاص فسيتوقفون عن معرفة الله. يجب على الدارس الأمين لكلمة الله الاعتراف بأنَّه كلّما عرف الله أكثر كلّما تحتم عليه الاعتماد على الله أكثر.

عاطفياً: المؤمن الناضج تعلّم أنْ يكون راضياً ومُكتفياً في جميع الظروف (فيلبي ٤:١١). يوجد الكثير من الإحباط في الحياة، والكثير من رغبات المؤمن لن تتحقق، لكنَّ جميع أهدافه ستتحقق مادام جميعها إلهية. في قلب تجارب الحياة يحتاج المسيحيون إلى التشجيع، التشجيع يعني أنْ تُعطي الناس الشجاعة على الاستمرار، على كل شخص يقوم بتلمذة آخرين أنْ يكون مُشجعاً لهم.

قال أحدهم أنَّ نجاح الحياة المسيحية يتوقف على الإرادة. الشخص الغير مُتلمذ غير قادر أنْ يحيا حياة مُثمرة. لكنَّ الشخص المُتلمذ مملوء من الروح القُدس وليس لديه صراعات لم يتم مُعالجتها ويسعى لتسديد احتياجاته في المسيح.

العلاقات: المؤمن الناضج لا يعيش فيما بعد لنفسه لكنْ للآخرين. قد يكون أكبر اختبار لنضوج المؤمن هو في الدعوة: "وادّين بعضكم بعضا بالمحبة الأخوية" (رومية ١٢:١٠). فالعالم لن يعرفنا كمسيحيين حقيقيين من خلال لاهوتنا، أو ألقابنا، أو درجاتنا العلمية، أو مظهرنا أو مبانينا لكنْ من خلال محبتنا.

لنقل ببساطة أنَّ الهدف الثالث للتلمذة هو مُساعدة المؤمنين على السلوك كمؤمنين في بيوتهم وأعمالهم ومجتمعهم. السلوك المسيحي المؤثر يتضمن التوظيف الصحيح للمواهب، والملكات والفكر لخدمة الآخرين والشهادة الإيجابية للعالم. لا يُمكن لهذه الأهداف السلوكية أنْ تكون مُمكنة أو مُؤثرة إنْ لم يقبلا

الشخص هُويّته ويختبر النضوج الذين في المسيح.

أرى أنَّ معظم الوعظ المسيحي مُوجّه للمُستوى "ج" بأمل أنْ يتمخض عنه تغيير في سلوك السامعين، لكنَّ معظم المسيحيين عالقين في المستوى "أ"، مُغلق عليهم في الماضي، ومشلولين من الخوف ومعزولين بسبب الشعور بالرفض. فليس لديهم معرفة بمَنْ هم في المسيح لذلك لا يعرفون طريق النجاح في الحياة المسيحية. فبدلاً من الاستمرار في مُطالبة المؤمنين الغير ناضجين بما يجب عليهم فعله، لنبتهج معهم بما أتمه المسيح من أجلهم ولنساعدهم على أن يصبحوا ما هم عليه بالفعل في المسيح.

مفاهيم للمشورة

في بدء العام الدراسي في كلية اللاهوت، عادة ما أطلب من الطلبة أنْ يكتبوا على ورقة أكبر مشكلاتهم الشخصية والتي يجدون صعوبة كبيرة في مُشاركتها مع أي شخص آخر، وعندما أشعر أنَّ مستوى توترهم قد وصل إلى قمته، أطلب منهم التوقف، فيشعرون بالراحة لأنّي لن أشارك ما يكتبون مع الآخرين لكنّني كنت فقط أُريدهم أنْ يختبروا الخوف من احتمال انكشاف بعض المعلومات التي قد تُسئ إليهم أو تُحرجهم.

ثم أطلب منهم أنْ يصفوا نوعية الشخص الذي يُمكنهم المُشاركة معه المعلومات التي كتبوها عن أنفسهم، من ناحية الصفات والقوة والشخصية، بعد إتمام هذه القائمة أسألهم السؤال الحرج: "هل تُريد أنْ تُكرّس نفسك لأنْ تصبح هذا الشخص؟"

اسمح لي أنْ أسألك نفس السؤال: "هل تُريد تكريس نفسك لتُصبح هذا الشخص الذي يستطيع الآخرون الوثوق به؟" هذا أمر أساسي، لأن مَنْ هو المُشير؟ إنَّه شخص يشعر الآخرين بالثقة والأمان في مُشاركته بمشاكلهم الماضية والحاضرة. لا تحتاج المشورة المسيحية إلى درجة علمية، كما أنَّ الذين يعملون في المشورة بشكل رسمي سيحصلون على معونة كبيرة إذا حصلوا على

بعض الدراسات التدريبية المبنية على أسس كتابية. إنْ كنت تجلس على المنبر أو مع الشعب، إنْ كنت تجلس إلى مكتبك في عيادة للمشورة أو على مائدة العشاء، فالله سيستخدمك لخدمة الآخرين الذين يُعانون من المشاكل إنْ كنت راغباً في أنْ تكون مُترفقاً ومهتماً وأهلاً للثقة.

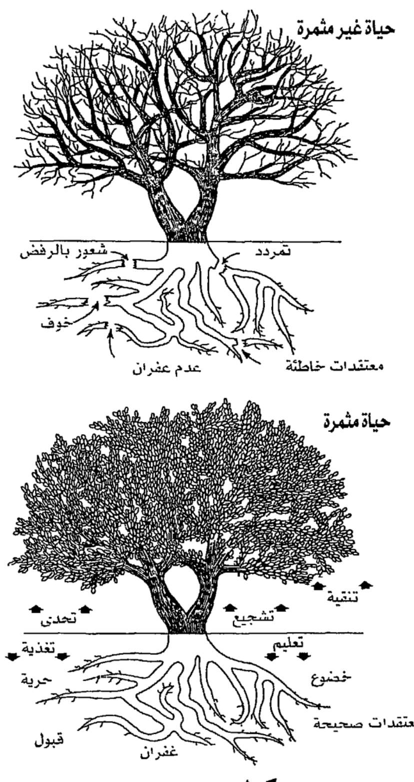
المشورة تعمل على مُساعدة الأشخاص على التعامل مع الحاضر بمُعالجة الصراعات الآتية من الماضي. الكثير من هذه الصراعات تعكس مناطق قد قيّدها إبليس بحصون في الذهن. لا يستطيع البشر النمو والنضوج لأنَّهم ليسوا أحرار. هدف المشورة المسيحية ـ إنْ كان القائم بها راعٍ، أو مُشير مُتخصص أو صديق ـ هو مُساعدة الأشخاص على اختبار الحرية في المسيح ليستطيعوا التحرك نحو النضوج والإثمار في مسيرتهم معه.

الحرية في المسيح هو موضوع كتابي "مُحطم القيود"، أشير عليك بتطبيق ما يتضمنه هذا الكتاب على نفسك لمنفعتك ومنفعة مَنْ تخدمهم، حتى هذا الوقت اسمح لي أنْ أقدّم لك خمسة أفكار عملية للمشورة المُتخصصة والغير مُتخصصة التي قد تقوم بها في سياق علاقاتك المسيحية.

١ - ساعد الأشخاص على تمييز جذور المشكلة

المزمور ١:١-٣ يُقارن طبيعة المسيحي بالشجرة المُثمرة (أنظرالرسم ١٣- ب). إثمار الأغصان فوق الأرض هو نتيجة لخصوبة التربة وصحة الجذور المُنتشرة فيها. المؤمن مغروس بشكل مثالي في التربة الخصبة لهُويّته في المسيح (المستوى "أ")، ويمد جذور النضوج (المستوى "ب") ويزدهر بالسلوك المُثمر (المستوى "ج").

عادة يسعى الأشخاص في طلب المشورة لأنَّ هُناك خطأ ما في سلوكهم اليومي. فإنَّ حياتهم تكون مُجدبة بدلاً من أنْ تكون مُثمرة. كما في الأشجار في أغلب الأحيان تكون المشكلات السطحية مُجرد أعراض لأمور أعمق. أغصانهم جافة وخالية من الثمر بسبب خطأ في الجذور ولأنها لا تستطيع الاستفادة من التربة الغنية.



كولوسي ٢: ٦-٧

الرسم ١٣-ب

الهدف الأول في المشورة هو مُساعدة الأشخاص على تمييز الجذر المُسبب لعدم الأثمار. لتفعل هذا من المُفيد أنْ تُحدّد احتياجاته الغير مُسددة وكيف يسعى هو لتسددها، تعليقاته ستكشف عن هذه الاحتياجات. مثلاً، إذا قال: "أينما ذهبت أشعر أنّي غريب، لا أحد يُحبني"، فهو يحتاج للقبول والانتماء. إذا قال: "أنا مُجرد فاشل، أنا لا أصلح لشيء"، يكون احتياجه للهُويّة والقيمة لم يُسددا. إذا قال: "حياتي تتحطم، أنا مُكتئب"، فهو يحتاج للأمان والرجاء. إذا قال: "لا أستطيع عمل شيء بالشكل الصحيح"، فهو يشعر بعدم الكفاءة. إذا قال: "لا أستطيع التوقف عمّا أفعل"، فهو يحتاج إلى تحرير.

من أجل كشف الجذر المُسبب للمشكلة، تحتاج أنْ تُساعده على الإجابة على بعض الأسئلة الهامة التي تتعلق بالخمسة أبعاد الواردة في الرسم ١٣- أ. الأسئلة التالية ليست شاملة لكنَّها يجب أنْ تكون في ذهنك وأنت تتعامل معه، كما لا يجب أنْ تسألها بشكل مُباشر لمُتلقي المشورة لأنَّه قد لا يعرف ما هي الإجابة الصحيحة.

في البعد العاطفي، الذي هو مكان جيد للبداية لأنَّ مشاعره السلبية قد تكون هي التي أتت به إليك، حاول أنْ تُحدّد: متى بدأ يشعر بهذه المشاعر؟ ما هو الجو المُحيط بهذا الاختبار؟ كيف يُفسر هذه الأحداث؟ ما هي "الأهداف" الغير مُحققة التي تُظهرها هذه المشاعر؟

ذهنياً، ابحث عن: ما الذي يعتقده عن الله؟ عن نفسه؟ عن النجاح في الحياة؟ أغلب الناس مدفوعين بما يعتقدون أنَّه سيُحقّق لهم النجاح، والسعادة والقيمة في الحياة، الخ. بقيادة مُتلقي المشورة لعمل "اختبار تقدير قيمة الذات" (الفصل ٧) ستُساعده على اكتشاف مُعتقداته الحالية.

في دائرة الإرادة، حاول اكتشاف: كيف يتفاعل مع السلطة؟ بأي طريقة يُحاول لعب دور الله؟ هل هو تحت سلطان كنيسة محلية؟ هل هو ضعيف الإرادة، غير قادر أنْ يقول: "لا"، أو أنْ يقف وحده؟ هل يعتقد أنَّه محكوم

بظروف الحياة؟ هل هو غير مُتلمذ أو تلقائي؟

في دائرة العلاقات، ما الذي يتوقعه من الله أو الآخرين؟ ما الذي يحتاجه لكي يغفر؟ ممَنْ يحتاج أنْ يطلب الغفران؟ ما هي المهارة التي يفتقدها في العلاقات؟ هل هناك مَنْ يدعمه نفسياً (عائلة، أو أصدقاء أو كنيسة)؟

روحياً، ما هو موقفه اليوم مع الله؟ هل يعرف كيف يسلك بالروح؟ هل هو حساس لقيادة الروح القُدس؟ هل له شركة يومية مع الله تتكون من الصلاة ودراسة الكلمة؟

٢-شجعْ على الصدق العاطفي

مُتلقو المشورة بشكل عام مُستعدون لمُشاركة ما حدث لهم، لكنَّ استعدادهم أقل للمُشاركة بفشلهم أو بتشعب الأحداث، ويُبدون تحفظ تام في المُشاركة بمشاعرهم تجاه هذه الأحداث. إنْ لم تدفعهم لأنْ يكونوا صادقين عاطفياً فإنَّ فرصتهم تتضاءل في علاج صراعاتهم الداخلية والحصول على الحرية من الماضي. لا يُمكنك أنْ تكون في علاقة سليمة مع الله وأنت غير صادق عاطفياً.

عندما يحتفظ المسيحي بمشاعره في الظلام ولا يُشاركها بصدق، فإنَّه يعطي لإبليس ـ أمير الظلام ـ مكاناً. الله يعمل كل شيء في النور (١يوحنا ١:٥-٧). عندما يُحاول الشخص علاج صراعاته الداخلية مُعترفاً بصدق بمشاعره فإنَّه يكشف نفسه في نور الله، فيهرب إبليس والأرواح الشريرة مثل الصراصير. عندما يغزو النور الأراضي التي يُسيطرون عليها داخل النفس فإنَّهم يهربون للظل. إذا أراد الناس التحرر من الماضي والحياة في الحرية اليوم يجب عليهم السلوك في النور. الصدق العاطفي يُبقي إبليس مُطارَداً.

٣- شارك بالحق

عندما يأتيك رفاق مسيحيون طلباً للمشورة، فهذا غالباً لأنَّهم قد تعرضوا لأعاصير الحياة التي جعلتهم يظنون أنَّ هناك خطأ في حياتهم. رؤيتهم لله قد

اهتزت وأصبحوا يظنون أنَّه لم يعد يُحبهم.

إنَّه امتياز عظيم أنْ تُشارك معهم حقيقة هُويّتهم في المسيح وتُساعدهم على إصلاح الخطأ الموجود في معتقداتهم. أحتفظُ في مكتبي ببعض النسخ مِنْ "مَنْ أنا في المسيح؟" (الفصل ٢) و"بما أنّي في المسيح" (الفصل ٣)، عندما أتكلم مع شخص لديه رؤية مُشوهة عن نفسه، أعطيه نسخة وأطلب منه قراءتها بصوت مرتفع. لقد رأيت تغييراً رائعاً يحدث في الأشخاص ـ من عدم إيمان إلى دموع الفرح. لماذا؟ لأنَّه عندما نُشارك بمحبة مع الآخرين مَنْ هم في المسيح فنحن نُطبّق حقيقة كلمة الله على الجذور الغريبة في حياتهم ومُعتقداتهم الخاطئة. فقط عندما يبدأون في التأكيد على حقيقة هُويّتهم في المسيح، يستطيعون علاج جذور مشاكل عدم النضوج الروحي، والذهني، والعاطفي، والإرادي والاجتماعي.

٤- شجعهم على اتخاذ موقف

دورك في المشورة هو مُشاركة الحق في المحبة والصلاة كي يختار مُتلقي المشورة قبوله، لكنَّك لا تستطيع الاختيار بدلاً منه. المشورة المسيحية تعتمد على رد الفعل الإيماني لمُتلقي المشورة. قال الرب يسوع للذين أرادوا لمسته الشافية: "إيمانك قد شفاك" (مرقس ٥:٣٤)؛ "كما آمنت ليكن لك" (متى ٨:١٣). إنْ كان الذين تُشارك معهم لا يتخذون موقفاً شخصياً، فليس هناك ما يُمكنك فعله لمُساعدتهم.

رد الفعل الرئيسي الذي نُريد مُتلقي المشورة اتخاذه هو التوبة، التي تعني تغيير في الذهن، عليه أنْ يُجدّد ذهنه فيما يعتقده عن الله وعن نفسه. فقط بعد أنْ يُجدّد ذهنه ويُغيّر مُعتقداته يستطيع أنْ يُغيّر سلوكه.

٥- ساعدهم على التخطيط للمستقبل

إحدى أهم الطرق لمُساعدة شخص ما على الخروج من الصراع والإحباط إلى

النمو والنضوج والأمل هي مُساعدته على بناء كيان من العلاقات يدعمه نفسياً. شجعهم على الاعتماد على الصلاة، وعلى الشركة والمشورة التي يحصلون عليها من عائلة مُحبّة، وكنيسة وجماعة من الأصدقاء.

مُساعدة أخرى حيوية تستطيع أنْ تُقدّمها لمُستقبل الشخص هي مُساعدته على التمييز بين ما هو عليه الآن وما يُمكن أنْ يُصبح عليه في المُستقبل. التقديس ليس عملية فورية لكنَّه عملية تحتاج إلى وقت. التغيير في المُعتقدات والسلوك يحتاج إلى وقت. يحتاج الأشخاص إلى تمييز الفرق الحيوي بين "الأهداف" و"الرغبات"، وإلاّ سيُحاولون تغيير الظروف والآخرين، الأمر الذي ليس من حقهم كما أنَّه ليس في إمكانياتهم. شجعهم على مواجهة كل يوم مُتخذين الموقف الذي تُلخصه الصلاة المشهورة: "يا رب أعطني الهدوء والاطمئنان لأقبل الأمور التي لا أستطيع تغييرها، والشجاعة لتغيير الأمور التي أستطيع تغييرها، والحكمة لأستطيع أنْ أفرّق بينهما."

نحن على ما نحن عليه بسبب نعمة الله. كل ما لدينا أو ما يُمكننا التطلع إليه ـ كمُعلمين وتلاميذ، أو مُشيرين ومُتلقي مشورة ـ مبني على هُويّتنا في المسيح. أصلّي أنْ تتشكل حياتك وخدمتك من خلال تكريس حياتك له وإيمانك أنَّه الطريق، والحق والحياة (يوحنا ١٤:٦). وأنْ يمنحنا الله جميعاً امتياز رؤية البشر وهم يتحررون من الظلمة وينضجون في النور.

إن كان لديك أستفسار أو تعليق
نرجوا إرساله على العنوان التالي
ص.ب: ٤٧٠ زوق مكايل
كسروان لبنان

E-mail: WafikBichay@mail.com

هل لديك تعليق على :

☐ المحتوى

☐ الترجمة

☐ الغلاف

☐ الإخراج الداخلي

يصدر قريباً للناشر

محطم القيود[1]

هل تشعر أنك أسير عادات لا تستطيع التخلص منها؟
هل أنت مسيحي وما يحدث لك لا يحدث للمسيحيين ـ أو هكذا قيل لك؟

تستطيع أن تتحرر!

الكتاب المقدس يوضح أن جميع المؤمنين في مواجهة مع إبليس، ولأن صراعهم معه حقيقي، فكذلك النتائج أيضاً.
هذا الكتاب المؤسس على الحقائق الكتابية يذكرنا أن صراعتنا تتضمن ما هو أكثر من الميول الخاطيئة أو الخلل النفسي: «*د. نيل أندرسون*» يقودنا للتعرف على نعمة الله وطرقه العملية للحصول على الحرية.

يصدر قريباً للناشر

الصلاة الشفاعية[1]

إن كان الله قادراً على كل شئ فلماذا يطلب منا أن نصلي؟ إذا صلينا ولم يحدث شئ فهل يعني هذا أن الله لم يسمعنا؟

إن كنت قد شعرت أنّ صلاتك ليس لها قيمة، فكتاب الصلاة الشفاعية سيوضح لك مدى حيوية صلاتك وأهميتها.

يشرح «داتش شيتس» تفاصيل الصلاة، بحكمة وسهولة. هذا الكتاب سيشعلك بروح الصلاة ويدفعك للصلاة من أجل تحقيق "المستحيل" ويساعدك على أكتساب الأستمرارية في الصلاة حتى تراها تتحقق.

أكتشف دورك كمحارب في الصلاة ـ فذلك قد يعني الفرق بين الموت والحياة بالنسبة لشخص تعرفه!

---

(١) جميع حقوق الترجمة والطباعة والنشر محفوظة للناشر وحده.



Printed by *Art Group*
Tel. : 760 58 34
Mob.:010/143 27 38 - 010/145 24 38
E-mail :artgroupadv@mail.com



خدمة التلمذة المسيحية تتطلع الى المستقبل بهدف تحقيق النمو والنضوج الروحي. أما خدمة المشورة فهي تنظر الى الماضي لكي تصحح أخطاءه وتقوي مناطق الضعف فيه. ولكن على كل من الخدمتين أن تبدأ أولاً من الزمن الحاضر وعليهما أن تطرحا بعض الأسئلة وبشكل شخصي جداً، مثل: من أنت؟ ماذا تفعل أما الذي تؤمن به عن نفسك؟

فماضيك هو الذي شكل نظرتك الإيمانية الحاضرة، وإن لم تتعامل معه وتعالجه، فبالتأكيد سيؤثر على مستقبلك أيضاً.

بالإضافة الى هذا، فأنا مقتنع تماماً أن كل من خدمتي التلمذة والمشورة يجب أن تبدأ من حيث يبدأ الكتاب المقدس، أي من معرفة من هو الله، ومعرفة هويتك في المسيح.

هذا الكتاب يتناول القضايا الأساسية الخاصة بالنمو في المسيح. سوف تدرك من أنت في المسيح، وكيف تعيش بالإيمان. وستكتشف كيف تسلك بالروح وكيف تكون حساساً لقيادته لك. فالحياة التي في ملء الروح، هي التي تحميك من أن تنخدع وتنجرف بعيداً بواسطة الأرواح الشريرة.

ستكتشف طبيعة المعركة التي تواجه ذهنك، وستعرف أهمية أن يتجدد ذهنك لكي تنمو روحياً. ستكتشف استنارة داخلية تمكنك من التعامل مع مشاعرك وتحررك مما أصاب مشاعرك في الماضي من صدمات، عن طريق الإيمان والغفران.

نيل أندرسون (من المقدمة)